

أ.عبدالله سالم بازينة



انتشار الإسلام

في أفريقيا جنوب الصحراء

عنوان الكتاب: انتشار الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء

تأليف: أ. عبد الله سالم محمد بازينة

رقم الإيداع: 2009/784

ردمك: ISBN: 978-9959-55-061-3

الطبعة الأولى

2010 مسيحي

منشورات
جامعة 7 اكتوبر
الإدارة العامة للمكتبات والمطبوعات والنشر
هاتف: 2627201 - 2627202 - 2627203- 2620648
فاكس: 051/2627350
ص.ب: 2478 - مصراتة - الجماهيرية العظمى
الموقع الإلكتروني: www.7ou.edu.ly
البريد الإلكتروني: info@7ou.edu.ly

تم تخصيص الرقم الدولي الموحد للكتاب من قبل:
الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية - بنغازي - ليبيا
هاتف: 9097074 - 9096379 - 9090509
بريد مصور: 9097073
البريد الإلكتروني: nat_lib_libya@hotmail.com

انتشار الإسلام
في أفريقيا جنوب الصحراء

تأليف

أ. عبد الله سالم محمد بازينة

قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة 7 اكتوبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ⑨ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الصف، الآية (9)

الإهداء

إلى والديّ أطال الله في عمرهما ...

إلى أصدقائي الأوفياء ...

إلى كل من علمني حرفاً ...

إلى هؤلاء جميعاً

أهدي هذا العمل المتواضع ...

المحتويات

الموضوع	الصفحة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين خالق الخلق أجمعين القائل في محكم التنزيل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (1) والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين الذي بشّر وأنذر وخوّف وحذّر، ونصح الأمة وكشف الغمّة وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،،

في الربع الأول من القرن السابع الميلادي أضاء في سماء البشرية حدث عظيم، أدى إلى تغيير التاريخ الإنساني من جميع جوانبه، وأعني به بعث النبي محمد (ﷺ) برسالة الإسلام.

ومع أن هذه الرسالة السماوية قد نزلت على نبي عربي وبلسان عربي مبين، وفي بيئة عربية محضة، إلا أنها لم تكن أبداً رسالة عنصرية مفترضة على أمّة بعينها، بل إن الأمر الإلهي نزل صريحاً بأن الرسول (ﷺ) مُرسل للبشرية جمعاء قال - جلّ وعلا: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ (2) وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (3).

وبوجود هذه العمومية في التبليغ ضمن الخصائص الأساسية للدين الإسلامي، فإنه ترتّب عليها قيام الرسول (ﷺ)، ثم المسلمين معه ومن بعده، بنشر رسالة الإسلام في كل أرجاء الأرض، بما في ذلك المنطقة موضوع الدراسة وهي القارة الأفريقية (جنوب الصحراء).

وفيما يخص أفريقيا جنوب الصحراء فإن وصول الإسلام إليها كان قد حدث في زمن مبكر جداً من عمر الإسلام، بل إنه وصل إليها قبل أن يصل إلى معظم مناطق الجزيرة العربية، إذ إن ظروف العداء والتنكيل والتعذيب التي واجهها أوائل المسلمين من قبل قريش، أدت بهم، وبتوجيه من الرسول (ﷺ) إلى الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم، فكان هذا أوّل اتصال للدين الإسلامي بالقارة الأفريقية.

---

(1) سورة آل عمران: الآية (84).

(2) سورة سبأ، الآية (28).

(3) سورة الأنبياء، الآية (106).

وبعد أن أعزّ الله دينه وأظهره في جزيرة العرب وقامت الدولة الإسلامية، بدأ الدين الإسلامي في الدخول إلى القارة الأفريقية بشكل تدريجي عبر مسالك ووسائل متعددة، بدءاً بالهجرات العديدة التي توالت في أزمان مختلفة، والتي استوطن خلالها مهاجرون مسلمون القارة الأفريقية، حاملين معهم دينهم الحنيف، ومروراً بالنشاطات الاقتصادية المتبادلة بين بلاد المسلمين وجنوب الصحراء عن طريق التجارة والتجّار، الذين كانوا هم أيضاً يحملون دينهم بجانب تجارتهم، ويدعون إليه وينشرونه حيثما حلّوا ووصلوا، إلى جانب الدعاة الذين نذروا أنفسهم لنشر الدين الإسلامي في أرجاء المعمورة، والذين خاضوا مجاهل أفريقيا من أجل نقل رسالة الإسلام إلى سكان تلك البلاد، الذين كانوا يرسفون في قيود الوثنية والشرك، وبالتداخل معهم كانت الطرق الصوفية، تُبْلي هي الأخرى أعظم البلاء في سبيل نشر الإسلام، وتُسخر كل ما أوتيت من قدرات وإمكانات للقيام بهذه الرسالة العظيمة، والتي تهدف إلى نقل الإنسان من واقعه المظلم إلى نور الله، والإيمان والتوحيد والفطرة السليمة والمساواة والعدل والحرية.

كل هذه الوسائل التي تقدّم الحديث عنها تظافرت وتآزرت لإنجاز عمل ديني وتاريخي هائل النتائج إذ ترتب على دخول الإسلام لتلك البقاع: تغيير تام في ملامحها الدينية والفكرية والحضارية، بل إنه يمكن القول إن تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى هو نفسه تاريخ انبعاثها الحضاري، وهو كذلك تاريخ ولوجها إلى ساحة الأحداث في العالم، فهي بالدعوة الإسلامية افتتحت لنفسها صفحات التاريخ، وسارت في موكب الحضارة الإنسانية، وساهمت في مسيرتها باعتبارها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من البلاد الإسلامية.

إن التأثير الكبير الذي أحدثه دخول الدين الإسلامي إلى أفريقيا، يتجلّى في تلك النقلة غير المسبوقة التي حصلت للأفارقة، باعتناقهم للدين الإسلامي، وكل ذلك ما كان ليحصل لولا أن تكاثفت وتضامنت عديد الوسائل التي أدّت بفضل مجهوداتها المشتركة إلى نقل الدين الإسلامي من مهده الأول في شبه الجزيرة العربية، إلى أفريقيا جنوب الصحراء في عملية تراكمية طويلة الأمد زمنياً وواسعة الانتشار مكانياً، لم يكن لها من هدف سوى نشر الإسلام وإيصاله إلى أبعد مجتمع بشري، وأقصى نقطة جغرافية ممكنة.

وتكمن أهمية موضوع هذه الدراسة، في أنها ترتبط بجوانب عديدة من حيث كونها

محاولة لتبيين الجوانب الحقيقية والصحيحة للوسائل التي دخل بها الدين الإسلامي لأفريقيا جنوب الصحراء بعيداً عمّا كتبه مؤرخو الغرب، الذين لا هم لهم سوى كيل التهم جزافاً، وثني الحقائق التاريخية بشكل يخدم مصالح بلدانهم الاستعمارية ؛ تلك الكتابات التي حاولت عبر زمن طويل تشويه التاريخ الأفريقي والإسلامي معاً، وسعت إلى تثبيت صورة زائفة فحواها أن دخول الإسلام لقارة أفريقيا كان نتاجاً لقوّة السيف، وأن تاريخ أفريقيا الحضاري يبتدئ من دخول المستكشفين الغربيين إليها، أولئك المغامرون الذين كانوا طليعة للحملات الاستعمارية التي جثمت طويلاً على صدر القارة واستنزفت خيراتها واستعبدت شعوبها.

ومن ناحية أخرى فإن دراسة انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء تؤدي بحكم طبيعة الموضوع إلى دراسة العلاقات العربية الأفريقية قبل ظهور الإسلام وخلال سنين انبلاجه الأولى، وحينما أظهره الله، ما يعني أنه سيتم تسليط الضوء على هذه العلاقات من جوانب عديدة، من أهمها الجانب الديموغرافي السكاني، سواء في بلاد العرب المسلمين أو في أفريقيا، وذلك من حيث أسباب الهجرات وطرقها واتجاهاتها وأماكن استقرارها، وتأثيرها وتأثرها ببيئاتها الجديدة وطبيعة مكوناتها البشرية.

وفي الجانب الاقتصادي فإنه سيتم التعرض لطبيعة النشاط الاقتصادي، وبالأخص من الناحية التجارية، سواء كان ذلك لدى المسلمين، أم في أفريقيا من حيث أساليب التجارة، وأنواع البضائع، وأماكن الأسواق، وما إلى ذلك من أمور تتعلق بالنواحي التجارية.

وكذلك فإن الجانب الفكري يدخل ضمن نطاق هذه الدراسة من حيث النشاط الدعوي، وما رافقه من إنشاء المنارات العلمية والمدارس والكتاتيب والزوايا الصوفية التي ساهمت بفاعلية في نشر الدين الإسلامي في أفريقيا جنوب الصحراء.

وهكذا فإن هذه الدراسة ستكمن أهميتها في تناولها لجوانب تاريخية مختلفة – دينية واجتماعية واقتصادية وفكرية – وذلك كلّه ضمن إطار تناولها لموضوعها الرئيس وهو انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء.

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح الوسائل التي انتقل من خلالها الدين الإسلامي إلى القارة الأفريقية وانتشر في ربوعها حتى أصبح هو الدين الأول من ناحية عدد المعتنقين له، وذلك في إطار من الموضوعية التاريخية، والابتعاد عن التضخيم، والمبالغة، والتأويلات غير

العلمية التي لجأ إليها بعض من أرّخ لأفريقيا من مؤرخي الغرب، على أن يتم ذلك بالاعتماد على الحقائق التاريخية الثابتة، وعن طريق المصادر الموثوقة.

كذلك فإنه يندرج ضمن أهداف هذه الدراسة المراحل والأطوار التاريخية التي مرّت بها الدعوة الإسلامية في أفريقيا.

ومن خلال ذلك فإن هذه الدراسة ستحاول إبراز الجهود الكبيرة للمسلمين الأوائل في مجال نشر الدين الإسلامي، وإيضاح ما بذلوه من تضحيات في سبيل ذلك، والطرق التي سلكوها حتى نجحوا في مساعيهم، وهذا الأمر يكتسب أهمّية متزايدة في الوقت الحالي والمستقبل، من حيث أن القارة الأفريقية تتعرّض لمد تنصيري مسيحي منظّم وعلى نطاق واسع، الأمر الذي يستوجب ضرورة مقاومة هذه الهجمة التنصيرية عبر إعادة تفعيل نشاطات الدعوة الإسلامية، وهذا لن يتأتى بشكل منهجي ومنظم، إلاّ بالتعرّف على جهود أسلافنا الأوائل، ومعرفة وسائلهم في نشر الإسلام في القارة، ومعرفة الصعوبات التي واجهتهم، والظروف والعوامل التي ساعدتهم من أجل العمل على تطوير تلك الوسائل بما يوافق ظروف العصر الحالي، وبما يخدم قضيّة نشر الإسلام ومواجهة حملات التنصير، وأيضاً من أجل استنباط العبر، واستخلاص الدروس من تجربة الدعاة الأوائل حتى يتم تلافي أوجه التقصير القديمة إن وجدت، وانتهاج وتعميم السبل الناجحة والمفيدة التي استخدمها المسلمون في نشر دينهم.

إن الدراسات السابقة حول هذا الموضوع ما زالت قليلة وقد اهتم بها جماعة من المؤلفين، ولكن كتاباتهم جاءت ضمن مواضيع انتشار الإسلام في أفريقيا بصفة عامة، ولم تكن هناك دراسات متخصصة في هذا الموضوع على حد علمي، فعند فحصها نجدها تتناول جوانب معيّنة وتهمل الأخرى.

أما فيما يتعلق بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها فهي كثيرة ومتنوعة، حيث سعيت جاهداً للإطلاع على أكبر قدر ممكن منها، وقد تمكنت من الحصول على الكثير من المصنّفات المطبوعة سواء المتوفرة في مكتبات المدن والجامعات الليبية أم في بعض مكتبات جمهورية مصر العربية، ومن أهمها مكتبة معهد الدراسات الأفريقية ودار العلوم بجامعة القاهرة، وسوق الكتب القديمة بالعتبة، وما اقتنيته من معرض القاهرة الدولي للكتاب عام (2004م) ومعرض طرابلس الدولي للكتاب عام (2005م) ومعرض الكتاب بمدينة مصراتة عام (2005م).

ومن أهم هذه المصادر:

- كتاب رفع شأن الحبشان للإمام جلال الدين بن عبدالرحمن السيوطي، وهذا الكتاب مقسم إلى ستة فصول تناول فيه صاحبه لمحة جغرافية عن الحبشة وأصل الأحباش وعلاقتهم بالعرب قبل الإسلام والأحاديث الواردة فيهم، ثم ما نزل فيهم من الآيات الكريمة، وما ورد في القرآن بلسانهم وما تكلم الرسول (ﷺ) من لغتهم، ثم الهجرة إلى الحبشة، وذكر لبعض خيارهم وعددهم وما فيهم من الخواص والمحاسن وقد استفدت منه كثيراً وخاصة في الفصل الثاني والثالث.
- كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لشهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، خاصة الجزء الرابع ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل اليمن، واستفدت منه في الفصل الأول والثالث.
- كتاب معجم البلدان لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، وقد استفدت منه كثيراً في أغلب فصول البحث وخاصة في تحديد الأماكن والبقاع.

إضافة إلى تلك المصادر فقد استعنت بمجموعة أخرى، منها كتاب صبح الأعشا في صناعة الإنشا للقلقشندي، والبداية والنهاية لابن كثير، والسيرة النبوية لابن هشام، وتاريخ السودان للسعدي، ووصف أفريقيا للحسن الوزان، ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، وكتابي السلوك لمعرفة دول الملوك، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي.

أمّا المراجع التي اعتمدت عليها فهي متعدّدة ومتنوعة من أبرزها:

- كتاب موسوعة التاريخ الإسلامي للدكتور أحمد شلبي، خاصة الجزء السادس الذي يتضمن الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقية منذ أن دخلها الإسلام حتى الآن وقد اعتمدت عليه في أغلب فصول البحث.
- كتابا الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، والإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا لعبد الرحمن زكي، وكتابي إمبراطورية غانة الإسلامية، وإمبراطورية البرنو الإسلامية لإبراهيم طرخان، وكتاب الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا حتى قيام دولة الفولاني لحسن

عيسى عبد الظاهر، وكتاب إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية لسامية عبد العزيز منيسي.

وبالإضافة إلى تلك المصادر والمراجع فقد اعتمدت على العديد من المقالات والأبحاث التي كتبت في عدد من المجلات والندوات والمؤتمرات العلمية.

أما في ما يخص خطة البحث فقد قسمت الموضوع إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، ذكرت في الفصل الأول تطور العلاقات العربية الأفريقية، وهو فصل تمهيدي يتناول مقدمة جغرافية عن القارة الأفريقية وموطن الدراسة ابتداءً من أصل تسمية أفريقيا بهذا الاسم إلى دراسة لأهم السلالات البشرية جنوب الصحراء، ثم نشوء وتطوّر العلاقات السياسية والتجارية العربية الأفريقية قبل الإسلام مع ذكر لأهم الهجرات العربية والعوامل التي ساعدت على الهجرة إلى أفريقيا جنوب الصحراء.

أما الفصل الثاني فخصصته للهجرة وأثرها في نشر الإسلام بداية من هجرة الصحابة (رضوان الله عليهم) في زمن الرسول (ﷺ) إلى الحبشة، ثم أهم الهجرات الإسلامية، ودورها في توطيد الإسلام والعروبة جنوب الصحراء.

وفي الفصل الثالث تطرقت إلى التجارة ودورها في نشر الإسلام جنوب الصحراء ابتداءً من معاهدة البقط، أو كما يسميها البعض (معاهدة النوبة) ثم التجارة الكارمية والعلاقات التجارية، ومكانة تجار الشمال الأفريقي بممالك وشعوب جنوب الصحراء، ثم أهم المدن والمراكز التجارية جنوبي الصحراء ثم ختمت هذا الفصل بنبذة عن دور التجار المسلمين والجهود الصادقة في نشر الإسلام في المنطقة.

وقد اختتمت الدراسة بفصل رابع تناولت فيه أثر الدعاة والطرق الصوفية في نشر الإسلام بين الأفارقة جنوبي الصحراء، وأهم مراكز الدعوة التي ينطلق منها الدعاة، ثم أهم وأشهر الدعاة الذين قاموا بجهود في نشر الإسلام وقاموا بحركات إصلاحية، ومن خلال ذلك ذكرت معنى التصوف أو الوعي الصوفي وأشهر الطرق الصوفية ودورها في نشر الإسلام جنوب الصحراء الكبرى.

ولقد واجهتني عدة صعوبات وعقبات أثناء إعدادي لهذه الدراسة أهمها:

- قلّة المصادر والمراجع الموجودة في مكتباتنا الليبية التي تتحدّث عن هذا الموضوع، وقد تحصّلت على أغلبها من جمهورية مصر العربية ومن معرض القاهرة الدولي للكتاب عام (2004م).
- إن هذه الدراسة هي دراسة دعوة ومن الصعب تحديدها وتقييدها بزمان، فهي سلسلة مترابطة ومتواصلة إلى يومنا هذا، وقد حدّدت الدراسة بالعصور الوسطى، رغم أنّي خرجت عن إطارها الزمني وأرجو أن يكون ذلك لصالح الدراسة لا عليها.

وأتمنى من الله - العلي القدير - أن أكون قد وفقت في دراستي هذه، فإن كنت كذلك فمن عند الله، وإن كانت الأخرى فمن نفسي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

والله ولي التوفيق...

الفصل الأول

الجذور التاريخية
للعلاقات العربية الأفريقية

يحتوي هذا الفصل على:

- أولا: مقدمة جغرافية عن القارة الأفريقية.
- ثانيا: العلاقات العربية الأفريقية قبل الإسلام.

الفصل الأول

الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية

أولاً: مقدمة جغرافية عن القارة الأفريقية:

1- أصل تسمية أفريقيا:

تعدّدت الآراء والافتراضات حول أصل تسمية القارة الأفريقية بهذا الاسم[1] فاسم أفريقيا لم يكن يطلق على القارة كلها من قبل، بل كان يقتصر في البداية على منطقة منها في الشمال، أما بقية أجزائها فكانت لها أسماؤها مثل: برقة وطرابلس وبلاد الزنج[2]، وبلاد الحبشة وبلاد السودان[3].

والسودان هكذا على إطلاقه يحتوي تحته كل بلاد السودان، أي أصحاب البشرة السوداء، في الحزام الممتد في قلب القارة من الغرب إلى الشرق، ثم تحدّد اسم السودان على تلك المنطقة شبه الصحراوية والتي تعرف الآن بغرب أفريقية[4].

وبناء على هذا أطلقت أسماء أخرى على أصحاب البشرة السوداء في غير هذا الجزء، مثل اسم النوبة على سكان جنوبي مصر، واسم الحبشة على إثيوبيا، واسم الزنج على سكان الساحل الشرقي، يقول الإصطخري: «وبلدان السودان بلدان عريضة.. وليسوا هم بنوبة ولا بزنج ولا بحبشة.. ولا من البجة إلا أنهم جنس على حدة أشدّ سواداً من الجميع وأصفى»[5].

---

(1) سعيد، إبراهيم أحمد: أفريقيا جنوب الصحراء، دراسة في الجغرافية الإقليمية، جامعة السابع من إبريل (الزاوية، 1402و.ر / 1993م) ص 9.

(2) بلاد الزنج: هي شرق الخليج البربري تقابل بلاد الحبشة من البر الآخر، وأهلها مسلمون وأكثر معاشهم الذهب والحديد، ولباسهم جلود النمور، الإدريسي، محمد بن محمد عبدالله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، بدون تاريخ) 1/ 59 – 60.

(3) عبدالظاهر، حسن عيسى: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقية وقيام دولة الفولاني، الزهراء للإعلام العربي (القاهرة، 1412هـ/ 1991م) ط1، ص 36.

(4) المرجع نفسه، ص 44.

(5) الإصطخري، أبو اسحق إبراهيم بن محمد: المسالك والممالك، مكتبة الحسيني (القاهرة، 1381هـ/ 1961م) ص 34.

ويذكر بن خلدون: «والسودان أصناف شعوب وقبائل، أشهرهم بالمشرق الزنج، والنوبة، ويليهم الزغاوة، ويليهم الكانم، ويليهم من غربهم كوكو ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانة»[1].

كما تجدر الإشارة إلى أن بعض الكتّاب والجغرافيين العرب في العصور الوسطى، كانوا يخلطون بين مصطلحي بلاد السودان الغربي وبلاد التكرور[2].

والتكرور إقليم من أقاليم مملكة مالي وفي ذلك يقول العمري عند حديثه عن مملكة مالي وما بعدها: «وصاحب هذه المملكة المعروف عند أهل مصر بملك التكرور ولو سمع هذا أنِفَ منه، لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته»، والأحب إليه أن يقال: «صاحب مالي لأنه الإقليم الأكبر وهو به أشهر»[3].

وقبل الخوض في أصل تسمية أفريقيا بهذا الاسم، علينا أولاً تحديد المنطقة جغرافياً، لأن هناك تضارب بين مؤرخي العرب وجغرافييهم حول حدود أفريقية، فمؤرخو العرب القدماء اعتبروا مدينة طرابلس أول حدود إفريقية ويليها مباشرة أول المغرب، وهناك من يطلق اسم أفريقية على جميع المغرب[4].

فياقوت الحموي يقول: «إفريقية بكسر الهمزة، وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس»[5].

ونقل ياقوت عن البكري قوله: «وحَدُّ أفريقية طولها من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان»[6].

---

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر (بيروت، 1400هـ/ 1979م) 5/ 234.

(2) غيث، مطير سعد: الثقافة الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المنار الإسلامي (بنغازي، 1426هـ/ 2005م) ص 30.

(3) العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: حمزة أحمد عبّاس، منشورات المجمع الثقافي (أبو ظبي، 1423هـ 2002م) 4/ 107-108.

(4) الأحمر، امحمد مصباح: أفريقيا والعرب، شعبة التثقيف والإعلام والتعبئة (طرابلس، 1428م) ص 96.

(5) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر (بيروت، بدون تاريخ) 1/ 228.

(6) ياقوت الحموي: المصدر السابق، 1/ 228.

بينما يقول ابن أبي دينار القيرواني: «إفريقية من بلاد المغرب وعند أهل العلم إن أطلق اسم افريقية، فإنما يعنون به بلد القيروان، وأما أهل السير فيجعلونه إقليماً مستقلاً وله حدود ولهم فيه اختلاف»[1].

ويضيف قائلاً: «إن حد أفريقية من برقة إلى طنجة، وعرضها من البحر الشامي إلى الرمال التي أول السودان، قال غير واحد، قلت في زمننا هذا لا يعبر بأفريقية الأرض من وادي الطين إلى بلد باجة.. »[2].

أما العمري فيحددّها بقوله: «وإفريقية اسم الإقليم، وقاعدة المُلك بها مدينة تونس، وأضيف إليها مملكة بجاية ومملكة تدلس[3].. وطولها من تدلس إلى حدود برقة، وطرابلس أول مدنها مما يلي برقة، وتدلس آخر مدنها مما يلي الغرب الأوسط، وحدّها من الجنوب الصحراء الفاصلة بينها وبين بلاد جناوة المسكونة بأمم من السودان، ومن الشرق آخر حدود طرابلس... ومن الشمال البحر الشمال ومن الغرب آخر حدود تدلس لجزائر بني مَزْغِنَّه[4] آخر عمالة صاحب بر العدوة»[5].

ويتفق أبو الفداء مع المقدسي والإصطخري، ويفهم منهم أن أفريقية هي بلاد تونس الحالية والجزء الغربي من ليبيا، والجزء الشرقي من الجزائر إلى بجاية[6].

---

(1) ابن أبي دينار، محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، مؤسسة سعيدان (تونس، 1411هـ/ 1993م) ص 29.

(2) المصدر نفسه، ص 30.

(3) تدلس: مدينة على شاطئ المتوسط بين بجاية والجزائر تعرف حالياً بدلس ويذكرها القلقشندي بدليس، القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية (بيروت، 1407هـ/ 1987م) 5/ 95.

(4) جزائر بني مَزْغِنَّة: أو مَزْغِنًّا أو مَزْغِنَان ، هي مدينة الجزائر الحالية، حاشية التحقيق، العمري، المصدر السابق، 4/ 139.

(5) المصدر نفسه، 4/ 138-139.

(6) احمد الأحمر، المرجع السابق، ص 97.

أما المؤرخون المحدثون ومن بينهم ول ديورانت فيذكر: «وكانت قرطاجنة حاضرة الولاية المسماة أفريقية ومحلها الآن شرقي بلاد تونس»[1].

أما رُوسي فيحدّدها بالمنطقة التي تمتد من قسنطينة حتى طرابلس وأنها جزء من الأراضي الشاسعة للمنطقة التي تعرف باسم المغرب وتمتد شرقي طرابلس[2].

هذا من جملة ما ذكره المؤرخون قديماً وحديثاً في تحديد إقليم إفريقية ورأينا الاختلافات فيما بينهم، ولكن الغالب هو أن إقليم أفريقية هي المنطقة المعروفة الآن ببلاد تونس[3].

أما عن سبب تسمية الإقليم بأفريقية فهناك عدّة افتراضات وآراء للعديد من المؤرخين؛ فمنهم من قال بأن الاسم مشتق من إفريقش بن أبرهة بن الرائش الحموي الذي غزا الروم في هذه المنطقة حتى انتهى إلى طنجة فسميت باسمه[4].

وخالف آخرون إلى القول بأنّها سميت إفريقية بإفريقيس بن صيفي بن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب ابن قحطان وهو الذي اختطها، حيث إنه لما غزا المغرب انتهى إلى موضع واسع رحيب، كثير الماء، فأمر أن تبنى هناك مدينة، فبنيت وسمّاها أفريقية، اشتق اسمها من اسمه ثم نقل إليها الناس[5]، وفي ذلك يقول إفريقيس:

بربرت كنعـــان لما سقتهـــا　　　من أراضي الضنك للعيش الخصيب[6]

ثم نسبت تلك الولاية بأسرها إلى هذه المدينة، وعاد إفريقيس هذا إلى اليمن، وفي ذلك قال بعض أصحابه هذه الأبيات:

---

(1) ديورانت، ول: قصة الحضارة(قيصر والمسيح)، الهيئة المصرية للكتاب(القاهرة، 1422هـ/ 2001م)11/ 33.

(2) روسي، إيتوري: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب (بيروت، 1411هـ/ 1991م) ص 25.

(3) حسن عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 36.

(4) الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن طالب الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1408هـ/ 1988م) ط1، ص 309.

(5) ياقوت الحموي، المصدر السابق، 1/ 228.

(6) مناع، محمد عبد الرزاق: إفريقش فاتح القارة الأفريقية، دار مكتبة الفكر (طرابلس، 1313هـ/ 1973م) ص 28.

سِرْنا إلى المغرب في جَحْفَل بكل قَرم أريَحي هُمام [1]
نخوض بالفرسان، في مأقطٍ يكثر فيه ضرب أيْدٍ وهام [2]
فأضحت البربر في مَقْعَص [3] نُحو سُهم بالمشرفي [4] الحُسام
في موقف، يبقى لنا ذكره ما غرّدت في الأيك، وُرقُ الحمام [5]

ويضيف ياقوت قائلاً: «.. إن إفريقية سميت بفاروق ابن بيصر بن حام بن نوح (عليه السلام)، وأن أخاه مصر لما حاز لنفسه مصر فارق أفريقية»[6] ويضيف أنه لما اختط المسلمون القيروان خرّبت إفريقية، وبقي اسمها على الصقع جميعه، وأن أهل مصر يسمّون ما عن يمينهم إذا استقبلوا الجنوب بلاد المغرب، ولذلك سمّيت بلاد إفريقية وما وراءها بلاد المغرب، يعني أنها فرّقت بين مصر والمغرب، فسمّيت إفريقية، لا لأنها مسماة باسم عامرها [7].

أما ابن أبي زرع فيقول أنها سميت بإفريقيا لأنها فرّقت بين المشرق والمغرب ولا يفرق بين الإثنين إلا أحسنها، وقيل سميت إفريقية باسم أهلها وهم الأفارقة، والأفارقة من ولد قوط بن حام ولد نوح (عليه السلام) سموا باسم البلاد [8].

وقيل إن اسمها إبريقية من البريق، لأن سماءها خالية من السحب، وهذا القول بعيد لأن إفريقيا كثيرة السحب حتى قال بعضهم: إن القيروان لا تخلو من السحب في أكثر أيام السنة، ويعبّر عن فحص القيروان بمزّاق، لأن السحب تتمزق منه حتى قال بعضهم تنشأ

(1) قَرْم: بمعنى السيد، أريحي: بمعنى واسع الخلق، همام: السيد الشجاع السخي، الزاوي، أحمد الطاهر: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، مطابع مايتوكرومو (أسبانيا، 1390و.ر/ 1981م) ص 498، 19، 638.

(2) وهام: بمعنى الرأس، المرجع نفسه، ص 645.

(3) مقعص: بمعنى تغيرت ألوانهم من الحزن أو الفزع، المرجع نفسه، ص 580.

(4) المشرفي: بمعنى السيف، المرجع نفسه، ص 573.

(5) ياقوت الحموي، المصدر السابق، 1/ 228.

(6) المصدر نفسه، 1/ 228.

(7) المصدر نفسه، 1/ 228.

(8) ابن أبي زرع، علي بن محمد الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدنية فاس، تورنبرج (أبسال، 1259هـ/ 1842م) ص 43.

السحابة بالقيروان، وتمطر في صقلية وغالب بلاد إفريقية كثيرة السحب والأمطار وغالب الأوقات لا تخلو من السحب [1].

أما المراكشي فيذكر أن اسم إفريقية اسم ملكة حكمت إفريقية وقيل إنها إيريقية [2].

والحسن الوزان عند حديثه عن منشأ اسم إفريقيا فيقول: «تدعى أفريقيا بالعربية، إفريقية من كلمة فَرَقَ التي تقابل معنى الكلمة اللاتينية Separarit، وهناك رأيان حول أصل التسمية، فالأول يرتكز على أن هذا الجزء من العالم ينفصل عن أوروبا وعن جزء من آسيا بواسطة البحر المتوسط»[3]، أما القول الثاني عن أصل التسمية فهو: «أن هذا الاسم مشتق من أفريقوس ملك بلاد العرب السعيدة (اليمن) على اعتبار أنه أول من جاء إليها وسكنها، فبعد أن هُزم هذا الملك في معركة مع آشور وطرد من مملكته عجز عن العودة إليها فعبر النيل على عَجَل متابعاً طريقه نحو الغرب، ولم يتوقف قبل وصوله إلى ضواحي قرطاج. ولهذا فإن العرب لا يقصدون بإفريقية سوى ضواحي قرطاج ذاتها ويطلقون على مجموع إفريقية اسم المغرب»[4].

وهناك رأيٌ آخر يقول أن الرومان كانوا يسمّون آفر Afer وجمعها أفري Afri للمواطن البوني من أهل قرطاج، وذلك عندما اجتاحوا قرطاج عام 146ق.م وخربوا المدينة وأنشأوا مقاطعة إفريقيا Provincia Africa أو إقليم الأفر اختصاراً، أما العرب فقد تحوّلت عندهم كلمة إفريقيا إلى إفريقية Ifrikiya وهو اسم كانوا يقصدون به تقريباً بلاد تونس الحالية [5].

أما المؤرخ الإيطالي إيتوري روسي فيرى أن اسم أفريقيا الذي يوجد لدى مؤرخي وجغرافي الرومان، لا يستبعد أن يكون منحدراً من الشعوب البربرية التي تعامل معها الرومان بكلمة

---

(1) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 29 – 30.

(2) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبدالحميد، طبعة آفاق عربية (بغداد، بدون تاريخ) ص 111 – 112.

(3) الوزان: الحسن بن محمد الزياتي: وصف أفريقيا، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، علي عبدالواحد، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض، 1399هـ/ 1979م) ص 35.

(4) المصدر السابق، ص 35.

(5) غوتيه، ا. ف: ماضي شمال أفريقيا، ترجمة: هاشم الحسيني، دار الفرجاني (طرابلس، 1390هـ/ 1970م) ص 89.

أفري Afri أو أفريكاني Africani، جميع شعوب أفريقيا الشمالية وعلى وجه الدقة المنطقة التي تطابق حالياً تونس، وفي القرون الوسطى وحتى القرن السادس عشر كانت كلمة أفريقيا تعني بلدة المهدية بتونس التي عرفت آنذاك بكثرة ما تعرّضت له من هجمات وغزوات الجيوش المسيحية [1].

ويرى مؤلف كتاب – أفريقش فاتح القارة الأفريقية – أنه خلال الألف الثاني قبل الميلاد، وصل إلى ما يسمى الآن ليبيا أفريقش بن قيس بن صفي ملك التبابعة من قبائل كهلان وصيفي العربية قادمين من جنوب شبه الجزيرة العربية، ومعهم قبائل بني كنعان من أهل الشام، وأقام المهاجرون في منطقة الشريط الساحلي والواحات الليبية بعد أن اجتازوا وادي النيل عن طريق واحة سيوه وعكرمة والواوات واستقروا هنا وهناك، وبثوا مجتمعاً احتفظ بأرومته العربية الأصيلة، رغم ما تعرض له من غزوات الإغريق والفرس والروم [2]، وقد أطلق الفينيقيون اسم أفري على ليبيا الآن، نسبة لأفريقيش وحرّفه الإغريق إلى أفريكا، وقلّدهم الرومان فيما بعد، ولكن عمرو بن العاص أسماها أفريقيا، وعممت التسمية على القارة بأسرها [3].

وهذه الروايات يغلب على الظن أن بعضها من نسج الخيال لسد النقص، وتغطية الفراغ وتجلية الغموض الذي يكتنف هذا الاسم، الذي أطلق يوماً ما على حدود منطقة جغرافية معينة، ثم جاء الجغرافيون من بعد وحاول كلٌ منهم أن يجتهد رأيه في تغطية دراسة هذا الاسم فاختار كل واحد منهم رؤية معينة [4].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تطرق بعضهم إلى وصف سكان إفريقية بأنهم أمة عظيمة من بقية قوم جالوت، لما قتل هرب قومه إلى المغرب فتحصّنوا في جبالها، ولكنّهم في الوقت نفسه يصفونهم بسوء السيرة وقوة البطش، والدخول في الفتن والترحيب بدعاة الضلال [5].

(1) إيتورى روسي، المرجع السابق، ص 24.

(2) محمد مناع، المرجع السابق، ص 11 - 12.

(3) المرجع نفسه، ص 12.

(4) الوازني، مسعود عبدالله: إفريقية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 19 لسنة 2002م (طرابلس، 1423هـ/ 2002م) ص 490.

(5) مسعود الوازني، المرجع السابق، ص 490.

ونخلص أخيراً إلى أن اسم أفريقيا لم يكن يطلق على القارة كلها من قبل، فقد كان إطلاقه أولاً قاصراً على منطقة منها في الشمال، هي المعروفة الآن ببلاد تونس، أما بقية أجزائها فكانت لها أسماؤها كما أشرنا آنفاً، ثم عُمم اسم إفريقيا على القارة كلها وبه تعرف الآن [1].

2- الموقع الجغرافي والمساحة:

إفريقيا هي إحدى قارات الأرض قديماً وحديثاً، حيث تقع بين دائرتي عرض 37 شمالاً و 35 جنوبا، وبين خطي طول 52 شرقاً و 20 غرباً، أما بالنسبة للقارات، فإنها تقع إلى الجنوب من كتلة قارة أوربا، وإلى الجنوب الغربي من قارة آسيا، وإلى الشمال من القارة القطبية الجنوبية [2].

والقارة الإفريقية محاطة بعدة محيطات وبحار من كافة الاتجاهات، حيث إن الماء يحيط بها من كل جانب بعكس قارتي آسيا وأوروبا ؛ حيث يحدّها غرباً المحيط الأطلسي، وشمالاً البحر الأبيض المتوسط، وشرقاً البحر الأحمر ملتقى المحيطين الهندي والأطلسي والناظر إلى خريطتها يرى صورة لكتلة أرضية كبيرة تقع في النصف الشرقي من الكرة الأرضية مثلثة الشكل تقريباً أشبه ما تكون بالكمثرى رأسها للجنوب وتستند بقاعدتها على البحر الأبيض المتوسط الذي يفصلها عن أوروبا ويقربها منها مضيق جبل طارق [3].

كما أنها معزولة عن الاتصال الأرضي بباقي القارات، إلا أن هناك ارتباط بقارة آسيا من الناحية الشمالية الشرقية عبر شبه جزيرة سيناء [4].

وعن خطوط الطول والعرض، فإن خط الاستواء يمر بوسطها، حيث يخترق كلاً من: جنوب الصومال وكينيا وأوغندا والكونغو والجابون، كما يمر بالقارة مداري السرطان والجدي، حيث يمر الأول عبر عدّة دول في شمالها وهي: موريتانيا - مالي - الجزائر - ليبيا -

---

(1) حسن عبدالظاهر: الدعوة الإسلامية، ص 36.

(2) شاور، آمال إسماعيل: الجيومورفولوجيا والمناخ، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1400هـ/ 1979م) ص 10.

(3) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 35 - 36.

(4) إسماعيل، أحمد علي: محاضرات في جغرافية أفريقيا، معهد الدراسات الإسلامية (القاهرة، 1390هـ/ 1970م) ص 7.

مصر، بينما يمر مدار الجدي في جنوبها حيث يعبر جزيرة مدغشقر وموزمبيق وجنوب أفريقيا وبوتسوانا وناميبيا، ويمر بالقارة أيضاً خط جرينتش، حيث يمر في جزئها الغربي من خلال الجزائر ومالي وبوركينا وغانا (1).

ومن حيث المساحة تبلغ مساحة القارة حوالي 30 مليون كم2 (2)، فهي تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول يصل إلى حوالي 8000 كم، بدءاً من الرأس الأبيض في تونس ويقع على خط العرض 37.20 شمالاً، وحتى رأس الإبرة بالقرب من رأس الرجاء الصالح في جنوب القارة على خط العرض 34.52 جنوباً (3).

أما أقصى اتساع لها فهو حوالي 7800كم على امتداد خط العرض 12 شمالاً (4) من رأس المدى في السنغال على خط الطول 17.33 غرباً، وحتى رأس خافون في الصومال على خط الطول 51.24 شرقاً، وهي بذلك تعادل خمس اليابس على كوكب الأرض، وتشغل مساحة الجزر التابعة لها نحو 1.1 مليون كم^2، وهي تعد من القارات قليلة الجزر حيث يتبعها من الشرق في المحيط الهندي، جزر سوقطرة وزنجبار وجزر القمر وسيشل، وجزيرة مدغشقر، وهي أكبر الجزر التابعة لها (5)، أما في المحيط الأطلسي فتتبعها عدة جزر أهمها جزر ماديرا، والكناري «الخالدات»، والرأس الأخضر في الشمال، وسان كومي، وبغالو في خليج غينيا(6).

3- البنية أو التكوين الجيولوجي:

أفريقيا جزء من قارة جندوانا القديمة، بل إنها تحتل قلب هذه القارة، فمنذ 250 مليون سنة تقريباً، أي منذ الزمن الأول كانت هناك قارة واسعة صلبة متكونة من مادة السيال ذات

(1) أبوعيانة، فتحي: جغرافية أفريقية، دار النهضة العربية (بيروت، 1403هـ/ 1982م) ص 23.

(2) آمال شاور، المرجع السابق، ص 15.

(3) إبراهيم سعيد: أفريقيا جنوب الصحراء، ص 9.

(4) آمال شاور، المرجع السابق، ص 15.

(5) إبراهيم سعيد، المرجع السابق، ص 9 - 10.

(6) المرجع نفسه، ص 10.

الكثافة المنخفضة [1]. وتتمثل صخورها في الشيست والكوارتز والفيلفلين والمرمر وغيرها من الصخور الجوفية، إضافة إلى تداخل كتل جرنيتية ضخمة، وتطفو مادة السيال فوق مادة السيما ذات الكثافة العالية، وقد سمى الجيولوجيون هذه القارة باسم قارة جندوانا لاند، وكانت القارة الأفريقية تحتل مركز الوسط فيها [2].

وقد حدث أثناء الزمن الثاني بعض التصدع، فانقسمت جندوانا إلى عدة أقسام، وتزحزحت فابتعد بعضها عن البعض الآخر مكوناً الكتل القديمة المعروفة حالياً، والتي تشمل بالإضافة إلى أفريقيا هضبة الدكن، ومعظم استراليا في الشرق وهضبة البرازيل في الغرب والقارة القطبية الجنوبية (أنتاركتيكا) في الجنوب [3].

ويعتقد أغلب الجيولوجيين بأن كتلة القارة الأفريقية كانت متصلة بقارات ما قبل الكمبري [4]، وفي مرحلة الزمن الثاني الميزوزوي بدأت كتلة قارة جندوانا لاند تتكسر إلى كتل أصغر مكونة الكتل القديمة، التي تحركت بعد التكسر بعيداً عن إفريقيا، وتظهر آثار التكسر واضحة في شرق القارة وغربها على السواء [5].

ففي الشرق توجد بقايا انفصال الهند عن أفريقيا في الكتلة الصغيرة المكونة لجزر سيشل والتي تقع على بعد حوالي 1800كم شرق ساحل كينيا، وفي الغرب يمثل أخدود نهر بنوي والمجرى الأدنى لنهر النيجر شاهداً آخر على انفصال أفريقيا عن أمريكا الجنوبية، حيث يوجد امتداد لهذا الأخدود في شمال شرق أمريكا الجنوبية وعلى وجه التحديد في دولة جوبانا [6].

---

(1) فليجة، أحمد نجم الدين: أفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مركز إسكندرية للكتاب (الإسكندرية، 1423هـ/ 2002م) ص 127.

(2) المحيشي، عبدالقادر وآخرون: جغرافية القارة الأفريقية وجُزُرها، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان (مصراتة، 1430هـ/ 2000م) ط1، ص 19.

(3) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 127.

(4) ما قبل الكمبري أي منذ 600-500 مليون سنة ويطلق عليه عصر التريلوبيتات وهو عصر الحياة المبكرة الأولى، حيث ظهرت الطحالب والفطريات والرخويات البحرية، وكانت الأرض تتعرض أثناء هذه الحقبة لبراكين مدوية = عون، أحمدمحمد: كتاب المفسدون في الأرض، شبكة المعلومات الدولية، ص2.

(5) آمال شاور، وأحمد علي إسماعيل: إفريقيا المعاصرة – البيئة والإنسان والتحدي، دار الثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة، 1428هـ/ 1998م) ص 7 – 8.

(6) المرجع نفسه، ص 8.

ويؤيد هذه النظرية تشابه التعاريج الساحلية الغربية لأفريقيا مع التعاريج الشرقية لأمريكا الجنوبية، وانطباقهما مع بعضهما، وكذلك التشابه في البنية بين مرتفعات الكاب في جنوب أفريقيا مع مرتفعات فنتانا في الأرجنتين، ومرتفعات جنوب غرب أفريقيا مع مرتفعات البرازيل الجنوبية[1].

ومن الدلائل على التكسر والانفصال ما سجله العلماء من ابتعاد أمريكا الجنوبية عن أفريقيا بمعدل 2 سم سنوياً، وهو المعدل الذي يساوي المسافة الحالية بين القارتين إذا كانت الزحزحة قد بدأت منذ حوالي 200 مليون سنة أي منذ العصر الكريتاسي[2].

ومن المؤكد أن قارة أفريقيا كانت ولا تزال كتلة قديمة بقيت محافظة على شكلها، حيث لم يتأثر أساسها الأركي بأية حركة من حركات الضغط والشد كما تأثرت به بقية القارات الأخرى، وبقيت على هيئة هضبة شديدة الصلابة، لكنها لم تسلم من التغيرات في بعض مظاهر السطح خلال العصور الجيولوجية اللاحقة[3].

فعند النظر إلى قارة أفريقيا، نجد أن داخل الهضبة الإفريقية خال من الجبال الإلتوائية الحديثة المعقدّة التضاريس، ومع كل هذا نجد أنّ هذه القارة لم تسلم من بعض التطورات التي أدت إلى تغيير معالم سطحها في بعض الأقسام خلال العصور الجيولوجية المختلفة، كما أدت إلى تنوع صخورها، فمثلاً: غمرت مياه البحر مسافات واسعة من حافاتها، وانحسارها ثانية في فترات متعاقبة أضاف إلى حافات هذه القارة صخوراً جيرية، تظهر في الوقت الحالي فوق السطح، كما هو الحال في شمال أفريقيوالقرن الأفريقي[4].

---

(1) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 127.

(2) آمال شاور: المرجع السابق، ص 8، نقلاً عن:

Buckle ،C: Land forms In Africa ،Longman (London ،1978). P 10.

(3) عبدالقادر المحيشي، المرجع السابق، ص 20.

(4) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 127.

وانفصلت جزيرة مدغشقر عن القارة، وذلك عند انتهاء العصر الترياسي [1] وهي أكبر الجزر الواقعة أمام ساحلها الغربي وتكاد تنطبق على الساحل الشرقي للقارة المواجهة لها [2].

وفي أثناء العصر الكريتاسي [3]، تكونت صخور جيرية في نطاق يشمل الصحراء الكبرى، ويمتد جنوب نيجيريا والكامرون، وأنجولا حيث كان هناك مضيق بحري ضيق يبدأ من البحر المتوسط [4].

وتعرضت القارة لضغوط شديدة في عصر الأوليجوسين [5] (40 - 25 مليون سنة) لم تستجب لها بالإلتواء سوى مساحات محدودة في شمال أفريقيا فارتفعت جبال أطلس في المغرب على فترات أو دفعات في الأوليجوسين والميوسين [6] وتتفق هذه مع تكوينات جبال الألب الأوروبية [7]. أما بقية القارة فكانت استجابتها للحركات التكتونية ممثلة في صدوع ضخمة، فقد بدأت حركة التصدع الأرضية التي تتبع الخطوط الأرترية التي تتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ويَكاد يُجمع الجغرافيون أن الأخدود الأفريقي العظيم تكون في العصر الكريتاسي واستمر إلى أوائل الزمن الثالث [8].

---

(1) العصر الترياسي: أي منذ 230-180 مليون سنة وفيه ظهر الديناصور الأول والثدييات وبعض الزواحف كالسلحفاة والقوافع والذباب والنباتات الزهرية. أحمد عوف، المرجع السابق، ص3.

(2) آمال شاور: إفريقيا المعاصرة، ص 8.

(3) العصر الكريتاسي: أو الطباشيري أي منذ 135- مليون سنة، وفيه تم انقراض الديناصورات وزادت أعداد الثدييات الصغيرة البدائية كالكنغر وظهرت أشجار البلوط والدردار. أحمد عوف، المرجع السابق، ص 3.

(4) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 129.

(5) عصر الاوليجوسين: معظم صخوره غازية ولقد وجد به أجداد الأفيال المصرية المنقرضة وظهرت ثدييات جديدة كالخنازير البرية والقطط وحيوان الكركدن. أحمد عوف، المرجع السابق، ص 3.

(6) عصر الميوسين: منذ 24 - 5 مليون سنة وفيه عصر الفيلة بمصر وفيه رسوبيات البترول وظهر به ثدييات كالحصان والكلاب والدببة والطيور المعاصرة والقردة، المرجع السابق، ص 4.

(7) سعودي، محمد عبدالغني: أفريقية في شخصية القارة، شخصية الأقاليم، مكتبة الإنجلو المصرية (القاهرة، بدون تاريخ) ص 22.

(8) عبد القادر المحيشي، المرجع السابق، ص 30 ؛ كذلك محمد سعودي، المرجع السابق، ص 22، وأحمد فليجة، المرجع السابق، ص 129، وآمال شاور: أفريقيا المعاصرة، ص 9.

حيث يمتد هذا الأخدود من بحيرة نياسا حتى البحر الأحمر، كما في قارة آسيا حتى جبال طوروس، ويبلغ طول هذا الأخدود حوالي 4800كم، ويلاحظ أن البحيرات الواقعة ضمن الأخدود تمتاز بشكلها الطولي، أولها بحيرة نياسا التي تقع في طرف الأخدود الجنوبي، ويبلغ طولها 575كم، ولا يتجاوز عرضها 32كم، ومياه هذه البحيرة لا تنصرف باتجاه الشمال، بل في اتجاه الجنوب، بواسطة نهر شيري الذي تصب مياهه في دلتا نهر الزمبيزي [1].

وإلى الشمال من بحيرة نياسا يتفرع هذا الأخدود إلى فرعين أحدهما قصير ممتد على هيئة قوس في اتجاه شمال غربي، ثم إلى الشمال والشمال الشرقي تمثل في مجموعة بحيرات تنجانيقا وكيو وادوارد وألبرت وينتهي قرب لادو عند بداية بحر الجبل ويشتمل على نيل ألبرت ونهر السمليكى [2].

أما فرعه الثاني فيتجه شمالاً مع انحراف بسيط شرقاً عبر تنجانيقا، وهنا لا تظهر معالمه بشكل جلي ويستمر شمالاً في كينيا وأثيوبيا حتى البحر الأحمر مكوناً مجموعة من البحيرات الصغيرة مثل بحيرة نايفاشا وناكورد وبارينجو، وتظهر معالمه بشكل واضح في كينيا حيث تمتد حوافه شرقاً وغرباً على شكل هضاب عالية ويكون بحيرة رودلف في شمال كينيا، ثم يأخذ عدة اتجاهات إلى الشمال والشمال الشرقي، فيقسم كتلة الحبشة إلى قسمين، كتلة الصومال في الجنوب الشرقي وهضبة الحبشة في الشمال الغربي [3].

ومن الملاحظ عند دراسة الأخدُود الأفريقي أن اتساعه ووضوح جوانبه، يختلفان من مكان إلى آخر، فبعد أن يكون واسعاً في قسمه الشمالي بين كتلة الصومال وهضبة الحبشة نراه ضيقاً في أقسامه الجنوبية وبعد أن يكون عميقاً شديد الانحدار واضح الجوانب في كينيا، نجده غير واضح الجدران في تنجانيقا حيث عملت التعرية على تغيير معالمه [4].

ونتيجة لحركات الشد إلى الأسفل، تكوّن الوادي الانكساري والتي أدت في الوقت نفسه إلى هبوط القسم الأوسط من المنطقة بفعل الجاذبية، غير أن البعض يرجّح تكوينه نتيجة

(1) فتحي أبو عيانة: جغرافية إفريقية، ص 96.

(2) عبدالقادر المحيشي، المرجع السابق، ص 30.

(3) المرجع السابق، ص 30.

(4) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 131.

لاندفاع السطح على الجانبين بسبب عامل الضغط، وهبوط القسم الأوسط الذي ارتبط بالاندفاع الجانبي [1].

وقد صاحب تكوّن هذا الأخدود ظهور انكسارات شديدة عقّدت من مظاهر السطح، إلى جانب لوافظ بركانية من باطن الأرض سببت في ارتفاع مناطق عديدة من الهضبة وظهور جبال مرتفعة مثل كلمنجارو وكينيا، ومن ظواهر الزمن الثالث أيضاً حركة الإلتواء للتكوينات الجيرية في شمال غرب القارة والتي تكوّنت نتيجة لها جبال أطلس في المغرب والجزائر، وقد سبق هذه الحركات الإلتوائية، حركات أخرى في الزمن الثاني نشأت عنها مرتفعات أقصى جنوب القارة من منطقة الكاب [2].

أما أثناء الزمن الرابع وخلال العصر الحديث، تكوّنت الرواسب البحرية التي تغطي في الوقت الحاضر قيعان الأحواض الداخلية للأنهار كبحيرة تشاد، وبحيرة تومبا وبحيرة ليوبولد في حوض الكونغو، كما تكونت في هذين الزمنين رواسب بحرية في المناطق الشمالية والشرقية من القارة، وقد سبب هذا في ارتفاع قيعان تلك الأحواض [3].

وأخيراً فقد نشر العالم الجيولوجي دي توات سنة 1937م كتابه الذي تضمن دلائل جديدة تؤكد نظرية زحزحة القارات، ورأى قارتين بدلاً من قارة واحدة، الأولى قارة أوراسيا وتشمل أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية، والثانية قارة جندوانا وتشمل أمريكا الجنوبية وأفريقيا واستراليا والهند وأنتاركتيكا، وفي نظريته تأكيد على أن أفريقيا هي قلب جندوانا لاند، وأيده في ذلك الأستاذ كنج معتمداً على الصفة القارية لصخور أفريقيا، حيث أوضح أن نباتات (Glossopeteis) يشيع وجودها في التكوينات الكربونية في البرازيل والهند واستراليا، وانعدام وجودها في أوروبا وأمريكا الشمالية مما يؤيد بأنها تنتمي إلى قارة أخرى غير التي تنتمي لها أوراسيا وأمريكا الشمالية [4].

---

(1) رياض، محمد وكوثر عبدالرسول: إفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية (بيروت، 1393هـ/ 1973م) ص 75.

(2) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 131.

(3) المرجع السابق، ص 132.

(4) عبدالقادر المحيشي، جغرافية القارة الأفريقية وجزرها، ص 34.

4- مناخ القارة:

لكي تكتمل الدراسة الطبيعية لأي منطقة لابد من معرفة ظروفها المناخية وخصائص المناخ فيها، ذلك لأن المناخ يؤثر على حالات المطل وشدّتها وبالنظام المائي وغزارة الأنهار وديمومة جريانها، ويؤثر بشكل مباشر على خصائص التربة وأنواعها والنمو النباتي والحيواني وتنوعها، وفي النهاية يحدد إلى درجة كبيرة أنماط النشاط البشري، وفعالياته الاقتصادية وأنشطته الحياتية والاجتماعية [1].

ويتميز مناخ القارة بالبساطة إذا ما قورن بمناخ بعض القارات الأخرى، حيث يتوسطها خط الاستواء، ومن ثم تتكرّر الخصائص والأقاليم المناخية على كلا جانبيه، كما أن أكثر من ثلاثة أرباع أقاليم القارة تدخل ضمن الأقاليم المدارية، ولا تختلف بها درجات الحرارة كثيراً إذا ما قورنت بالتناقضات الحرارية الكبيرة الموجودة في أوربا وأمريكا الشمالية [2].

وتوجد عدة عوامل تؤثر على مناخ إفريقيا، وكلاً من هذه العوامل يترك بصماته واضحة على مناخ القارة، ويمكن إجمال هذه العناصر المؤثرة على مناخها على النحو التالي:

- الموقع:

تقع القارة الإفريقية بين دائرتي عرض 21 × 37 شمالاً ويمثّله الرأس الأبيض في تونس، وبين 51×35 جنوباً في أقصى الجنوب لجمهورية جنوب أفريقيا، ويخترقها من الوسط خط الاستواء حيث يمر عند نهاية الصومال مروراً بوسط كينيا ووسط أوغندا والأجزاء الشمالية من زائير والكونغو والجابون [3].

كما يقع مدار السرطان في الأجزاء الشمالية للقارة مروراً بمصر عند بحيرة أسوان وجنوب ليبيا والجزائر وأقصى شمال مالي وشمال موريتانيا أما مدار الجدي فيقطع أقسامها الجنوبية مروراً بالأجزاء الجنوبية والأجزاء الشرقية لجمهورية جنوب إفريقيا وجنوب بوتسوانا ووسط ناميبيا [4].

---

(1) إبراهيم سعيد، المرجع السابق، ص 16.
(2) آمال شلور: أفريقيا المعاصرة، ص 73.
(3) عبد القادر المحيشي، المرجع السابق، ص 69.
(4) إبراهيم سعيد، المرجع السابق، ص 17.

وبذلك فإن أغلب أراضي القارة تقع ضمن المدارين مما يؤدي إلى وصول الأشعة الشمسية بشكل عمودي تقريباً عليها، مما أدى إلى ارتفاع معدلات درجات الحرارة فيها، باستثناء المناطق المرتفعة، كما أن موقع القارة إلى الجنوب الغربي من كتلة اليابس الآسيوي أثر تأثيراً كبيراً على قسمها الشمالي الواسع، فجعله صحراوياً وحاراً وذلك بسبب هبوب الرياح التجارية الشمالية الشرقية الجافة معظم أيام السنة [1].

ـ امتداد السلاسل الجبلية:

إن عدم وجود سلاسل جبلية تمتد امتداداً عظيماً في أطراف القارة كما هو الحال في الأمريكتين من مميزاتها، حيث جعلتها هذه الميزة مفتوحة أمام الرياح التي تهب من مناطق الضغط العالي إذ إنه لولا انبساط سطح القارة، وعدم وجود الجبال العالية، لما وصلت الرياح الموسمية الممطرة الجنوبية الغربية إلى السودان والحبشة، وهي القادمة من المحيط الأطلسي وخليج غينيا بعد أن عبرت مئات الكيلومترات من اليابس الأفريقي [2].

ـ البحار والتيارات البحرية:

إن توزيع اليابس والماء على سطح الأرض من أهم العوامل التي تتحكم في المناخ، بعد موقع المكان بالنسبة لخطوط العرض، فالبحار مصدر الرطوبة واعتدال الحرارة، فهذه القارة تحيطها البحار من كل جانب فالمحيط الهندي والبحر الأحمر من الشرق، والمحيط الأطلسي من الغرب، والبحر المتوسط من الشمال [3].

ويعتبر المحيط الهندي الممول الأساسي لأمطار الأقسام الشرقية من القارة، كما يعتبر المحيط الأطلسي مصدر أمطار الأقسام الغربية منها، وبالنسبة للبحر المتوسط، فهو مصدر الأمطار الشتوية، واعتدال الحرارة على السواحل الشمالية للقارة [4].

---

(1) آمال شاور: الجيومورفولوجيا والمناخ، ص 57.

(2) أحمد فليجة: أفريقيا دراسة عامة وإقليمية، ص 154.

(3) المرجع نفسه، ص 155.

(4) المرجع نفسه، ص 155.

- الغطاء النباتي:

يؤثر الغطاء النباتي على المناخ بشكل كبير، فالغابات الكثيفة التي تنمو في الجهات الاستوائية والمدارية من القارة، تساعد بما يتبخر من أوراقها العريضة على زيادة نسبة الرطوبة في الجو، وبذلك تكون عاملاً يسبب في غزارة الأمطار كما تؤثر هذه الغابات والحشائش على النهايات العظمى والصغرى للمدى اليومي والشهري والسنوي للحرارة [1].

فكل هذه العوامل التي ذكرناها تؤثر على المناخ وعناصره من ضغط ورطوبة وحرارة ومطر وهذه العناصر هي التي تتحكم في تقسيم القارة إلى أقاليم مناخية [2].

5- السكان والسلالات البشرية:

قبل أن نخوض في السلالات البشرية علينا أولاً تحديد موطن الدراسة لأن تضاريس ومناخ القارة من الصعب فصله لتشابه المناخ ووحدة التضاريس في أغلب أرضها، أما السلالات البشرية والسكان فالذي يهمنا هم سكان المنطقة الواقعة جنوب الصحراء لأنها موطن الدراسة، وهذه المنطقة عرفت ببلاد السودان عند المصنّفين العرب الذين سبقوا غيرهم في معرفة أقاليم هذه القارة [3].

وكان العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام الذين يقطنون جنوبي الصحراء الكبرى، إلا أنهم كانوا يطلقون هذا اللفظ أحياناً على كل السود الأفريقيين [4].

وقد اقتصر مفهوم السودان على منطقة السودان الأوسط في القرن الثالث الهجري [5]،

---

(1) أحمد فليجة، المرجع نفسه، ص 157.

(2) آمال شاور: الجيومورفولوجيا والمناخ، ص 64.

(3) الطيف، علي حامد خليفة: المراكز التجارية الليبية وعلاقاتها مع ممالك السودان الأوسط، وأثرها على الحياة الاجتماعية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 1371و.ر/ 2003م) ط1، ص 22.

(4) الدالي، الهادي المبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، 1420هـ/ 199م) ص 17.

(5) اليعقوبي، أحمد أبي يعقوب بن جعفر: تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف (بغداد، 1358هـ/1939م) 1/ 250.

وفي القرن الرابع الهجري يذكر المسعودي أن بلاد السودان هي المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى من المحيط الهندي إلى بحر الظلمات [1].

أما المقدسي فقد قال عنها: «وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قِبل الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة، وهم أجناس كثيرة» [2].

وابن حوقل حدّد منطقة السودان بقوله: «وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان، فإن بلدهم في أقصى المغرب على البحر المحيط [3] بلد ملتف.. وحد له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب، وحداً له إلى برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات» [4].

وقد أطلق البكري كلمة السودان على جزء من غرب أفريقيا، وهو الذي يمتد من المحيط الأطلسي غرباً، إلى مشارف التربة على النيل شرقا، واعتبر مدينة سجلماسة مدخلاً إلى بلاد السودان حيث يقول: «أول بلاد السودان... جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق» [5].

ثم أصبح مفهوم بلاد السودان يشمل كل المنطقة الواقعة جنوب الصحراء، وهذا ما نجده عند القلقشندي، حيث حدّد بلاد السودان من الغرب بالبحر المحيط ومن الشرق ببحر القلزم [6]، ويفصّل ذلك بدقة في ست ممالك، ثم يحدّد بلاد السودان بقوله: «إنها تحد بلاد التكرور من الشرق، ثم يكون حدّها من الشمال بلاد إفريقية ومن الجنوب بلاد الهمج» [7].

---

(1) المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت، 1408هـ/ 1988م) 2/ 240.

(2) المقدسي، محمد بن أبي بكر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن، 1379هـ/ 1959م) ص 331.

(3) البحر المحيط: هو المحيط الأطلسي أو الأطلنطي، وكان يعرف قديماً أيضاً باسم بحر الظلمات، سعد غيث، المرجع السابق، ص 29.

(4) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة (بيروت، 1400هـ/ 1979م) ص 24.

(5) البكري، أبو عبيد عبدالله: المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليؤمن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب (تونس، 1413هـ/ 1992م) 2/ 837.

(6) بحر القلزم: المقصود به البحر الأحمر، الهادي الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا، ص 18.

(7) القلقشندي، المصدر السابق، 5/ 274.

ويقول عنها ابن خلدون: «والسودان أصناف شعوب وقبائل، أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة، يليهم الزغاوة، ويليهم الكانم، ويليهم من غربهم كوكو ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانة» [1].

فبلاد السودان إذاً معناها بلاد السود، ولذلك فقد ارتبط اسم السودان بالمناطق التي يقطنها السود، والمتاخمة لمصر وبلدان المغرب من ناحية الجنوب والتي بالإمكان الوصول إليها، وشهدت بالفعل وصول التيارات الأولى منذ وقت مبكر [2].

وأخيراً نخلص إلى أن العرب في العصور الوسطى هم أول من أطلق مصطلح بلاد السودان على الشعوب التي سكنت جنوب الصحراء الكبرى والتي هي مجال بحثنا، ويمكن تحديدها جغرافياً بالمنطقة الواسعة التي تمتد بين الصحراء الأفريقية الكبرى في الشمال والغابات الاستوائية في الجنوب، وشرقاً إلى البحر الأحمر وغرباً إلى المحيط الأطلسي، وأن أصل تسمية بلاد السودان مستوحى من لون البشرة التي يتميز بها سكان تلك المنطقة [3].

وقد قُسّمت بلاد السودان من الناحية العلمية في التاريخ الحديث وبتعارف الدارسين إلى ثلاثة أقسام هي:

1- السودان الغربي: ويشمل حوض السنغال وبوركينا فاسو والنيجر الأوسط [4].
2- السودان الأوسط: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد [5].
3- السودان الشرقي: ويمتد من البحر الأحمر شرقاً حتى إقليم دارفور غرباً أي يتكون من مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة [6].

---

(1) ابن خلدون: العبر، 5/ 234.
(2) علي الطيف، المرجع السابق، ص 24.
(3) محمد، ظاهر جاسم: أفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال (دراسة تاريخية)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة، 1424هـ/ 2003م) ص 34.
(4) سعد غيث، المرجع السابق، ص 32.
(5) حسن، يوسف فضل: دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب، دار جامعة الخرطوم للنشر (الخرطوم، 1410هـ/ 1989م) 2/ 147.
(6) التونسي، محمد بن عمر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق: خليل عساكر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر (القاهرة، 1385هـ/ 1965م) ص 132.

وقد حافظت منطقة جنوب الصحراء على صفاتها الزنجية من بشرة سوداء، وشعر مجعّد، ويقسّم المختصون العناصر الجنسية لجنوب الصحراء إلى:

1- الأقزام.

2- البوشمن والهوتنتوت.

3- الزنوج (السودانيون والبانتو).

4- أنصاف الحاميين (النيليون [الحاميون]).

5- القوقازيون.

وسأحاول دراسة كل جنس من هذه الأجناس[1].

1- الأقزام:

أو الزنوج الصغار ويطلق عليهم اسم البيغمي أو نجرللو، وهم من أقدم الشعوب التي تستقر في الغابات الاستوائية من هذه القارة، وهم مجموعة من القبائل المتجانسة في شكلها وصفاتها العامة وفي أسلوب حياتها[2].

وكان أقدم ذكر للأقزام في وثائق مصرية ترجع إلى الدولة القديمة وعلى وجه الخصوص في أيام ملك من ملوك الأسرة الخامسة الذي أرسل في طلب قزم[3]، وهناك خبر آخر من هيرودوت في القرن الخامس ق.م وهو الذي أطلق عليهم باليونانية لفظ Pygmaioi ومعناها الرجل الذي لا يزيد طوله ما بين كوع الشخص العادي وأصابع قدميه، وظل الأوروبيون يحتفظون بهذا الاسم[4].

والأقزام من أقدم شعوب القارة ويتوزعون في نطاق ضيق يتمثل في نطاق الغابات الاستوائية، بعد أن كانت أوطانهم أكثر اتساعاً، حيث تمتد من سواحل غانا والكامرون

(1) ظاهر محمد، المرجع السابق، ص 13.

(2) إبراهيم سعيد، المرجع السابق، ص 59.

(3) البحكي، فريد: أفريقيا فيما قبل التاريخ (طرابلس، 1401هـ/1980م) ص 100.

(4) المرجع نفسه، ص 100.

وحوض الكونغو حتى هضبة البحيرات مروراً ببحر الغزال [1]، وللأقزام خصائص تميزهم عن باقي سكان القارة، فهم قصار القامة ومتوسط طولهم يصل إلى 135سم وأجسامهم غير متناسقة، فالأذرع طويلة لا تتناسب مع حجم القامة، مع بشرة صفراء رمادية مغطاة بشعر كثيف، والجبهة بارزة مع رأس كبير ووجه بيضاوي الشكل مع شفتين متوسطتين السمك، ولكنهما غير مقلوبتين، وأنف مسطح، والعيون واسعة جاحظة وشعر الرأس مفلفل [2].

ويعيش الأقزام في جماعات صغيرة العدد لا تزيد عن خمسين إلى مائة شخص، ولا تزيد مساكن الجماعة على خمسين كوخاً تقام كلها متلاصقة وسط الغابة [3].

أما حياتهم فهي قائمة على الصيد والجمع والالتقاط لسدّ احتياجاتهم اليومية[4]، ويقومون بجمع العسل من قمم الأشجار، وأسلحتهم بسيطة تتمثل في القوس والسهم المسموم، ويتعامل الأقزام مع الزنوج فيتبادلون معهم الصيد والمحصول الزراعي فيما يعرف باسم التجارة[5] الصامتة [6].

والأقزام اثنا عشر قبيلة رئيسية، تعيش كلها داخل النطاق الغابي الاستوائي في أفريقيا الوسطى، وتؤلف هذه القبائل ثلاث مجموعات متميزة وهي: المجموعة الشرقية التي تعيش في شمال شرق الكونغو وجنوب غرب أوغندا، والمجموعة الوسطى التي تعيش فيما بين نهري كساي ونهر الكونغو، والمجموعة الغربية في جنوب الكامرون. وكان الأقزام يتكلمون لغة الزنوج المجاورين لهم وخاصة لغة البانتو [7].

---

(1) عبدالقادر المحيشي: جغرافية القارة الأفريقية وجزرها، ص 108.

(2) إبراهيم، محمد عبد الفتاح: أفريقية - الأرض والناس - ، مكتبة الإنجلو المصرية (القاهرة، 1384هـ/ 1964م) ص 42 - 43.

(3) محمد رياض: أفريقية دراسة لمقومات القارة، ص 200.

(4) حمدان، جمال: إفريقيا الجديدة - دراسة في الجغرافيا السياسية، دار النهضة المصرية (القاهرة، 1385هـ/ 1966م) ص 249.

(5) ينظر صفحة 56 للتفاصيل عن التجارة الصامتة.

(6) جودة، جودة حسنين: جغرافية أفريقيا الإقليمية، دار النهضة العربية (بيروت، 1402هـ/ 1981م) ص 118.

(7) الزوكة، محمد خميس: جغرافية شرق أفريقيا، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، دون تاريخ) ص 101.

2- البوشمن والهوتنتوت:

وهم أيضاً من الشعوب القديمة في القارة الأفريقية، ويستقرون الآن في وسط وشمال صحراء كلهاري وأنجولا [1].

والبوشمن كالأقزام قصار القامة لا يزيد طولهم على 150سم والجسد نحيف والبشرة صفراء إلى بنية، والشعر مفلفل، وهم يعيشون على القنص بالسهام وهم لا يختلطون بجيرانهم كالأقزام، بل أنهم مستقلون في مواردهم الغذائية، وأهم مظاهر تميّزهم الحضاري هي الدرجة العالية من الفن الذي وصلوا إليه في النقش على الصخر [2].

أما الهوتنتوت، فهم جماعة يرتبط اسمهم دائماً باسم البوشمن، ويشبهونهم شكلاً وثقافة، وقد تأثروا كثيراً بالبانتو وينتشرون في أفريقيا الجنوبية شمال نهر الأورنج، ويشتغلون بالرعي وتربية الماشية والأغنام، ويمارسون بعض الصناعات الحديدية من أسلحة وأدوات بسيطة، وهم أطول قامة من البوشمن [3].

وينقسم البوشمن إلى أربع مجموعات:

- المجموعة الشمالية: حول حوض نهر أوكوانجو وبحيرة نجامي وبذلك تمتد أوطانهم في أنجولا وزامبيا وأفريقيا الجنوبية الغربية وأهم قبائلهم (أوين وكونج).
- المجموعة الوسطى: وتعيش جنوب دلتا أوكوانجو الداخلية وأهم قبائلها (نارون).
- المجموعة الجنوبية: وتمتد أوطانهم من وسط بتسوانا لاند إلى أواسط نهر الأورنج وأهم قبائلهم (نوين وتوا).
- المجموعة الرابعة: فهي تحتل الصحراء الساحلية من مصب نهر الأورنج شمالاً حتى ميناء لودرتيز [4].

---

(1) ظاهر محمد: أفريقيا ما وراء الصحراء، ص 14.

(2) الحريري، محمد مرسي: جغرافية القارة الأفريقية، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1411هـ/ 1990م) ص 218.

(3) محمد، محمد عوض: الشعوب والسلالات الأفريقية، الدار المصرية للتأليف والنشر (القاهرة، 1402هـ/ 1981م) ط2، ص 62.

(4) العمري، أحمد سويلم: الأفريقيون والعرب، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1378هـ/ 1967م) ص 24.

أما الهوتنتوت فينقسمون إلى أربع مجموعات هي: الناما وكورانا والهوتنتوت الشرقية، وهوتنتوت الكيب، ولم يبق منهم إلا مجموعة تعيش في أفريقيا الجنوبية الغربية [1].

وتتمتع المرأة بالرعاية والاحترام، ويظهر ذلك في احترام الرجل لحماته، بحيث يتجنب النظر إليها، وكذلك في احترام الأخ لأخته، وقد تتولى الأخت الكبيرة عقاب أخيها إذا ارتكب أي خطأ [2].

أما لغة الهوتنتوت فهي أغنى من لغة البوشمن قليلاً، وورثوا عنهم كثيراً من التهتة، وامتزجت بها اللغات الحامية [3].

3- الزنوج:

لسعة انتشار هذا الجنس تم تقسيمه إلى قسمين رئيسين هما: الزنوج السودانيون، والبانتو، وبصورة عامة يسود الجنس الزنجي جنوب الصحراء الكبرى والقرن الأفريقي، ويشكل الزنوج 70٪ من جملة سكان القارة [4].

أ – الزنوج السودانيون:

وينتشرون في المنطقة الممتدة من بحيرة تشاد شرقاً حتى السنغال غرباً، ومصب نهر النيجر وسواحل غانا في الجنوب، ويُدعون أيضاً باسم (الزنوج النقاة) و (السودانيون) نسبة إلى السودان الفرنسي وليس إلى دولة السودان، سمّوا كذلك بالنقاة لأنهم أقل الزنوج تأثراً بالأقوام الشمالية (الحاميون) [5] كذلك أطلق عليهم أيضاً اسم (الزنوج الحقيقيون) [6].

---

(1) أحمد العمري، المرجع السابق، ص 24.

(2) محمد عوض، المرجع السابق، ص 40.

(3) سليجمان: السلالات البشرية في أفريقيا، ترجمة: يوسف خليل، مكتبة العالم العربي (القاهرة، 1379هـ/ 1959م) ص 31.

(4) ظاهر محمد، المرجع السابق، ص 14.

(5) محمد عوض، المرجع السابق، ص 33.

(6) إبراهيم سعيد: أفريقيا جنوب الصحراء، ص 63.

ويتصف الزنوج السودانيون بالبشرة السوداء وبطول القامة وبروز الفك وغلظة الشفاه والشعر المفلفل، ويرتبطون مع بعضهم البعض بمميزات اجتماعية وثقافية مشتركة، كالبيوت ذات الأسقف الهرمية [1].

وهذه الشعوب هي التي أنشأت ممالك قوية واسعة الأرجاء مثل مملكة الأشانتي، وهي في الجنوب من غانا، واليوربا في جنوب نيجيريا وهي دولة قوية تشتهر بالمهارة، ومملكة الولوف، وهي في المنطقة الساحلية الممتدة بين نهري السنغال وغامبيا [2].

وينقسم الزنوج السودانيون إلى عدد كبير من القبائل، أبرزها قبيلة (الولوف) المتاخمة لنهر السنغال، وقبيلة (التوكولور والماندي) إلى الشرق منهم، و(السنغاي والموسي واليوروبا والإيبو والهوسا) [3].

ب- البانتو:

أدت الهجرات الأفريقية على امتداد عدة قرون في وسط وشرق إفريقيا من منطقة البحيرات نحو الجنوب الغربي إلى اختلاط ضخم للشعوب الزنجية والتي تعرف باسم الناطقين بالبانتو ومعنى ذلك أنها مجموعة زنجية لغوية واحدة بعكس زنوج غرب إفريقيا الذين تعددت لغاتهم لدرجة كبيرة [4].

وتمتد أوطانهم شمالاً من خليج بيافرا، وتستمر باتجاه شرقي مع تعرجات عديدة إلى الشمال، ثم إلى الجنوب عبر الكونغو وزائير وصولاً إلى منطقة بحيرات أعالي النيل، ويعبر كينيا حتى مصب نهر جوبا على المحيط الهندي، ومن ثم يمتد تواجدهم إلى وسط وجنوب أفريقيا [5].

---

(1) عبدالقادر المحيشي: جغرافية القارة الأفريقية وجزرها، ص 111.

(2) الجوهري، يسري: الإنسان وسلالاته، دار المعارف (الإسكندرية، 1408هـ/ 1987م) ص 191.

(3) زبادية، عبدالقادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر، 1410هـ/ 1989م) ص 11.

(4) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، ص 71.

(5) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 96.

وقد قسم العلماء والباحثون البانتو إلى ثلاث مجموعات:

أ - قبائل البانتو الجنوبية: وتنتشر في روديسيا وموزمبيق وجنوب إفريقيا وبتسوانا وليسوتو وجنوب غرب أفريقيا.

ب- قبائل البانتو الشرقية: وتستقر في أوغندا ورواندا وبورندي وكينيا وتنزانيا وملاوي وزامبيا.

ج- قبائل البانتو الغربية: ويتمركزون في الكونغو والكاميرون والجابون وأنجولا [1].

ويقدر عدد البانتو بنحو 100 مليون نسمة[2]، ويستقرون في ثلث مساحة أفريقيا، ويتكلمون لهجات متعددة، ويعتمدون في حياتهم على الرعي والزراعة وتربية الحيوانات حسب طبيعة الإقليم الذي يتواجدون على أرضه[3]. وأهم جماعاتهم الباستو والزولو [4].

4- النيليون الحاميون:

إلى الشمال من خط البانتو، تعيش أقوام زنجية تأثرت كثيراً عن غيرها بالجنس القوقازي وخاصة بالحاميين، ويظهر ذلك في طول القامة ودقة الأنف والبشرة الفاتحة، وبقي عندهم الشعر المجعد الذي هو من الصفات الأساسية للجنس الزنجي، كما تأثرت لغتهم بلغات الحاميين، حتى أصبح الكثير منهم يتحدثون بالحامية [5].

وقد جرت العادة على تسميتهم بالسلالات النيلية الحامية، أو كما يسميهم البعض أنصاف الحاميين، ويتمركزون في مناطق واسعة من أعالي حوض النيل وهضبة شرق أفريقيا، وتبدأ زيادة الدم الحامي من دائرة العرض السادسة جنوب خط الاستواء وتستمر شمالاً حتى أعالي النيل وبحر الجبل، وينتشر هؤلاء بصورة عامة في الجزء الجنوبي الشرقي من أوغندا، والغربي من كينيا والشمالي من تنجانيقا [6].

---

(1) ظاهر محمد: أفريقيا ما وراء الصحراء، ص 13.

(2) عبدالقادر المحيشي، المرجع السابق، ص 112.

(3) دافدسن، بازال: أفريقيا تحت أضواء جديدة (بيروت، 1385هـ/ 1963م) ص 183.

(4) أحمد إسماعيل: محاضرات في جغرافية أفريقيا، ص 223.

(5) محمد عوض محمد، المرجع السابق، ص 52.

(6) بازال دافدسن، المرجع السابق، ص 183.

ويبلغ تعداد النيليون الحاميون أكثر من ثلاثة ملايين بقليل وأهم قبائلهم: الدنكا – النوير – الشيلوك – الأنواك – الأشولي اللانجو – الليو – بوربلاندا – جولوو (جور) – شيلول ليو في بحر الغزال– الباري – الألور (جوبد هولا) – جوبالوو [1].

5- القوقازيون (الحاميون والساميون):

تنتشر هذه السلالات في الأجزاء الشمالية والشرقية من القارة ويقسّمهم المختصون إلى قسمين – الساميين والحاميين، وهذا التقسيم بني على أساس حضاري وليس جنسي، حيث يرى بعض العلماء أن كلاً من اللغتين: السامية والحامية، من أصل واحد [2].

وقد دخل الساميون إفريقيا منذ زمن بعيد عن طريق برزخ السويس وباب المندب، وآخر الجماعات التي دخلت هم العرب بعد الإسلام، وتنتشر هذه السلالة في شمال أفريقيا وشرقها أي نفس المناطق التي ينتشر فيها الحاميون، وقد دخل الساميون القارة على شكل جماعات قبلية، وهي في بعض الحالات تحتفظ بأسمائها القبلية الأولى، كما أن هذه القبائل لا تزال تحتفظ بطابع الحياة التي اعتادت عليها في مواطنها الأولى، وتعتبر البداوة هي السمة المميزة لهذا العنصر السكاني [3].

أما الحاميون فينتشرون في الأجزاء الشمالية والشرقية من القارة [4]، ومنهم المصريون القدماء، والنوبيون الذين يستقرون على ضفاف النيل إلى الجنوب من أسوان ويهتمون بالزراعة، وقد تأثروا بالقبائل العربية التي نزلت أوطانهم، فعرفوا لغتهم واعتنقوا الإسلام، وهناك الصوماليون من قبائل الجلا التي تمارس الزراعة والرعي، وقبائل الباريا والمنداري الذين ينتشرون في جنوب السودان، كذلك يوجد الطوارق، وهم قبائل حامية تعيش على رعي الإبل وينتشرون في الصحراء الكبرى [5].

---

(1) محمد إبراهيم: أفريقية، ص 68.

(2) ظاهر محمد، المرجع السابق، ص 16.

(3) محمد عوض: الشعوب والسلالات الإفريقية، ص 21 – 22.

(4) البكري: المسالك والممالك، 2/ 163.

(5) محمد عوض محمد، المرجع السابق، ص 26.

ومن الصعب وضع حدود واضحة بين الجماعات السامية والحامية وذلك لأن الحاميين والساميين ينتمون إلى سلالة واحدة وهي سلالة البحر المتوسط وهم يذوبون في بوتقة الإسلام، واللغة العربية هي السائدة [1].

ثانياً: العلاقات العربية الأفريقية قبل الإسلام:

1- العلاقات السياسية:

لم تشكل الصحراء الكبرى منذ القدم عائقاً أمام تواصل الشمال بالجنوب، بل حدثت عدة محاولات لاختراقها، فقد تمكنت مجموعة من شباب النسامونيين (Nasamons) [2] التي كانت تقطن مناطق برقة بليبيا من عبور الصحراء والوصول إلى نهر النيجر [3].

وقد أثبت هيرودوت مسار رحلة هذه المجموعة المدفوعة برغبة المغامرة وحب الاكتشاف، حيث اختار النسامونيون بالقرعة خمسة من شبابهم ارتحلوا في الصحراء في اتجاه الغرب، واجتازوا منطقة صحراوية إلى أن وصلوا إلى سهل يكثر فيه النخيل، فأخذوا في التقاط ثماره، وقد جاءهم رجال من الأقزام ساقوهم أسرى إلى مدينة تقع إلى جوار نهر كبير يجري من الغرب إلى الشرق لعله نهر النيجر [4].

فهذه المغامرة التي اخترقت الصحراء هي أول محاولة للوصول إلى نهر النيجر، وأكدت وجود التواصل بين ليبيا ومناطق ما وراء الصحراء منذ أقدم العصور، فالإنسان في ليبيا منذ القدم لم يتعامل مع الصحراء على أساس أنها عالم مجهول لا يمكن اكتشافه بل إن الآثار

---

(1) ظاهر محمد، المرجع السابق، ص16.

(2) النسامونيون: مجموعة القبائل التي غطت المناطق الواقعة على ساحل خليج سرت. عبدالعليم، مصطفى كمال: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، كلية الآداب (طرابلس، 1386هـ/ 1966م) ص 66.

(3) يونس، محمد المبروك: تاريخ التطور السياسي للعلاقات الليبية الأفريقية 1952 – 1977م، الشركة العامة للورق والطباعة (الزاوية، 1412هـ/ 1991م) ط2، ص 13.

(4) محمد يونس: دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الأفريقية 1969 - 1977م، الشركة العامة للورق والطباعة (الزاوية، 1415هـ/ 1994م) ص 19.

والنقوش الصخرية تعطي مؤشرات دقيقة على وجود نشاط بشري يدل على أن الصحراء الكبرى كانت أسهل اختراقاً في العصور القديمة [1].

كما أن وجود قبائل الجرامنت بفزان، والتي سيطرت منذ القدم حتى الفتح العربي على طرق التجارة مع شعوب مناطق ما وراء الصحراء، يؤكد وجود علاقات وثيقة بين ليبيا والمناطق الأفريقية، وكانت همزة الوصل بين سواحل البحر الأبيض المتوسط وأرض السودان الغربي، فالنقوش المحفورة على الصخور، وما أورده هيرودوت عن الجرامنت، تؤكد تلك الصلات من خلال طرق العربات التي تجرّها أربعة خيول في وسط الصحراء، والتي كانوا يطاردون بها أهل الكهوف من الأثيوبيين، وهؤلاء القوم الذين كانوا يسكنون جبال تبستي، وهذه إشارة واضحة إلى الصلة والاحتكاك المستمر بين الجرامنت وسكان المناطق الأفريقية فيما وراء الصحراء [2].

كما أن استيراد العاج والجلود من قبل الرومان ومن مناطق فزان يدل على وجود الصلات، لأن منطقة فزان لا تشتهر بهاتين السلعتين، وهو أمر دفع بالدولة الرومانية إلى محاولة السيطرة على هذه التجارة الوافدة من مناطق ما وراء الصحراء، فأرسلت الكثير من الحملات العسكرية من 20ق.م إلى 86م، بهدف إخضاع فزان للحكم الروماني، غير أن قوة الجرامنت المتنامية آنذاك قد حالت دون أن تحقق هذه الحملات العسكرية أهدافها، وظل الجرامنتيون يسيطرون على طرق التجارة بين البحر الأبيض المتوسط والسودان الأوسط [3].

ومثلما كانت الصحراء الكبرى جسراً لتوطيد العلاقات والصلات بين شمال أفريقيا ومناطق ما وراء الصحراء، كان البحر الأحمر عبر فترات التاريخ المختلفة طريقاً مهماً يربط ما بين بلاد شرق أفريقيا وشبه الجزيرة العربية [4].

وكانت الحبشة هي القوة المسيطرة في شرق أفريقيا ومن المعلوم أن بلاد الحبشة أخذت

(1) محمد يونس المبروك: تاريخ التطور السياسي، ص 13.

(2) محمد يونس: دور ليبيا في مسار العلاقات، ص 19.

(3) محمد يونس: تاريخ التطور السياسي، ص 14.

(4) المرجع نفسه، ص 15.

اسمها من قبيلة (حبشت) التي وفدت من جزيرة العرب، كما أن اسم الحبشة في العصور القديمة كان يطلق على المنطقة التي تقطن فيها شعوب القرن الأفريقي بما فيهم العفريون [1] والأرمو والصومال والأريتريون وغيرهم [2].

كما أن اللغة الحبشية القديمة التي تعرف (بالجعز) هي لغة سامية اقترنت بتلك المنطقة وقد يسّر هذا سهولة الملاحة في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر، ووجود الموانئ الطبيعية على ساحله الغربي، وكان ارتياد البحر واحداً من المناشط التي ألفها سكان جنوبي الجزيرة والعفريون على حد سواء [3]، ويعتقد بعض العلماء أن الحبشة كانت في الأصل: جماعات عربية يمنية تقطن الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، شرقي حضرموت، ثم هاجرت غرباً حيث عبرت مضيق باب المندب، وأقامت في المناطق المقابلة لليمن على الساحل المواجه من القارة الأفريقية واستوطنت بها [4].

وقد عبر هؤلاء الجنوبيون تدريجياً في زمن قديم لا نستطيع تحديده على وجه الدقة، ومن المرجح أنه حدث قبيل الميلاد وقد تمكن هؤلاء العرب من تأسيس مستعمرة تجارية على الشاطئ الأريتري، ولم يلبثوا أن مدوا نفوذهم نحو الهضبة الإثيوبية، على حساب شعوب الكوش، ثم بمضي الزمن تفرق هؤلاء المهاجرون [5].

وعندما حل القرن الأول الميلادي نجح هؤلاء المهاجرون في تأسيس مملكة أكسوم،

---

(1) العفر: كلمة عربية اشتقت من (العفار أو الغبار) وتقع أرض العفر في القرن الأفريقي على الضفة الغربية للبحر الأحمر، ومعظم أرضهم شبه صحراوية، ويطلق عليها في بعض الأحيان صحراء الدناكل، وسبب إطلاق اسم عفر، وجود ريح شديدة تهب لشهور عديدة دون توقف، وهذه الريح تحمل معها أطناناً من التراب ويعفر بها كل شيء في المنطقة ولذلك أطلق عليهم العرب اسم العفرة. أبوبكر، محمد عثمان: المثلث العفري في القرن الأفريقي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة، 1417هـ/ 1996م) ص 2، 12.

(2) بولم، دينز: الحضارات الإفريقية، ترجمة: نسيم نصر، منشورات عويدات (بيروت، 1409هـ/ 1988م) ط3، ص 58.

(3) محمد أبوبكر، المرجع السابق، ص 56 - 57.

(4) منيسي، سامية عبد العزي: إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة، دار الفكر العربي (القاهرة، 1421هـ/ 2001م) ص 14.

(5) المرجع السابق، ص 14.

ومدينة أكسوم هي عاصمة المملكة الحبشية، وتعتبر المركز الرئيسي للتجارة مع اليونان والمصريين القدماء [1]، ثم ازدهرت مملكة أكسوم وبدأت تمد نفوذها على البلاد المجاورة شمالاً وشرقاً في القرن الثالث الميلادي [2].

وكانت مملكة الحبشة تشتمل على خليط من الحاميين والساميين، وكان لكل قسم منها (تيجري – أمهرا – جوجام – جوا) مَلك خاص، ولها استقلال ذاتي، ومَلك أكسوم كان يدعى مَلك الملوك [3].

وتمتد علاقة العرب ببلاد الحبشة إلى زمن طويل، حيث شن الأحباش حملة عسكرية على الجزيرة العربية ما بين سنتي (277-290م) ويصف نقش أدولس هذه الحملة، وكيف أن ملك أكسوم شن الحرب حتى بلاد السبئيين، واستطاع السيطرة عليها، ويؤكد هذا انقطاع سلسلة النقوش اليمنية الملكية من سنة 300 – 378م [4].

وهذه الغزوة الأولى لليمن لا ترجع إلى عوامل دينية، إذ لم يكن ملك الحبشة قد نبذ الوثنية واعتنق المسيحية، ولم يرد في الأخبار أن الملك (الأعميدا) الذي احتل اليمن كان مسيحياً، ويعتقد أن غزو الأحباش الأول لليمن كان ردّ فعل لسيطرة الحميريين في القرن الأول الميلادي على ساحل أزانيا، أو لتأديب الحميريين على تجرّئهم مهاجمة التجارة الحبشية [5].

وبعد أن اعتنق الملك (عزانا) المسيحية عن طريق المبشّرَين فرومنتوس وأخيه أيديسيوس، وذلك حوالي عام 350م أصبحت المسيحية ديناً رسمياً للمملكة [6]. فقامت بعض الثورات

---

(1) عريبي، علي الطاهر: مملكة أكسوم وعلاقتها بالعرب قبل الإسلام، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الثاني يوليو 1989م، مركز البحوث (سبها، 1410هـ/ 1989م) ص 61.

(2) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 14.

(3) غيث، فتحي: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، النهضة المصرية (القاهرة، بدون تاريخ) ص 21-22.

(4) الطناشي، خديجة: العلاقات السياسية بين القوى الإسلامية والمسيحية في الحبشة، منشورات مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 1417هـ/ 1996م) ص 54.

(5) سالم، السيد عبدالعزيز: تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة(الإسكندرية، بدون تاريخ) 1/ 129-130.

(6) احمد الأحمر: أفريقيا والعرب، ص 48.

في مناطق من مملكته، انتهز اليمنيون الفرصة لانشغال الملك بإخماد هذه الثورات، فتمكن ملكي كرب يهمن من استرداد البلاد، وطرد الأحباش منها فيما بين عامي 370-378م [1].

وكان تحوّل ملوك أكسوم إلى المسيحية إيذاناً بتقارب هذه المملكة مع بيزنطة حامية نصارى الشرق [2].

أصحاب الأخدود والغزو الحبشي الثاني لليمن:

ظلت اليمن في قبضة الحميريين إلى أن غزاها الأحباش للمرة الأخيرة عام 525م [3]، حينما قام (ذو نواس) اليهودي المتعصب وتَسمَّى (بيوسف أو دمُيانوس) بحرق أهل نجران الذين كانوا على الدين المسيحي بعد أن خيّرهم بين اليهودية والقتل، فاختاروا القتل، فخطّ لهم أخدودا - أي حفر لهم حفرة مستطيلة في الأرض كالخندق والجدول ونحوه [4] - وأجّجَ فيه النار، فحرق من حرق بالنار، وقتل من قتل بالسيفِ ومثّل بهم، حتى قتل منهم نحواً من عشرين ألفاً من بينهم امام أهل نجران (عبدالله بن الثامر)[5].

وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ● النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ● إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ● وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ● وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ● ﴾ [6].

ولم ينج من أهل نجران إلا رجل واحد، يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه حتى أتى قيصر الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما فعل ذو نواس، وذلك لأن قيصر الروم نصراني على دينهم، فقال له

(1) السيد سالم، المرجع السابق، ص 48.

(2) المرجع نفسه، ص 124.

(3) سلمية منيمي، المرجع السابق، ص 21.

(4) ابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: جمال ثابت ومحمد محمود، سيد إبراهيم، دار الحديث (القاهرة، 1419هـ/1998م) ط2، 1/48.

(5) فتحي غيث، المرجع السابق، ص 42.

(6) سورة البروج: الآيات (4-8).

قيصر: «بعدت بلادك منا، ولكن سأكتب إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك»[1].

فكتب قيصر إلى ملك الحبشة يأمره بنصره والطلب بثأره فقدم دوس على ملك الحبشة بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة بقيادة (أرياط) ومعه أبرهة بن الصباح، فأقبل بفيله وأمره الملك أن يقتل ثلث الرجال، ويخرب ثلث الديار ويبعث إليه ابن الصباح بثلث النساء، ففعل ذلك بعد أن انتصر على ذي نواس بعد قتال شديد بينه وبين أهل اليمن[2].

أما ذو نواس فركض بفرسه في البحر، فدخل فيه وغرق وكان آخر العهد به، ودخل أرياط اليمن وملكها وبدأ بذلك حكم الحبش لليمن[3].

أقام أرياط بأرض اليمن سنين يحكمها من قبل الحبشة، بلغت عشرين سنة، لا ينازعه في حكمها أحد، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، حتى تفرّقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما إلى الآخر، فلمّا تقارب الناس أرسل أبرهة إليه: «إنك لا تضع بأن تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً فابرز إليَّ وأبرز إليك، فأينا أصاب انصرف إلى جنده»، فأرسل إليه أرياط، أنصفت[4]، فخرج إليه أبرهة وكان رجلاً قصيراً لحيماً، وكان ذا دين في النصرانية، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً طويلاً وفي يده حربة وخلف أبرهة غلام له يقال له عقوده يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة وضرب بها أبرهة ضربة وقعت على جبهته، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته، فسمّي أبرهة الأشرم، فقام غلامه على أرياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف جند أرياط إلى أبرهة واجتمعت عليه الحبشة باليمن[5].

ولما علم ملك الحبشة ذلك غضب غضباً شديداً وقال: «عدى على أميري فقتله بغير

---

(1) ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، تحقيق: أحمد بن شعبان بن أحمد، محمد بن عيادي بن عبدالحليم، مكتبة الصفا (القاهرة، 1423هـ/ 2003م) 2/ 144.

(2) سامية منيسي: إسلام نجاشي الحبشة، ص22.

(3) المسعودي: مروج الذهب، 2/ 78.

(4) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 53.

(5) المصدر نفسه، 1/ 54.

أمري» وحلف بالمسيح أن لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته ويريق دمه، فلما بلغ ذلك أبرهة جزّ ناصيته وجعلها في حق من العاج، وجعل من دمه في قارورة وملأ جراباً من تراب اليمن وأرسله إلى النجاشي مع هدايا كثيرة[1].

وكتب إليه يعترف بعبوديته له، ويحلف له على النصرانية أنه على طاعته وولائه، وأنه قد أبر يمين مليكه بإرساله ناصيته، ودمه وتراب بلاده «... وَلْيُطْفِئ الملك عني غضبه، فقد أبررت يمينه وهو على سرير ملكه» فأعجب ملك الحبشة به وصفح عنه[2].

- توجه أبرهة الأشرم بالفيل لهدم الكعبة ونهاية الاحتلال الحبشي

بعد أن استقر الحكم في اليمن لأبرهة أراد أن يصرف العرب عن الحج إلى بيت الله الحرام بمكة إلى الدين المسيحي، فبنى بصنعاء كنيسة، بناها بالرخام الأبيض والأحمر والأسود والأصفر، وحلاّها بالذهب والفضة، ورصَّعَهَا بالجواهر وجعل أبوابها من صفائح الذهب، وسمّاها القليس، وأرسل إلى النجاشي[3] يخطره بأمرها، وبأنه لن ينتهي حتى يصرف إليها حجاج العرب وقال: «لست بمنتهي حتى أصرف إليها حجّ العرب»[4].

فلما علم العرب بذلك خرج رجل منهم من بني كنانة ودخل القليس وأحدث فيها ثم غادرها إلى أرضه، ولما علم أبرهة غضب غضباً شديداً، وأقسم أن يسير إلى البيت ويهدّمه، ثم أمر جنده من الحبشة فتجهزوا وساروا معه بالفيل لهدم الكعبة[5].

ثم نزل أبرهة المغمس[6] وأرسل رجلاً إلى مكة من الحبش يقال له الأسود بن مقصود

---

(1) المسعودي، المصدر السابق، 2/ 78.

(2) المصدر نفسه، 2/ 78.

(3) النجاشي: هو اسم لكل من ملك الحبشة كما يسمى كل خليفة للمسلمين أمير المؤمنين، ومن ملك الروم قيصر، والترك خاقان والفرس كسرى، والقبط فرعون، يُنظر: الحافظ السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن: رفع شأن الحبشان، تحقيق: محمد عبد الوهاب فضل، مطبعة كوبك حادة (القاهرة، 1411هـ/ 1991م) ص 222.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، 2/ 117.

(5) ابن كثير، المصدر السابق، 2/ 145.

(6) المغمس: موضع قريب من مكة بطريق الطائف. طبارة، عفيف عبدالفتاح: روح القرآن، تفسير جزء عمّ، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، بدون تاريخ) ص 175.

على خيل فاستولى على أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هشام سيد قريش، ثم بعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة يعلمهم أنه لم يحضر لقتالهم، وإنما لهدم البيت، وأمره أن يقابل سيد قريش ويبلغه ذلك، فإن لم يرد حربه فليأته به[1]، فلما قابله، قال له عبدالمطلب: «والله ما نريد حربَه ومالنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم (عليه السلام)، فإن يُمنعه منه فهو بيته وَحَرَمُهُ، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه» [2].

وانطلق عبدالمطلب فدخل على أبرهة وقدّمه أنيس سائس الفيل إلى أبرهة قائلاً: «أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذنك، وهو صاحب عين مكة فأذن له عليك فيكلمك في حاجته، فأذن له أبرهة، ثم أكرمه وأعظمه لوسامته وجماله وعظمته وجلس معه على البساط، وطلب منه المائتي بعير التي أصابها جيشه منه، فردّها عليه، ثم عاد عبدالمطلب وتعلّق بحلق باب الكعبة مع نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنوده»[3]، وأنشد عبد المطلب وهو آخِذٌ بحلقة باب الكعبة:

يا رب لا أرجو لهم سواكا ❖ يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا ❖ امنعهم أن يَخْرِبوا قراكا[4].

وانطلقت قريش إلى شعف الجبال محتمين فيها من أبرهة وجنده، وفي الصباح تهيأ أبرهة بجيشه لدخول مكة، إلا أن فيله (محمود) أبى التوجّه إلى مكة رغم ما فعلوه معه فكان يبرك إذا وُجّه لمكة بينما يهرول إذا وجّهِ إلى مكان آخر [5].

فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها ؛ حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب

---

(1) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 24.
(2) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 58 - 59.
(3) المصدر نفسه، 1/ 59.
(4) عفيف طبارة، المرجع السابق، ص 176.
(5) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 24.

منهم أحداً إلا هلك [1]، وأصيب أبرهة في جسده، وأنامله تسقط أنملة أنملة بقيح ودم، حتى قدموا صنعاء فمات بها [2].

وقال تعالى في هذا الحدث العظيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ● أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ● وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ ● تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ● فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ● ﴾ [3].

يقول البيهقي: «فبقى عبدالمطلب ثابتاً في الحرم حتى أهلك الله تعالى الفيل وأصحابه، فرجعت قريش وقد عظم فيهم لصبره وتعظيمه محارم الله عز وجل» [4].

ولم تُصِب الحجارة كل جيش أبرهة، فخرج الباقون هاربين يتدبّرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة:

أيــن المَفرُّ والإلـه الطّالِبُ ❖ والأشْرَمُ المَغْلُوبُ لَيْسَ الغالِبُ [5]

وقال أيضاً:

حَمِدتُ الله إذ أبصرتُ طيراً ❖ وخفــــت حِجَارة تُلقَى عَلينَا
وكل القوم يسأل عن نفيل ❖ كــأن عــليّ للحُبْشــــانِ ديناً [6]

وخلف أبرهة في حكم اليمن ابناه يكسوم ثم مسروق على التوالي، إلاّ أنهما أساءا السيرة، فاستنجد سيف بن ذي يزن بقيصر الروم، فرفض لأن ملوك الحبشة نصارى مثله وهم يهود، فاستنجد بكسرى أنو شروان فوعده بالنصر، إلا أنه انشغل بحرب الروم، فلما مات سيف بن ذي يزن استنجد ابنه معد يكرب بكسرى فأرسل قائده وهرز والتقى جيشه بحمير وكهلان

(1) فتحي غيث، المرجع السابق، ص 44.
(2) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 61.
(3) سورة الفيل: الآيات 1 – 5.
(4) البيهقي: دلائل النبوة، دار الكتب العلمية (بيروت، 1405هـ/ 1985م) 1/ 85.
(5) ابن هشام: السيرة النبوية، 1/ 61.
(6) المصدر نفسه، 1/ 61 – 62.

وسائر سكان اليمن فانتصروا على الحبشة وقتل مسروق، وتولى معد يكرب الحكم باليمن وكان آخر ملوك اليمن من قحطان [1]، وبتدخل الفرس عاد الأحباش إلى بلادهم في عام 590م وكانت تلك نهاية السيطرة الحبشية على بلاد العرب [2].

2 – العلاقات التجارية:

تعتبر ليبيا البوابة الإفريقية تجاه أوروبا من خلال البحر المتوسط ومثلث مراكز التجمع في الأراضي الليبية، من موانئ وواحات الصحراء – محطات تجمع للقوافل المتحركة بين مناطق المغرب العربي والدول الإفريقية لتبادل البضائع [3]، وبحكم هذا الموقع شكلت ليبيا حلقة الوصل والطريق التجاري بين وسط القارة وجنوبها مع أوروبا في الشمال [4].

كما كان سكان المنطقة يتمتعون بمستوى عالٍ من النضج حيث أرسلوا مجموعة من الشبان النسامونيين من أبناء الرؤساء في سرت لاختراق الصحراء وصولاً إلى بلاد السودان كما أشرنا لذلك في العلاقات السياسية، وهي أول مجموعة أشارت إليها المصادر التاريخية التي وصلت إلى هذه البلاد [5]، وهناك ما يشير إلى أن قبائل الجرامنت بفزان، كانت قد قامت بدور فعال في إحياء الصلات التجارية المتينة بين موانئ البحر الأبيض المتوسط وأراضي السودان الغربي في القرن الخامس ق.م [6].

كما كان للفينيقيين في القرن الخامس قبل الميلاد دور كبير في العلاقات التجارية مع الأفارقة جنوب الصحراء، حيث أسسوا مستعمرات تجارية على الساحل الغربي لأفريقيا،

---

(1) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 70 – 71، كذلك ابن كثير، المصدر السابق، 2/ 151 - 152.

(2) فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، ص 46.

(3) الفيتوري، أحمد سعيد: ليبيا وتجارة القوافل، الإدارة العامة للآثار (طرابلس، 1392هـ/ 1972م) ص 8.

(4) ظاهر محمد: العلاقات الليبية الأفريقية 1969 – 2000م، مجلة كلية الدعوة الإسلامية العدد 20 لسنة 2003 (طرابلس 1424هـ/ 2003م) ص 152.

(5) بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، جامعة قاريونس (بنغازي، 1410هـ/ 1988م) ص 47.

(6) ظاهر محمد: العلاقات الليبية الأفريقية، ص 152.

وهم الذين وصفهم هيرودوت بأصحاب التجارة الخرساء أو التجارة الصامتة مع الأفارقة[1].

وقد جاء في معجم البلدان وصف دقيق للتجارة الخرساء حيث يذكر ياقوت أن التجار من بلاد لمتونة عندما يصلون إلى الموضع الذي يحجر بينهم وبين أصحاب بلاد السودان، يضربون طبولاً معهم كبيرة تسمع في الأفق، فإذا علم التاجر أنهم سمعوا الطبل أخرجوا ما صحبهم من البضائع، ووضع كل تاجر ما يخصُّه كل صنف على جهة، ويذهبون عن الموضع، فيأتي السودان ومعهم التبر، فيضعون إلى جانب كل صنف منها مقداراً من التبر وينصرفون ثم يأتي التاجر فيأخذ ما وجد بجنب بضاعته من التبر ويتركون البضائع وينصرفون بعد أن يضربوا طبولهم[2].

وقد كان لقرطاج دور هام في الحركة التجارية بين سواحل الشمال الإفريقي، ومناطق ما وراء الصحراء الأفريقية، حيث استمدت أهميتها وازدهارها من خلال تلك العلاقات التجارية الوطيدة، وظلت التجارة مزدهرة بين سواحل الشمال الأفريقي ومناطق ما وراء الصحراء حتى فترة انهيار روما، فتدهورت التجارة بعدها على الرغم من محاولات الحكم البيزنطي الحؤول دون ذلك[3].

أما بالنسبة للساحل الشرقي، فالصلة قديمة وعريقة وتعود إلى ما قبل الميلاد، حيث يشير الأثريون إلى علاقة شعوب بلاد الرافدين بالسواحل الشرقية لأفريقيا، حيث تم العثور على نقوش سومرية وبابلية ترجع إلى عهد سرجون الأكدي الذي حكم بلاد وادي الرافدين من عام 2350-2284ق.م[4].

كذلك قامت علاقات تجارية بين مصر والبلدان الواقعة على حوض النيل إلى الصومال

(1) زيربو، جوزيف كي: تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة: يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1415هـ/ 1994م) ص 135.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2/ 12-13.

(3) محمد سعودي: قضايا أفريقية، ص 82.

(4) ظاهر محمد: التواصل العربي الأفريقي عبر التاريخ ودور ليبيا في إدامته، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 18 لسنة 2001م (طرابلس، 1422هـ/ 2001م) ص 28.

وشرق أفريقيا وغربها ومنها في عهد الملك ساحورع، وهو أول ملك أثبتت آثاره أنه مؤسس المواصلات البحرية مع الصومال [1].

لقد عرف العرب أفريقيا الشرقية واندمجوا مع سكانها الأصليين، ومما حفز على ذلك التبادل التجاري، وتصريف منتجات أفريقيا الشرقية، وربطها بأهم مصادر الإنتاج العالمي في الشرق الأقصى وبلاد البحر المتوسط، وقد ساعد على ذلك عوامل الجوار والتوجيه البحري والتجاري، وبمعنى آخر المواجهة المكانية للجزيرة العربية أمام أفريقيا بالإضافة إلى الظروف الجغرافية والمناخية السائدة [2].

إن أقدم المصادر تتحدّث عن حالة العرب في سواحل شرق أفريقيا، وهو كتاب وضعه أحد الملاحين الإغريق، ويعرف باسم الدليل الملاحي للبحر الأريتري، والبحر الأريتري كان يطلق على الجزء الغربي من المحيط الهندي، وعلى وجه التحديد الجزء الملامس لسواحل شرق أفريقيا، حيث يصف هذا الكتاب حالة العرب وتجارتهم في المنطقة، فهو يعجب في فقرات عديدة من كثرة عدد السفن العربية، وعن اختلاط العرب وتزواجهم من القبائل الأفريقية، ويعتبر هذا الكتاب أول مصدر أكد العلاقات التي كانت قائمة بين العرب من جنوب الجزيرة العربية والساحل الشرقي لأفريقيا [3].

كما نجد المؤرخ الروماني بلينيوس 70م، يشير إلى أن التبابعة ملوك اليمن كانوا على دراية بمناطق كبيرة من الساحل الشرقي لأفريقيا وجزرها، وقد احتكروا تجارة بعض الأصناف وحرّموا على العامة الإتجار بها، كالطيوب والرقيق لكي تبقى حكراً عليهم [4].

وقد حدث تبادل تجاري عن طريق اليمن وغيرها، حيث تجلب مصر والشام العاج

---

(1) ظاهر محمد: أفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة، 1424هـ/ 2003م) ص 68.

(2) علي عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الثاني يوليو سنة 1989م، مركز البحوث (سبها، 1410هـ/ 1989م) ص 62.

(3) قاسم، جمال زكريا: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة، 1395هـ/ 1975م) ص 52-53.

(4) علي عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 63.

والذهب من إثيوبيا، وقد اشتغلت دول العرب القديمة مثل تدمر ومعين وسبأ في التجارة، ومارس اليهود تجارة القوافل حتى أصبحت يثرب تنافس مكة في الثراء، وكانت مفاتيح التجارة في أيدي اليمنيين حتى القرن السادس قبل الميلاد، حيث نافسهم الرومان في البحر الأحمر مما أدى إلى سقوط سبأ، ثم قام الحجازيون بعد السبئيين بنقل التجارة من وإلى الجزيرة العربية ونشأ في مكة سوق خاص لبيع العبيد الذين كانوا يُجلَبون من الحبشة واليمن [1].

ثم ظهرت قدرات قريش التجارية ونجحت في السيطرة على الشريان التجاري إلى بلاد الهند، واحتكرت تجارة الهند بفضل زعيمها هاشم بن عبد مناف، الذي سن رحلتي الشتاء والصيف، فرحلة الشتاء كانت إلى بلاد الشام، وأما رحلة الصيف فكانت إلى الحبشة، وقد أخذ هاشم الإيلاف (أي العهد) من قيصر الروم لحفظ تجارة العرب من قريش، كما أخذ أخوه عبد شمس العهد من صاحب الحبشة، حيث كانت تجارته هناك، بينما أخذ عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف العهد من ملوك اليمن، أما نوفل بن عبدالمطلب، فقد أخذ العهد من ملوك العراق، فألفوا الرحلتين في الشتاء والصيف إلى اليمن والحبشة والعراق [2].

وقد بلغت رحلات قريش التجارية من الأهمية إلى أن ورد ذكرها في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ● إِيلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ● فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ● ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ● وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ● ﴾ [3].

وكانت مكة على صلة وثيقة ببلاد الحبشة، والدليل على ذلك وجود طائفة من الصناع الأحابيش أو عبدان أهل مكة أو سودان مكة، وكان ضمن تجارة العرب من الصومال الأرائك والأسرّة المصنوعة من خشب الصومال، كما انتقلت منتجات أفريقيا الشرقية من العطور وخشب الأبنوس وريش النعام والأدم واللبان والمر والأحجار الكريمة والجلود عن طريق العرب إلى القسطنطينية [4].

وكان اتصال تجار مكة بالحبشة والصومال يتم عن طريق البحر الأحمر، وكان لمكة ميناء

---

(1) حسن، علي إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، بدون تاريخ) ص 495–496.

(2) سامية منيسي: إسلام نجاشي الحبشة، ص 32.

(3) سورة قريش: الآيات (1 – 5).

(4) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 31.

على هذا البحر هو ميناء الشعيبة، يستخدمه تجار مكة على الموانئ القريبة منه للاتصال بالحبشة والصومال، وكانت قوافل قريش أشبه بحملات تكون بالآلاف من الإبل التي يقوم على حمايتها جيش خاص سمي بالأحابيش قد يكونون من العرب أو السودان [1].

والجدير بالذكر أن العرب اكتفوا في الفترة السابقة لظهور الإسلام، بالاستقرار المؤقت على الساحل، ولم يحاولوا التوغل في الداخل مكتفين بإنشاء المراكز التجارية لتصدير تراب الذهب والعاج، والرقيق الذين كانوا يحملونه إلى الدولتين الفارسية والرومانية واللتان كانتا تلحان في طلبهم [2]، وتعاونت القبائل الأفريقية مع العرب في هذه التجارة حيث كان الرؤساء وزعماء القبائل يأتون إلى الساحل بالذهب والعاج والرقيق فيقايضون التجار العرب بما يحملونه، وكانت البضائع الأفريقية غالباً ما تستبقى في المراكز التجارية التي أقامها التجار العرب على الساحل إلى أن يحين موسم الرياح حيث يتم نقلها إلى الخليج العربي، وسواحل الجزيرة العربية في رحلة العودة، وكان العرب يقايضون على ما يأخذونه بالخرز الذي كانوا يحصلون عليه من الهند [3].

3- الهجرات العربية لأفريقيا قبل الإسلام:

قبل الحديث عن استقرار العرب في أفريقيا قبل الإسلام لابد من الإشارة إلى العوامل التي ساعدت على الاتصال العربي الأفريقي، ومن أبرز هذه العوامل، عامل الموقع الذي شجع على الهجرة، فالجزيرة العربية بموقعها المواجه لأفريقيا كان ذا تأثير على الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا وأدى إلى دخول العرب على طول جبهة طويلة تمتد من برزخ السويس إلى موزمبيق ومدغشقر [4].

ولم يكن عامل الموقع وحده هو السبب في قيام العلاقات بشرق أفريقيا، بل ساهم في

(1) فتحي غيث، المرجع السابق، ص 51.

(2) جمال قاسم، المرجع السابق، ص 53.

(3) المرجع نفسه، ص 53 – 54.

(4) عبدالرسول، كوثر: دراسات في الهجرة الحديثة إلى أفريقيا – العرب في شرق أفريقيا، كلية الآداب (عين شمس، 1393هـ/ 1973م) ص 250.

ذلك التوجه البحري والتجاري لعرب جنوب الجزيرة عامة، وعرب مسقط وعمان بصفة خاصة، وإذا كان من الصعب أن نحدّد بداية العلاقات بين الشرق الأفريقي وعرب الجزيرة العربية خاصة عرب عمان وحضرموت واليمن، إلا أنه يمكن القول أنها اقترنت بركوب البحر وبناء السفن التي تخوض عباب البحر [1].

وظل الاتصال البحري ينمو ويتسع قبل الإسلام، ومما ساعد على نشاط حركة الملاحة (الرياح الموسمية) [2] التي تهب على منطقة المحيط الهندي وتمكن السفن الشراعية المعروفة باسم (الداو أو الداوة) [3] من القيام برحلتين منتظمتين في السنة بأقل مجهود، ففي الخريف تدفعها الرياح في اتجاه جنوبي غربي، فتخرج من خليج عمان إلى المحيط الهندي، ثم تسير بمحاذاة الساحل الأفريقي الذي ينحني في اتجاه جنوبي غربي [4].

وفي فصل الربيع تدفعها في اتجاه شمالي شرقي يمكن السفن من العودة إلى قواعدها في سواحل شبه الجزيرة العربية، ومن خلال دورة الرياح هذه يتم التعامل التجاري، وقد ظلت هذه الرياح الموسمية سراً من الأسرار التي احتفظ بها العرب إلى أن تمكن ملاح إغريقي سنة 45م من كشف اتجاه هذه الرياح، كذلك لم يقتصر العرب بنشاطهم على الساحل الشرقي لأفريقيا وإنما اندفعوا بفضل تلك الرياح إلى الشرق الأقصى حيث وجدت بعض المستوطنات العربية في سواحل الهند وجزر الشرق الأقصى [5].

وكان لانهيار سد مأرب عام 120 ميلادية أي قبل الإسلام بخمسة قرون أثره الكبير في هجرة الكثير من العرب إلى شرق أفريقيا، وخاصة إلى الصومال [6]، كما أن لحالات الجفاف

---

(1) علي عريبي، المرجع السابق، ص 57 – 58.

(2) الشطشاط: علي حسين: الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا ودورها في نشر الإسلام والعروبة، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد الأول، دار المدار الإسلامي (زليتن، 1371و.ر/ 2003م) ص 419.

(3) الحويري، محمود محمد: ساحل شرق أفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، دار المعارف (القاهرة، 1407هـ/ 1986م) ط1، ص 17.

(4) جمال قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ص 50.

(5) المرجع نفسه، ص 50 – 51.

(6) النجار، عبدالرحمن: الإسلام في الصومال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة، 1393هـ/ 1973م) ص 55.

والقحط التي مسّت الجزيرة العربية لعصور متتالية دوراً في هجرة العرب إلى أفريقيا بحثاً عن متطلبات العيش[1].

هذه أبرز العوامل التي ساعدت على الاتصال العربي بأفريقيا قبل الإسلام، أضف إليها روح الكشف والمغامرة للّاحي العرب[2]، أما عن بداية التواجد العربي بأفريقيا، فمن الصعب التوصل إلى حقائق ثابتة، فالروايات المحلية، والدليل الملاحي للمؤلف الإغريقي، أكّدت على العلاقات التي كانت قائمة بين عرب جنوب الجزيرة والساحل الشرقي لأفريقيا، وأشارت إلى ولاء بعض زعماء الساحل لأمراء حمير في جنوب الجزيرة العربية[3].

كما أن التأثير العربي كان واضحاً في الساحل الشرقي لأفريقيا إلى درجة أن أطلق الإغريق والرومان عليه اسم ساحل عزانيا، نسبة إلى إحدى الممالك القديمة وهي مملكة عزان، ويعتقد أنها في منطقة ما في جنوب الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام[4].

ولما كانت الجزيرة العربية تواجه شرق وشمال شرق أفريقيا ولا يفصل بين الجانبين سوى البحر الأحمر، كان من الطبيعي أن يحدث اتصال بين الجانبين بل إن هجرات عربية اتجهت نحو أفريقيا عن طريق باب المندب جنوباً، ولم تكن الهجرات العربية إلى أفريقيا لتستقر على السواحل الشرقية للقارة الأفريقية دون الدخول إلى وسطها[5].

وقد عبرت القبائل العربية مضيق باب المندب من اليمن إلى شرق أفريقيا، ثم عبرت على طول خطوط العرض حتى استقرت في بلاد اليوربا غربي نيجيريا، وأوغلت جنوباً عن طريق بحر العرب والمحيط الهندي إلى زنجبار وشواطئ كينيا وتنجانيقا، ووصلت إلى جبال القمر وهضبة البحيرات ثم إلى خط تقسيم المياه بين نهري النيل والكونغو[6].

(1) ظاهر محمد: أفريقيا ما وراء الصحراء، ص 69.

(2) علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 420.

(3) علي عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 58.

(4) المرجع نفسه، ص 58.

(5) الجبير، أحمد: العلاقات العربية الأفريقية، الجامعة المفتوحة (بنغازي، بدون تاريخ) ص 11.

(6) محمد يونس: تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الأفريقية، ص 15.

ومن مظاهر الاستيطان العربي على ساحل شرق أفريقيا ما قام به الملوك السبائيون في اليمن في القرن الأول الميلادي من استيطان للساحل الشرقي[1]، وكذلك ما حدث من تزاوج العرب من أفريقيات[2].

وبعد وقوع اليمن تحت حكم الأحباش في القرنين الرابع والسادس الميلاديين، فإن ذلك كان سبباً في النزوح الأفريقي إلى الجزيرة العربية، وهذا مثال للتواصل بالاتجاه المعاكس، وعلى الرغم من ارتباط ذلك بعوامل عسكرية، إلا أن آثار هذا التواصل كانت واضحة[3]، كما يذكر الأصفهاني أخبار حول استقرار العرب في الحبشة، والأحباش في الحجاز، حيث كانت أرض الحبشة (متجراً ووجهةً لقريش)[4].

ومما تقدم يتضح لنا أن مرحلة الهجرة والتواصل العربي الأفريقي على هيئة أفراد وجماعات قديمة ولا شك أنها بدأت في عصور ما قبل التاريخ، وقد تأثرت بعوامل منها عامل الجوار والاقتصاد والثقافة، وهي التي كونت الأسس المتينة للعلاقات العربية الأفريقية مع بلاد ما وراء الصحراء في العصور اللاحقة[5].

وإجمالاً فإنه يمكن القول أن العرب ارتبطوا في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام ببلاد الحبشة وشرق إفريقية، ارتباطاً وثيقاً من النواحي السياسية، والاقتصادية، والتجارية، ويتضح ذلك في الحملات التي يرسلها حكام الحبشة وملوكها إلى بلاد العرب، وأيضاً من خلال رحلات التجار العرب البحرية باتجاه البلدان الأفريقية محملة بالخناجر، والرماح، والزجاج، ثم عودتها محملة بالعاج وقرن الخرتيت والجلود والرقيق[6].

(1) علي عريبي، المرجع السابق، ص 63.

(2) ظاهر محمد: التواصل العربي الأفريقي، ص 30.

(3) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة عزالدين للنشر (بيروت، 1406هـ/ 1985م) 2/ 380.

(4) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، مؤسسة عز الدين (بيروت، بدون تاريخ) 8/ 52.

(5) ظاهر محمد: التواصل العربي الأفريقية، ص 31، كذلك، علي عريبي، المرجع السابق، ص 63

(6) خديجة الطناشي، المرجع السابق، ص 52.

الفصل الثاني

الهجرة وآثارها
في انتشار الإسلام بإفريقيا

يحتوي هذا الفصل على:

- أولا: هجرة صحابة رسول الله ﷺ إلى الحبشة
- ثانيا: أهم الهجرات الإسلامية لأفريقيا

الفصل الثاني
الهجرة وأثرها في انتشار الإسلام بأفريقيا

إن العلاقات بين العرب والأفارقة قديمة جداً، فلقد كانت الصلة بين سكان شبه الجزيرة العربية وأفريقيا، ميسورة وسهلة عن طريق مضيق باب المندب، وشبه جزيرة سيناء، وكانت سواحل المحيط الهندي الأفريقية والعربية تمثل نقاط تواصل مهمة بين المنطقتين، وفي وسط الصحراء كانت الإبل وسيلة التواصل البري مع جنوب الصحراء وشمالها [1].

والأمر الذي لا شك فيه أن الصلات كانت قائمة لا تنقطع قبل الإسلام [2]، وعندما ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي أدى ذلك إلى ازدياد وشائج الاتصال العربي الأفريقي، لأن الإسلام أمدّ العرب بسياج ديني وفكري ساعدهم على خلق وحدة وطنية وازدهار نهضة ثقافية، ومنذ البدء صار الإسلام الركيزة الأساسية للثقافة العربية الجديدة. كما أصبحت اللغة العربية لغة القرآن الكريم حاضنة الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، وتحت راية الإسلام خرج العرب صوب الشرق والغرب والشمال لإعلاء كلمة الله. وفي زمن وجيز تمكّنوا من نشر الإسلام في أجزاء كبيرة من القارة الأفريقية [3].

ولم يتوقف نشاط الهجرات الإسلامية لأفريقيا عند الساحل بل تعمّقت في كثير من الأحوال حتى وصلت قلب القارة، ويلاحظ أن المهاجرين العرب لأفريقية قلّما صحبوا زوجاتهم في هجراتهم، فالمرأة العربية كانت التقاليد تحميها من المغامرات والأخطار [4].

وكان العربي قريب الشبه في زيّه وطعامه من أصحاب البلاد الأصليين، أو إن صح التعبير له قدرة ليصبح كذلك، ونتج عن هذا أن حدث تزاوج وارتباط واسع المدى بين الطرفين، وهذا الارتباط قصّر المسافة بين الجانبين ويسّر انتشار الإسلام بين هذه الجماعات،

---

(1) علي الشطشاط: الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا، ص 420.

(2) جمال قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ص 55.

(3) علي الشطشاط: المرجع السابق، ص 467.

(4) شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي - الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1421هـ/ 2000م) ط6، 6/ 182.

وأحسّ المسلمون من سكان البلاد الأصليين أن العرب جاءوا من أرض النبي (ﷺ) فسلّموهم القيادة في كثير من الأحوال، يقول Mocr: "إنّه قلّ أن ترىٰ أسرة حاكمة في غربي أفريقية لا تنتسب إلى أصل عربي، ومنهم من يرتفع بنسبه إلى الأسر التي حكمت في الشرق كالأمويين، بل أحياناً إلى الأسر التي ترتبط بالرسول (ﷺ) كالعلويين والعباسيين والفاطميين"[1].

ونتج عن استقرار العرب الدائم في أفريقيا إقامة كيانات سياسية عربية إسلامية، وشهد الساحل الشرقي لأفريقيا قيام الكثير من الإمارات والمدن العربية والإسلامية، وكثر عدد العرب المهاجرين إلى الساحل واستقرارهم الدائم فيه، ورغم ارتفاع درجة الحرارة ارتفاعاً كبيراً على الساحل، فإن العرب لم يتأثروا بهذا المناخ، لأنهم كانوا يأتون عادة من مناطق أشد حرارة، وهي جنوب الجزيرة العربية وسواحل عمان[2].

كما لقي العلماء والمفكرون الذين هاجروا إلى أفريقيا من الحجاز والعراق وغيرهما، كنفاً ليناً وبسطةً في العيش في المناطق التي رحلوا إليها، فأغراهم ذلك ليستقروا بها وينشروا دين الله ويخدموا العلم، فاتخذوا من هذه المناطق مأوىً جديداً واستوطنوها[3].

ولعبت الهجرات الإسلامية إلى داخل القارة دوراً كبيراً ومهماً في نشر الإسلام في هذه المناطق منذ بداية الدعوة الإسلامية، التي أخذ سيدنا محمد (ﷺ) يشع نورها بين مشركي قريش في مكة، فتعرّض صلوات ربّي وسلامه عليه إلى الاضطهاد والإهانة البالغة وتعرّض أصحابه (رضي الله عنهم) للقتل والتعذيب، فأشار على أصحابه بالهجرة إلى بلاد الحبشة، وبذلك كانت هذه الهجرة، أول اتصال للعرب بأفريقيا بعد ظهور الإسلام، وكانت النواة الأولى للإسلام في أفريقيا، وسأحاول تتبع أهم هذه الهجرات الإسلامية بداية من هجرة صحابة رسول الله (ﷺ) إلى الحبشة وما تلاها من هجرات عربية وغير عربية إسلامية إلى أفريقيا ودور القبائل وتحركاتها داخل القارة، وأثر ذلك في نشر الإسلام في أفريقيا جنوبي الصحراء[4].

---

(1) أحمد شلبي، المرجع السابق، 6/ 182 – 183.

(2) جمال قاسم، المرجع السابق، ص 55 – 56.

(3) أحمد شلبي، المرجع نفسه، 6/ 183.

(4) علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 457.

أولاً: هجرة صحابة رسول الله (ﷺ) إلى الحبشة:

إن الهجرة إلى داخل أفريقيا من أهم العوامل وأولها في نشر الإسلام في أفريقيا، فكان أول اتصال بين المسلمين وأفريقيا، هجرة المسلمين إلى بلاد الحبشة، فقد أحدث ظهور الإسلام انقلاباً خطيراً في مجتمع مكة الجاهلي، بدعوته إلى وحدانية الله وترك عبادة الأصنام والأوثان والشرك بالله، والأخذ بتعاليم السماء الجديدة التي جاء بها الرسول محمد (ﷺ)[1].

فحينما بُعث الرسول (ﷺ) بدين الإسلام بدأ بدعوة أهل بيته وعشيرته، ثم أمره الله تعالى بتبليغ الرسالة آمراً إياه بذلك فقال في كتابه العزيز: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(213) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(214) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ(215)﴾[2].

وبعد أن أنذر عشيرته وَكَلّفه تعالى بتبليغ رسالته للناس كافة يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ(94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ(95)﴾[3] وقال أيضاً تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (69)﴾[4].

وعند ذلك واجه الرسول (ﷺ) مصاعب كثيرة، وثورة كبار المشركين، وأشراف مكة ضد دين الإسلام ورسول الإسلام، فقد أمر بالقضاء على دين الآباء المنحرف والشرك والكفر الذي كانوا يعيشون فيه، كما أنه ساوى بين الطبقات، ولم يُبق أي تمييز بين إنسان وآخر، سواءً أكان حراً أم عبداً إلا بالتقوى والعمل الصالح[5].

وكان معظم من آمن بالرسول (ﷺ) عدا أهل بيته الطاهرين، من الضعفاء والعبيد في مكة، فنالوا أنواع التعذيب كافة من المشركين، وكان التعذيب بالضرب والجوع والعطش

---

(1) المشري، محمد: بلاد القرن الأفريقي، شعبة التثقيف والإعلام والتعبئة (طرابلس، 1428م) ص 64

(2) سورة الشعراء: الآيات (413 – 415).

(3) سورة الحجر: الآيتان (94 – 95).

(4) سورة المائدة: الآية (69).

(5) سامية منيسي: إسلام نجاشي الحبشة، ص 37.

والحبس، كذلك طُرحوا في رمضاء مكة حين يشتد الحرّ ليفتنوهم عن دينهم وبذلك تعدّد البلاء عليهم، فمنهم من فتن من شدّة البلاء ومنهم من صمد على دينه وعصمه الله منهم[1].

ومن الصحابة الذين عذّبوا بلال بن رباح الذي كان لبعض بني جمح وكان أمية بن خلف الجمحي يطرحه على ظهره في بطحاء مكة عندما يشتد الحر، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول له: «لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى» ، فيقول سيدنا بلال: «أحد - أحد» وظل هكذا حتى اشتراه أبو بكر الصديق (ﷺ) وأعتقه[2].

كذلك كانت معاناة عمار بن ياسر وأبيه وأمه من بني مخزوم، وكان الرسول (ﷺ) يمر عليهم ويقول لهم: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»، وكان أبو جهل يغري بهم في الرجال من قريش، فكان إذا سمع بالرجل أسلم، وكان له شرف ومنعة في قومه، أنّبه قائلاً: «تركت دين أبيك، وهو خير منك، لنسفّهن حلمك ولَنُفَيِّلَنَّ[3] رأيك ولنضعنّ شرفك». وإن كان تاجراً قال له: «والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك». وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به، فكانوا يضربون ضعفاء المسلمين، ويجيعونهم ويعطّشونهم حتى لا يقدر أحدهم أن يستوي من شدّة ما نزل به[4].

ولما رأى رسول الله (ﷺ) ما أصاب أصحابه من البلاء والعذاب، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله عز وجل ودفاع أبي طالب عنه، وأنه لا يقدر أن يمنعهم[5]، قال لهم: «تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم، قالوا: إلى أين نذهب ؟ قال: ها هنا وأشار بيده إلى أرض الحبشة»[6].

---

(1) سامية منيسي ، المرجع السابق، ص 37.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 1/ 262 - 263.

(3) لنُفَيِّلَنَّ: أي لنقبحه ونخطئه. ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 265.

(4) ابن هشام، المصدر السابق، ص 1/ 265.

(5) رضا، محمد: محمد (ﷺ)، المكتبة العصرية (بيروت، 1426هـ/ 2005م) ص 114.

(6) السيوطي: رفع شأن الحبشان، ص 142.

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام للصحابة: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه»[1]، «فتحرزوا عنده حتى يأتيكم الله بفرج منه»[2].

يقول الحاكم في المستدرك أن النبي (ﷺ) عندما رأى أذى المشركين للمسلمين قال لهم: تفرقوا «وأشار إلى أرض الحبشة، وكانت ترحل إليها قريش رحلة الشتاء، فكانت أول هجرة في الإسلام»[3].

وكان اسم النجاشي وقتئذ أصحمة بن أبجر، ومعنى أصحمة بالعربية عطية، والنجاشي اسم لكل ملك بني الحبشة وكان الأحباش مسيحيين نسطوريين [4]، ويشير الطبري إلى عدل النجاشي وصلاحه قائلاً: «وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحد بأرضه، وكان يُثنى عليه مع ذلك صلاح وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها رفاغاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً»[5].

واختار الرسول (ﷺ) الحبشة لأنها أرض صدق وهي أقرب البلاد المسيحية التي يحكمها ملك مسيحي إلى الجزيرة العربية، والسفر إليها أهون أمراً وأسلم عاقبة، إذ أنه لا يزيد عن كونه عبور البحر الأحمر وهو مما لا شك أسلم من اختراق الجزيرة العربية شمالاً أو جنوباً، خلال القبائل المعادية، ولم يكن اختيار الرسول (ﷺ) للحبشة للصلات التجارية القوية، وإنما كما قال (ﷺ): «فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد» بحيث يكون المسلمون في أمان من أن ينزل بهم ضرّ أو أن يسلّمهم إلى من لا يرحمهم [6].

---

(1) محمد رضا، المرجع السابق، ص 114.

(2) ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج: المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، تحقيق: محمود فاخوري، دار الكتاب العربي (بيروت، بدون تاريخ) ط1، 1/ 679.

(3) الحاكم النيسابوري، أبي عبدالله محمد بن عبدالله: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، 1411هـ/ 1990م) ط1، 2/ 68 - 69.

(4) احمد الأحمر، المرجع السابق، ص 59.

(5) الطبري، المصدر السابق، 2/ 328.

(6) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 39 - 40.

وكانت الهجرة إلى الحبشة هجرتين، الأولى كانت في رجب سنة خمس من البعثة (615م) وكان الذين خرجوا اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى ميناء الشعيبة، ومنهم الراكب والماشي[1]، ووفق الله المسلمين ساعة وصولهم الميناء سفينتين للتجار[2]، فاستأجروهما بنصف دينار للحبشة [3] وهم: عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله (ﷺ) وأبو حذيفة بن عتبة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل، ومصعب بن عمير، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد ومعه امرأته أم سلمة، وعثمان بن مظعون وعبدالله بن مسعود، وعامر بن ربيعة ومعه امرأته، وليلى بنت أبي هيثمة وأبو سبرة وحاطب بن عمر وسهيل بن بيضاء وهو سهيل ابن وهب [4].

وعندما استقر هؤلاء المهاجرون بالحبشة وجاوروا النجاشي، وأمنوا على دينهم، عبدوا الله لا يؤذون، ولا يسمعون شيئاً يكرهونه، وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به [5]، وكان مما قيل من الشعر في الحبشة قول عبدالله ابن الحارث بن سهم:

يا راكباً بَلِّغَـــن عنّي مغلغلـــة	من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ مـــن عباد الله مضطهد	ببطن مكـــة مقهور ومَفتونِ
أنّا وجدنا بـــلاد الله واسعـــة	تُنجي من الذّل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذُلّ الحيـــاة وخزيٍ	في الممات وعيـــب غير مأمون
إنا تبعنـــا رســـول الله واطّرَحوا	قـــول النبي وَعالُوا في الموازين
فاجعل عذابك بالقوم الذين طغوا	وعائِذ بـــك أن يعلُوا فيطْغُوني[6].

ثم وصلت أخبار إلى المهاجرين بالحبشة مفادها أن قريشاً أسلمت، فرجع بعضهم إلى

(1) ابن الأثير، أبو الحسن علي: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي (بيروت، 1406هـ/ 1980م) 2/ 51.

(2) الطبري، المصدر السابق، 1/ 546.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، 2/ 80 – 81، كذلك السيوطي: رفع شأن الحبشان، ص 144 – 145.

(4) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 266 – 272، كذلك بن خلدون: العبر، 2/ 412 – 413.

(5) المصدر نفسه، 1/ 273.

(6) المصدر نفسه، 1/ 273.

مكة، ولكنّهم وجدوا المسلمين بمكة على ما كانوا عليه من تعذيب قريش لهم ونفيهم، ودخل مكة بعضهم مختفياً وبعضهم بالجوار [1].

يقول ابن سعد: إن المهاجرين في الحبشة قالوا: «فمن بقي في مكة إذا أسلم هؤلاء؟ وقالوا عشائرنا أحب إلينا، فخرجوا راجعين حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار، لقوا ركباً من كنانة فسألوه عن قريش وعن حالهم» فقال الركب: «ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ، ثم ارتد عنها فعاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر، فتركناهم على ذلك» فائتمر القوم في الرجوع إلى أرض الحبشة، ثم قالوا: «قد بلغنا، ندخل فننظر ما فيه قريش ويحدث عهداً من أراد بأهله ثم يرجع»، فدخلوا مكة ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيراً ثم رجع إلى الحبشة[2] والسبب الرئيس لعودة المسلمين من الحبشة هو إسلام حمزة بن عبدالمطلب وعمر بن الخطاب، فإسلام حمزة (رضي الله عنه) قد كان بسبب العصبية القبلية ثم حسن إسلامه، أما عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فهو الذي دعى له الرسول (ﷺ) بالإسلام حيث قال: «اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب» وعندما أسلم كبر الرسول (ﷺ) وبذلك عز الإسلام بحمزة أسد الله والفاروق عمر (رضي الله عنهما) حتى إن المسلمين لم يستطيعوا أن يصلوا عند الكعبة إلا بعد إسلام عمر بن الخطاب حيث أصبحوا في قوة ومنعة من المشركين[3] ورجع المسلمون واستمرت الهجرة إلى الحبشة وتتابع المسلمون إليها فيما يطلقون عليها بالهجرة الثانية، وكان فيها جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومنهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه، فكان من لحق بأرض الحبشة ثلاثة وثمانون رجلاً عدا زوجاتهم وأبنائهم[4]، وتزايدت الهجرة حتى بلغت ما يقارب الستمائة مسلم، وهؤلاء المهاجرون لم يهاجروا جميعاً من مكة، بل إن بعضاً منهم قد هاجر من اليمن برئاسة أبي موسى الأشعري[5].

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، 2/ 414 – 415.

(2) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية (بيروت، 1418هـ/ 1997م) 1/ 161.

(3) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 45 – 46.

(4) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا، مجلة الجامعة الأسمرية، السنة الثانية، العدد الثالث، الجامعة الأسمرية (زليتن، 1371و.ر / 2003م) ص 468 – 469.

(5) ابن كثير، المصدر السابق، ص 2/ 83.

قال السيوطي في هجرة أبي موسى الأشعري، أن أبا موسى كان باليمن وخرج مهاجراً من اليمن إلى رسول الله (ﷺ) حينما علموا بهجرته إلى المدينة، فخرجوا في بضع وخمسين رجلاً في سفينة، فألقتهم السفينة نحو الحبشة حيث النجاشي والمهاجرون، فوافقوا جعفراً وأصحابه، فأمرهم جعفر بالإقامة معهم حتى قدموا الرسول (ﷺ) بعد فتح خيبر[1].

وذكر البخاري في صحيحه حديثاً رواه أبو بردة عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) أنه قال: «بلغنا مخرج النبي (ﷺ) ونحن باليمن فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا»، فوافقنا النبي (ﷺ) حين افتتح خيبر فقال النبي (ﷺ): «لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان»[2].

وكانت الهجرة إلى أرض الحبشة مرتين، فكان المهاجرون في المرة الأولى اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، ثم رجعوا فلقوا من المشركين أشدّ مما عهدوا، فهاجروا ثانية، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان فيهم عمار بن ياسر، ففيه خلاف بين أهل النقل، وثماني عشرة امرأة إحدى عشرة قرشيات، وسبعاً غرائب، وبعثت قريش في شأنهم مرّتين: الأولى عند هجرتهم والثانية عقيب وقعة بدر، وكان عمرو بن العاص رسولاً في المرتين، ومعه في أحداهما عمارة بن الوليد، وفي الأخرى عبدالله بن أبي ربيعة المخزوميان[3].

أمن المهاجرون في الحبشة على أنفسهم ودينهم، حتى أرسلت قريش إلى النجاشي ليرد عليهم المسلمين الفارين كي يقتضوا منهم ويرغموهم على الكفر والإلحاد، وجمعوا الهدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان النجاشي يحب الأدم من مكة، فجمعوا له أدماً كثيرة، ولم يتركوا بطريقاً من بطارقته إلا وأهدوا له هدية[4].

---

(1) السيوطي، المصدر السابق، ص 195 – 196.

(2) البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن برد: صحيح البخاري، تحقيق: أبو عبدالله محمود الجميل، مكتبة الصفا (القاهرة، 1423هـ2003م) 4/ 625.

(3) ابن سيد الناس اليعمري، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن عبدالله بن يحيى: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة (بيروت، 1402هـ/ 1982م) ط3، 1/ 143/ 144.

(4) سلمية منيسي: إسلام نجاشي الحبشة، ص 57.

ثم قدّم الوفد هداياهما إلى النجاشي، فقبلها منهما، وكلّماه في أن يسلّم لهم المسلمون، فقال النجاشي: «لا والله، إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني»[1].

فدعي النجاشي المسلمين إلى الحضور للقائه مع أساقفته، ودار حوار بين المهاجرين والنجاشي انتهى إلى أن ردّ النجاشي هدايا قريش وأعلن حمايته للمسلمين المهاجرين، وطلب النجاشي من جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن يقرأ له مما جاء من عند الله شيئاً، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم (كهيعص) فبكى النجاشي حتى اخضَلَّت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشي: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون»[2].

فغضب عمرو بن العاص ورفيقه واتفقا على أن يذهبا إلى النجاشي مرة ثانية ويدّعيا أمامه بأن المسلمين يطعنون في عيسى بن مريم (عليه السلام) ففعلا ذلك، فأرسل النجاشي يستقدم المسلمين، فلمّا اجتمع القوم ؛ سأل النجاشي جعفر عما يقوله الإسلام في عيسى ابن مريم، فقال جعفر: «هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول» فأعجب النجاشي من إجابته وقال والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العودَ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم: الآمنون - من سبكم غرم، ورد هدايا قريش، وقال: «ردّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها»[3].

وحين أعلن النجاشي حمايته للمهاجرين ورفضه تسليمهم لقريش وتصديقه لرسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) وببشرية عيسى بن مريم (عليه السلام) وأنه عبدالله ونبيه ورسوله، وليس بن الله،

---

(1) ابن هشام، المصدر السابق، 1/276 - 277.

(2) المصدر نفسه، 1/278.

(3) السيد سالم: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 1424هـ/ 2003م) 2/ 53.

خرجت عليه الحبشة وهم على دين النصرانية وقالوا له: «إنك فارقت ديننا»[1]، فأرسل النجاشي إلى جعفر والمهاجرين المسلمين، وأعدّ لهم سُفُناً وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا «ثم أخذ كتاباً وكتب فيه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعل الكتاب في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة وقد اصطفوا له»، فقال لهم: «يا معشر الحبشة، ألست أحقّ الناس بكم ؟ قالوا: بلى، قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ فقالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم ؟ قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد، قال:فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله» فقال النجاشي ووضع يده على صدره عن قبائه وهو يشهد أنّ عيسى لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كتب، فرضوا وانصرفوا، فبلغ ذلك الرسول (ﷺ) فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له[2].

ثم أرسل النجاشي وفداً إلى الرسول (ﷺ) من النصارى، وكانوا قرابة من عشرين رجلاً، ليستمعوا إلى رسالته ويروا صفاته، فعندما جلسوا إليه وكلّموه وسألوه ودعاهم الرسول (ﷺ) إلى الله وتلا عليهم آيات من القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، واستجابوا له، وآمنوا برسالته وصدّقوه وعرفوا منه ومن أوصافه ما كان يوصف لهم في كتابهم بشأن نبوته[3].

وعندما قدم الوفد اعترضهم كفار مكة وقالوا لهم: «خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ؟ ما نعلم ركباً أحمق منكم» فرد عليهم الوفد بقولهم: «سلام عليكم لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه. لم نأل أنفسنا خيراً»[4].

(1) ابن كثير، المصدر السابق، ص3/ 77.

(2) المصدر نفسه، 3/ 77 ؛ كذلك ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 281.

(3) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 68.

(4) ابن هشام، المصدر السابق، 2/ 36 - 37.

وفيهم نزل (والله أعلم)، قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ(52) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ(53) أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ(55)﴾ [1].

ويذكر ابن كثير عن أبي أمامة قال: «قدم وفد النجاشي على النبي (ﷺ) فقال نحن نكفيك، فقال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم»[2].

إسلام النجاشي وانتشار الإسلام بين الأحباش:

أنكر بعض المؤرخين والكتاب، وشككوا في إسلام النجاشي، ومن هؤلاء فتحي غيث في كتابه الإسلام والحبشة عبر التاريخ، حيث يشير إلى أن الرسول (ﷺ) أرسل فيمن أرسل إليهم من الملوك، كتاباً إلى النجاشي يدعوه فيه إلى الإسلام، فلو أن هذا النجاشي كان قد أسلم، لما كان هناك محل لإرسال الكتاب إليه، كذلك لا يجوز أن نستهين بالأثر الذي يتركه اعتناق ملك لدين جديد، فليس هذا الأمر الذي يمكن أن يمر بسهولة دون إحداث أيّ عواقب يكون لها أثر، يستحق التسجيل، الأمر الذي لم يرد له أيّ ذكر في المراجع الثابتة عن ذلك العهد[3].

ويضيف غيث قائلا: «أن النجاشي لم يسلم وإنما كان على المسيحية لكنه احترم الإسلام والمسلمين، وقدّرهم، وأن العلاقة بين المسلمين والنجاشي ما كانت لتصل إلى حالة الحرب للصلات الطيبة التي كانت ماثلة في الأذهان، وما يؤيد ذلك»، أن الرسول (ﷺ) قال: «اتركوا الأحباش ما تركوكم» ويشير أيضا إلى أن صلاة الغائب التي صلاّها الرسول (ﷺ) والمسلمون على النجاشي، بأنها إكرامٌ له واعترافٌ بفضله[4].

---

(1) سورة القصص: الآيات (52 – 55).

(2) ابن كثير، المصدر السابق، ص 3/ 78 ؛ كذلك، القرطبي: أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية (بيروت، بدون تاريخ) 13/ 196.

(3) فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، ص 56.

(4) المرجع نفسه، ص 57.

ومن المشككين أيضاً في إسلام النجاشي السير بدج الذي قال: «بالرغم مما يعرف عن الأحباش من تعصّب وكبرياء، فإن النجاشي عندما سمع بانتصارات محمد، وأنه يفرض اعتناق الإسلام أو القتل، ولم يكن النجاشي في حالة تسمح له بالتعرّض للحرب مع محمد وتعريض شعبه للقتل، وسفك الدماء، فإنه وجد من حسن السياسة أن يتفادئ الهزيمة، بأن يعلن اعتناقه للإسلام، وأرسل الهدايا إلى الرسول، وبذلك أنقذ بلاده، وأصبحت الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي حافظت على مسيحيتها سالمة من العدوان لعدّة قرون بعد حكم أرمحة»[1].

وسأحاول الرّد على هذه الأقوال، وإثبات إسلام النجاشي بما ورد في السيرة النبوية، وكتب الحديث، وما نقله المؤرخون المسلمون عن الصحابة والمهاجرين (رضوان الله عليهم أجمعين):

فأما الرسالة التي أرسلها الرسول (ﷺ) للنجاشي والتي يقول فتحي غيث: أنه لو أسلم لما كان هناك محل لإرسال كتاب إليه، فيذكر المؤرخون، ومنهم أبو الفرج بن الجوزي أن الرسول (ﷺ) تبادل عدد من الرسائل مع النجاشي، وأن النبي (ﷺ) دعاه فيها إلى الإسلام، فلبئ دعوته وأسلم[2].

فالرسالة التي بعث بها الرسول (ﷺ) للنجاشي يدعوه فيها إلى الإسلام والتي أشار إليها غيث هي للنجاشي الذي تولى بعد النجاشي أصحمة الذي كان معه الاتصال الأول وفي ذلك يقول الطبري: «وفي السنة التاسعة للهجرة أرسل النبي إلى النجاشي هدايا فرّدت إليه لموت النجاشي، فأقام صلاة الغائب، وأرسل عمرو بن أمية بكتاب إلى النجاشي الجديد يدعوه إلى الإسلام»[3].

أما ابن حزم الأندلسي فقال في كتابه جمهرة أنساب العرب: «أنّ هذا النجاشي الذي

---

(1) فتحي غيث، المرجعالسابق، ص 57

(2) الزوجي، أبي الفرج عبدالرحمن: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، تحقيق: محمد بركات، دار جامعة أم درمان للطباعة والنشر (الخرطوم، 1414هـ/ 1993م) ص 71 - 72.

(3) الطبري، المصدر السابق، 2/ 188.

كتب إليه (ﷺ) الكتاب وبعث إليه عمر بن أمية الضمري، لم يسلم وأنه غير النجاشي الذي صلى عليه النبي (ﷺ) والذي آمن به وأكرم أصحابه»، وعن أنس (ﷺ) قال: «أن النجاشي الذي كتب إليه ليس بالنجاشي الذي صلّى عليه»[1].

يقول احمد مصباح: «ولا يسعنا مع ذلك إلا الاعتماد على النص العربي مع التسليم بأن الاتصال الأول كان مع النجاشي أصحمة والاتصال الثاني – وهو الذي يشير إليه فتحي غيث – هو مع الملك الذي خلفه وهو ابنه أرمحة»[2].

وأما الرسالة التي بعثها الرسول (ﷺ) إلى النجاشي أصحمة بالحبشة مع عمرو بن أمية الضمري[3] ونصّها: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته. وأن تتبعني وتؤمن بي والذي جاءني فإني رسول الله – وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى»[4].

وعندما وصلت الرسالة إلى النجاشي وضعها على عينيه ونزل عن سريره، فجلس على الأرض، ثم أسلم، ودعى بحق من عاج – وهو عظم الفيل – فجعل فيه كتاب رسول الله (ﷺ) وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم[5].

ورد النجاشي على الرسول (ﷺ) بكتابه الذي جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم إلى

---

(1) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 90.

(2) احمد الأحمر: أفريقيا والعرب، ص 60.

(3) ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1397هـ/1976م) ص 98.

(4) الطبري، المصدر السابق، ص 2/ 311 - 132.

(5) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 69.

محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر سلام عليك يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تفروقاً، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقرّبنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا بني أرها بن الأصحم ابن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق والسلام عليك يا رسول الله»[1].

فهذا الكتاب وإقراره وشهادته فيه بأنه رسول الله حيث شهد بأنه رسول الله الذي بشر به عيسى (ﷺ) وإعلان إسلامه للرسول (ﷺ) ومبايعته له كما بايع ابن عمه جعفر بن أبي طالب (ﷺ)، دليل صريح على إسلام النجاشي الأصحم، كذلك إرساله لابنه في ستين نفساً، ولكن سفينتهم غرقت في وسط البحر فغرق ابنه ومن كان معه، وعندما أتى جعفر الرسول (ﷺ) وكتابه قال له(ﷺ):«اتركوا الحبشة ما تركوكم»[2].

ومن الأدلة أيضاً على إسلامه خروج الحبشة عليه حينما علموا بخروجه عن دينهم النصرانية، وذكره أن عيسى بن مريم عبدالله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم البتول (عليها السلام)[3].

كذلك قيامه بعمل وليمه لزواج النبي (ﷺ) بأم حبيبة[4] بنت أبي سفيان، حينما وكلّه النبي (ﷺ) ليزوجها له، وقال النجاشي: «إن من سنة الأنبياء إذا تزوّجوا أن يؤكل طعام على التزويج» فأكل الحاضرون ثم تفرقوا، وكان من خُطبته في هذه المناسبة الميمونة ما يدل على إسلامه حيث قال: «الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن

(1) السيوطي: رفع شأن الحبشان، ص 227 – 228.

(2) الطبري، المصدر السابق، 2/ 132؛ كذلك السيوطي، المصدر السابق، ص 228.

(3) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 255.

(4) أم حبيبة هي: رملة بنت أبي سفيان وكان زوجها عبدالله بن جحش هاجر معها إلى الحبشة وأنجبت منه حبيبة، ثم ارتد عن الإسلام وتنصر، بينما ظلّت هي على إيمانها وتمسكها بالإسلام، ثم ما لبث أن مات عبدالله بن جحش بالحبشة على النصرانية. ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 253.

لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.. وأنه الذي بشّر به عيسى بن مريم (عليه السلام) أما بعد فإن رسول الله (ﷺ) كتب إليّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان... إلخ»[1].

أما ما أشار إليه البعض وخاصة فتحي غيث بأن صلاة الغائب التي صلاها الرسول (ﷺ) على النجاشي هي من باب الإكرام والاعتراف بفضله، فالرد عليهم بما جاء في كتب الحديث الصّحاح، بأن الرسول (ﷺ) حينما توفي النجاشي نعاه للناس في اليوم الذي مات فيه وقال: «استغفروا لأخيكم» والأخوة هنا هي الأخوة في الإسلام[2].

وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله (ﷺ): «مات اليوم عبدلله صالح، أصحمة، فقام فأمّنا وصلّى عليه» وعن جابر أيضاً قال: قال رسول الله (ﷺ):«إن أخاكم قد مات فقوموا فصلوا عليه» قال: «فقمنا فصفّنا صفّين»[3]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: «أن رسول الله (ﷺ) نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصفّ بهم وكبر أربع تكبيرات»[4].

وعن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ):«قوموا فصلوا على أخيكم النجاشي» فقال بعضهم، تأمرنا أن نصلّي على علج من الحبشة[5]، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِـ ءايَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(199) ﴾[6].

(1) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية (بيروت، 1415هـ/ 1995م) 1/ 348.

(2) النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: محمد بن عبادي بن عبدالحليم، مكتبة الصفا (القاهرة، 1424هـ/ 2003م) 7/ 36، كذلك، المقدسي، ابن قدامة: المُغني، تحقيق: محمد شرف الدين خطاب، دار الحديث (القاهرة، 1416هـ/ 1996م) ط1، 3/ 271.

(3) النووي، المصدر السابق، 7/ 37.

(4) مالك بن أنس، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي: الموطأ، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا (القاهرة، 1422هـ/ 2001م) ص 140.

(5) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، 1/ 348.

(6) سورة: آل عمران، الآية (199).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « الصواب: أن الغائب إن مات ببلد لم يصلّ عليه فيه، صلّي عليه صلاة الغائب، كما صلى النبي (ﷺ) على النجاشي لأنه مات بين الكفار، ولم يُصلّ عليه، وإن صُلّيَ عليه حيث مات. لم يصل عليه صلاة الغائب»[1]، ولو أنها اعترافٌ لفضل أو احترام كما يقول البعض لصلّى (عليه الصلاة والسلام) على عمّه أبي طالب، لأنّه الذي حمى الرسول (ﷺ) عندما كان في مكة، إلى أن توفي، فلماذا لم يصل عليه (عليه الصلاة والسلام) ؟.

ومن الأدلة على إسلامه أيضاً، أنه حينما بلغه انتصار الرسول (ﷺ) والمسلمين في بدر على أعدائهم من قريش، لبس خلقان ثياب بيض، وجلس على التراب وبعث إلى جعفر بن أبي طالب والمهاجرين، وبشّرهم بانتصار المسلمين على المشركين، ثم قال: «إنّا نجد فيما أنزل الله على عيسى (عليه السلام) أنّ حقاً على عباد الله أن يحدثوا تواضعاً عندما يحدث لهم نعمة، فلما أحدث الله لي نصر نبيه (عليه الصلاة والسلام) أحدثت له هذا التواضع»[2].

ومما ذكرنا يتجلى ما بلغته الصلات الودية والعلاقات الحسنة بين الرسول (ﷺ) وبين النجاشي الرجل الصالح المحب لعيسى ابن مريم (عليه السلام) والمتبع لتعاليمه ولبشارته برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، ولم تأخذه العزة بالإثم والتجبّر والعناد، وقد كتم إسلامه عن الحبشة، حتى لا يعزلوه، ومن ثم يستطيع من مكانه هذا كملك للحبش أن يشجّع نشر الإسلام بينهم تدريجياً دون استخدام القهر والعنف، ولكن الله تعالى توفّاه، ولم يمهله حتى يتم ذلك[3].

يقول الشيخ عبدالرحمن الجبرتي: «أن النجاشي أول من آمن بالرسول (ﷺ) من الملوك ولم يره»[4].

ومما يؤكد انتشار الإسلام في الحبشة، دون ضغط أو قهر، وبفضل الهجرة إلى الحبشة، ما كان من وفد النجاشي الذي بعثه للرسول (ﷺ) في سنة غزوة أحد السنة الثالثة للهجرة،

(1) سلمية منيسي، المرجع السابق، ص 84.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، 1/ 162.

(3) محمد أبوبكر: المثلث العفري في القرن الأفريقي، ص 47 - 48.

(4) الجبرتي، عبدالرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل (بيروت، بدون تاريخ) 1/ 442.

يقول بن عباس (رضي الله عنه): «قدم على رسول الله أربعون رجلاً من الحبشة، فشهدوا معه غزوة أحد، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل أحد» فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة قالوا يا رسول الله: إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجئ بأموالنا لنواسي بها إخواننا فأذن لهم، فجاءوا بأموالهم وواسوا بها فقراء الصحابة (رضوان الله عليهم) فنزل في حقهم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ(53) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(54) ﴾[1]، وقد قام الرسول (ﷺ) بخدمتهم بنفسه، وعندما قال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله قال: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، فأحب أن أكافئهم بنفسي»[2].

كذلك قال المفسرون في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (85) ﴾[3]، بأنها نزلت في سبعين رجلاً بعثهم النجاشي إلى رسول الله (ﷺ) ليسمعوا كلامه ويروا صفاته، فلما رأوه وقرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشي، فاخبروه بما شاهدوه، ويعتبر هذا أول تأثير مباشر لحركة الهجرة في نشر الإسلام[4].

وروت أم حبيبة بنت أبي سفيان (رضي الله عنها) عندما أخذت الدنانير لتعطيها للجارية التي بشرتها بخطبة – النبي (ﷺ) وطلبه من النجاشي أن يخطبها له، إلا أن الجارية والتي اسمها (أبرهة) ردتها إليها وقالت: «قد أمرني الملك ألا آخذ منك شيئاً، وأن أرد إليك الذي أخذت منك، فرددته، وأنا صاحبة دهن الملك وثيابه، وقد صدّقت محمداً رسول الله وآمنت به، وحاجتي إليك أن تقرئيه السلام» وهذا يدل على انتشار الإسلام بين الحبش منذ الهجرة[5].

يقول محمد عثمان أبوبكر: «أن كلمة الحبشة في تلك العصور كانت تطلق على جميع

---

(1) سورة القصص، الآيات (53 – 54).

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، 3/ 78.

(3) سورة المائدة، الآية (85).

(4) محمد أبوبكر، المرجع السابق، ص 46 – 47.

(5) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 255 ؛ كذلك، ابن الأثير، أبوالحسن علي بن أبي الكرم: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار المعرفة (بيروت، 1997م) 7/ 115 - 117.

مناطق القرن الأفريقي وكان دخول الإسلام إلى الحبشة سنة 614م أي في السنة الثانية قبل الهجرة، عندما هاجر الصحابة الكرام إليها بادئ ذي بدء، ووجدوا كل ترحيب وعطف من مملكة النجاشي أصحمة على مبادئ الإسلام السابقة، وتعاليمه السمحة، كما أن النجاشي نفسه من أوائل من هدي بنور الإسلام، واعتنقه، ولكنه مات قبل أن تمكنه الظروف من نشره وَجَعْلِه دين الدولة، وقد نعاه جبريل (عليه السلام) إلى الرسول (ﷺ) فصلى عليه صلاة الغائب»[1].

لقد انتشر الإسلام إذاً في الحبشة منذ عصر النبوة، وكانت الحبشة في ذلك الوقت تضم كل منطقة القرن الأفريقي، حيث أقام الصحابة ستة عشر عاماً، وهم يقيمون شعائر الإسلام، ويوطّدون تعاليمه السمحة بين سكان القرن الأفريقي والهضبة الحبشية، والسواحل الغربية للبحر الأحمر، التي يقطنها الساهو والعفريون[2].

ولم يكن أمام الرّقيق وسكان الصومال والحبشة الذين كانوا يتعرضون لغزوات النخاسين، إلا الارتماء في أحضان الإسلام الذي يمنع ذل الأسر، ويقيهم مهانة الرّق والعبودية[3].

ومنذ ذلك الوقت لم يزل الإسلام ينتشر في أرجائها ويتسع من نفسه دون أن يكون له مبشرون من المسلمين، سوى أفراد قلائل من تجار أو مزارعين أو أصحاب مذاهب سياسية محظورة في بلاد العرب، هاجروا إلى بلاد الحبشة، ويلاحظ أن استقرار المسلمين في هذه البلاد ارتبط بنوع الحرف التي احترفوها، أي أن كل فئة اختارت لنفسها المكان الملائم لمزاولة أنشطتها الاقتصادية أو الدينية أو السياسية[4]، فالتجار آثروا البقاء في الثغور البحرية ليتخذوا منها مقرّاً لإدارة شؤون تجارتهم، ومن احترف الرعي وتربية الحيوانات فقد آثر الاستقرار في هضبة أرتيريا، والمزارعون توغّلوا نحو الدواخل، حيث تزداد نسبة سقوط المطر[5].

---

(1) محمد أبوبكر، المرجع السابق، ص 37.

(2) المرجع نفسه، ص 47 - 48.

(3) عطية مخزوم، المرجع السابق، ص 120.

(4) رياض، زاهر: مظاهر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة، جامعة القاهرة (القاهرة، 1375هـ/ 1955م) ص 154.

(5) المرجع نفسه، ص 154 - 155.

وسأحاول فيما يلي تتبع أهم الهجرات الإسلامية العربية وغير العربية لأفريقيا جنوب الصحراء، ودور هذه الهجرات في انتشار وتوطيد أركان الإسلام في هذه البلاد.

ثانياً: أهم الهجرات الإسلامية:

ليس من المعقول أن يمر العرب المسلمون بأرض أفريقيا وخاصة الصومال عند هجرتهم إلى الحبشة في الذهاب والعودة، دون أن يعرف أحد من الصوماليين شيئاً عن الإسلام، مع أن المهاجرين لم يأتوا إلى هذه البقعة لتجارة أو سياسة، ولكن قدموا ومعهم دينهم الذي أوذوا بسببه، وهو دين توحيد ومساواة، فلابد من أنهم تحدّثوا مع أهل هذه البلاد عندما مرّوا بها، عن هذا الدين، وبذلك يكونون قد عرفوا الإسلام منذ فجره الأول، ووصل إليها قبل أن يصل إلى المدينة المنورة بنحو ثمان سنين [1].

ثم استجدت على الساحة العربية جملة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، كان لها الدور الفعّال في تدفق المزيد من الهجرات العربية إلى البلاد الإفريقية، فبعد وفاة الرسول (ﷺ) برزت العديد من المنافسات والصراعات، من حروب الرّدة الطاحنة التي شهدتها بلاد العرب يقول ابن الأثير: «لما مات النبي (ﷺ) وسيّر أبوبكر جيش أسامة، ارتدت العرب.. وارتدت كل قبيلة عامّة أو خاصّة إلا قريشاً وثقيفاً»[2]، كذلك الفتنة الكبرى في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (23-35هـ/ 644-656م) [3]، وما تلاها من موقعة الجمل سنة (36هـ/ 656م) وظهور الخوارج واضطهاد أهل البيت على أيام الدولة الأموية [4].

وعندما حلت سنة (132هـ/ 749م) جاء دور بني أمية فعصفت بركائز حكمهم الثورة العباسية التي مزّقت شملهم وشرّدتهم في الآفاق فتوغلوا إلى القارة الأفريقية، وأعطوا بذلك وجهاً جديد للهجرات الإسلامية لأفريقيا [5].

---

(1) عبدالرحمن النجار: الإسلام في الصومال، ص 53.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 2/ 231.

(3) محمد المشري، المرجع السابق، ص 72.

(4) الطبري، المصدر السابق، 6/ 269 - 271.

(5) الحرير، عبدالمولى: الإسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 1410هـ/ 1989م) ص106-107.

وما أن استقر الأمر للعباسيين حتى اتسعت الهوة بينهم وبين أنصارهم من العلويين، فقام العلويون بثورات متكررة ضد العباسيين، كما ثار الخوارج بفرقهم المتعددة المذاهب ضد النظام العباسي، وأشهرها ثورة الخوارج في الحجاز أيام المنصور[1] (م سنة:158هـ/ 774م)[2].

ثم إن اعتماد الدولة العباسية على الجند الخراساني، قلّل من اعتمادها على العرب، الذين فقدوا كثيراً من امتيازاتهم ووظائفهم تدريجياً، وما تَمّ في عهد الخليفة المعتصم (218-227هـ/ 833-842م) واعتماده على الجنود الأتراك، فلم يعجب العرب ذلك، فبدأت الهجرات الواسعة إلى أطراف الدولة الإسلامية، حيث تحرّك العرب بأعداد كبيرة صوب الجنوب، حيث أرض البجة والنوبة وحيث السودان الأوسط [3].

ولقد كان قرار الخليفة العباسي المعتصم (218-227هـ/ 833-842م) [4] بالكتاب إلى واليه بمصر، يأمره بأن يسقط من في ديوان مصر من العرب، وقطع العطاء عنهم – ففعل ذلك – نقطة تحوّل خطيرة في تاريخ العرب في مصر وهجرتهم إلى الجنوب، فصهرت تلك المناطق بالعنصر العربي، ومن هنا كان قرار المعتصم بتجنيد الترك السبب المباشر الذي شجّع الهجرة العربية الواسعة إلى السودان، لأنه كلّما زادت هيمنة الأتراك على الحكومة والجيش في مصر اضطر العرب إلى الهجرة جنوباً نحو السودان ولقد كان أسلوب العنف والشدّة الذي أظهره الولاة الأتراك وسجن الزعماء وفرض الغرامات من الأسباب الجوهرية التي دفعت بالأعداد الكبيرة بالإنسياب نحو الجنوب والغرب، مبتعدين عن هذا الجو المعادي للعروبة وهم أبناء الصحراء الذين اعتادوا على جو التنقل والتّرحال، وبذلك شهد القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، هجرات عربية إسلامية واسعة للسودان، ومن ثم التوغل في السهول الواسعة جنوباً وشرقاً[5].

---

(1) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 107.

(2) المسعودي: مروج الذهب، 3/ 328.

(3) الغنيمي، عبدالفتاح مقلد: الإسلام والعروبة في السودان، العربي للنشر والتوزيع (القاهرة، 1406هـ/ 1986م) ص 55.

(4) العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية (بيروت، 1972م) ص 116.

(5) عبدالفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 55 – 56.

ثم ما كان من انقسام المسلمين إلى شيع وفرق، مما اضطر بعض هذه الجماعات العربية والفارسية إلى الفرار من مواطنهم إلى أفريقيا بعيداً عن متناول أعدائهم ومنافسيهم، وما كان من انقسام العالم الإسلامي إلى سنة وشيعة، وما تبع ذلك من قلاقل ومنازعات خاصة في الجزء الغربي من آسيا، أدّى إلى هجرة العديد من المسلمين إلى أوطان بعيدة عن مسرح الأحداث، بحثاً عن الأمن والسلام، وكان من أبرز تلك الأوطان ساحل شرق أفريقيا، لسهولة الوصول إليه، ولما كان عليه من ثروات ومحاصيل أغرت الوافدين عليه [1].

إن كل هذه الثورات المتواترة كانت مورداً لا ينضب معينه من المهاجرين المسلمين الفارّين بأرواحهم إلى أفريقيا، ومما ساعد على انتشار الإسلام وتقبّله هناك ظهور مصر الإسلامية المجاورة لهم [2].

ثم أصبح نشر الدين الإسلامي من أسباب استقرار العرب في شرق أفريقيا، وإقامتهم كيانات سياسية عربية بعد أن ازدادت هجرة العرب إليها في عهد الدولتين الأموية والعباسية، وفي إثر المنازعات الدينية والسياسية [3].

لقد كوّن هؤلاء المهاجرون العديد من المراكز والإمارات والمدن وعملت على اندماج العرب مع الأفارقة، كما عملت على انتشار الإسلام والفكر الإسلامي في البلاد الأفريقية، ويلاحظ أن هذه الهجرات الإسلامية تهاجر أولاً إلى السواحل الأفريقية حيث تستقر فترة من الزمن، فإذا طاب لها المقام استقرت، أو تتجه بعد ذلك إلى دواخل القارة الأفريقية [4]

وأقام المهاجرون ممالك إسلامية كانت على علاقة حسنة مع الممالك الحبشية، وربطتهم بسكان المنطقة علائق المصاهرة، وبمرور الزمن خرج جيل جديد من المسلمين كان نتاجاً لهذه العلاقات الاجتماعية المتأثرة بالروح الإسلامية، ولما اشتد ساعد الهجرات الإسلامية وتوطّدت علاقاتهم بحكام الولايات الحبشية، تمت سيطرتهم على التجارة، التي هي عصب

---

(1) محمود الحويري: ساحل شرق أفريقية، ص 19.

(2) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 107.

(3) محمد عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 66.

(4) محمد المشري، المرجع السابق، ص 71 - 72.

الحياة السياسية، وأخذوا شيئاً فشيئاً يقيمون لأنفسهم أثراً سياسياً تمثّل فيما بعد، في إقامة ممالك إسلامية في أفريقيا[1].

ومهما يكن الأمر فبعد دخول الإسلام إلى الشمال الأفريقي وتعاقب هجرات القبائل والجماعات الإسلامية إلى أفريقيا، أظهر هؤلاء المهاجرون خصائص فريدة في التأثير على المجاميع التي سكنت معها، وبرز عدد من القادة المسلمين كان لهم الدور الكبير في نشر الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، فأسهموا في ترسيخ أسس العقيدة الإسلامية، حتى بدأ مواطنون أفارقة يدعون إلى الإسلام بين مواطنيهم في حركة سلمية[2].

وسأركز في دراستي التالية على أهم هذه الهجرات الإسلامية التي كان لها الدور الفعال في انتشار الإسلام بين الأفارقة ووصوله إلى أن أصبح الدين الرسمي لبعض المناطق الأفريقية وأهم هذه الهجرات وأولها هي:

1- هجرة بني مخزوم:

أراد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نشر الدعوة الإسلامية في الحبشة، فوجّه إليها سرية من المسلمين في عام 20هـ/ 641م برئاسة علقمة بن محرز المدلجي، ولكن الحملة لم توفق ونالها الأذى وعاد من بقي منها[3].

وأما أول هجرة للمسلمين إلى أفريقيا وخاصة شرقها بعد هجرة صحابة رسول الله (ﷺ) هي هجرة بني مخزوم، حيث كان أول مسلم سمع عنه مهاجراً، واستقر في بلاد الحبشة هو ودّ بن هشام المخزومي، وكان ذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث خرج مهاجراً من الحجاز مع قبيلته[4].

(1) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 107.

(2) ظاهر محمد: التواصل العربي الأفريقي، ص 33.

(3) زكي، عبدالرحمن: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، مطبعة يوسف (القاهرة، 1385هـ/ 1965م) ص 38.

(4) محمد يونس: تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الأفريقية، ص 21.

وليس سبب هجرتهم ما ذكره ترمنجهام، من أنها إثر عزل عمر (ﷺ) لخالد بن الوليد المخزومي من قيادة جيوش المسلمين بالشام [1]، لأن هذا العزل كانت له دوافعه وليس منها عقاب بني مخزوم عقاباً يدفع بعضهم إلى الهجرة من بلاد الإسلام، واللجوء إلى أرض غير إسلامية، لقد كانت لهذا المهاجر المخزومي دوافعه التي دفعته إلى الهجرة من بلاد الحجاز إلى بلاد الحبشة، ومنذ أن خرج يدعو إلى الإسلام ويعمل بالتجارة في هذه البلاد، التي كان العرب يعرفونها قبل ظهور الإسلام [2].

ويُذكر أنه كانت لبني مخزوم في القرن السادس الميلادي علاقات تجارية مع اليمن والحبشة، وفي الحبشة كان تجار بني مخزوم في مقدمة تجار مكة، وقد أسس بنو مخزوم السلطنة المخزومية في شرق مقاطعة شوا وهي أقدم مملكة إسلامية قامت بالحبشة سنة (283هـ/ 896م) في منطقة من أمتع المعاقل فوق مرتفعات الهضبة الحبشية، حيث تقع مدينة أديس أبابا الحالية [3].

واسم شوا يطلق من قديم على جزء من الهضبة الوسطى للحبشة يقع في جنوب جبال دورسال الذي يطلق عليه الآن اسم تارمابار، ونظراً لخصوبة هذه البقعة واعتدال مناخها، وتوفّر وسائل المعيشة بها أصبحت مهيأة لقيام هذه السلطنة الإسلامية التي قامت في هذا الجزء من الهضبة الحبشية، واتخذت من مدينة تسمى (وله) عاصمة لها [4].

ولم تتعرض أسرة الأجوبيين في أكسوم لهؤلاء المهاجرين بسوء نظراً لضعفها في معظم فترات تاريخها، ومن ثم تمتع هؤلاء المهاجرون بحياة الاستقرار، وقامت بينهم وبين الأهالي علاقات الود والصداقة، لأن هؤلاء المهاجرين لم يطمعوا في شيء مما في أيديهم، ووجد الأهالي فيهم ما يساعدهم على صد غزوات تجار الرقيق، فازداد التقارب والاندماج بين

---

(1) ترمنجهام، سبنسر: الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة وتعليق: محمد عاطف النووي، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1393هـ/ 1973م) ط1، ص 58.

(2) عبدالحليم، رجب محمد: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، منذ ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية (القاهرة، 1419هـ/ 1999م) ص 62.

(3) النقيرة، محمد عبدالله: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ (الرياض، 1403هـ/ 1982م) ص 65.

(4) رجب عبدالحليم، المرجع السابق، ص 61 - 62.

الفريقين، ومن ثم أخذ عدد المسلمين يكثر طوراً بالمهاجرين الذين يتوالون على القدوم إليهم، وطوراً بالأحباش الذين ارتبطوا معهم برباط المصاهرة، ووجدوا في اعتناق الإسلام حماية لهم، وجاء نتاج هذه المصاهرة جيل إسلامي جديد أخذ يكثر بتوالي الزمن، وينضم إليه من يعتنق الإسلام عن رضا واقتناع لما يبيحه لهم هذا الدين من الاحتفاظ ببعض عاداتهم الاجتماعية مثل تعدد الزوجات على سبيل المثال، ومن ثم تكاثرت أعداد المسلمين بطريقة كبيرة، هيأت الفرصة لقيام سلطنة إسلامية على يد أسرة عربية [1].

ومن نتاج عرب الشوا أو بني مخزوم الذين انتقلوا إلى منطقة بحيرة تشاد شرق برنو ومصاهرتهم الوطنيين الزنوج نتج شعب البولالا الذين أنشأوا سلطنة البولالا الإسلامية فيما بعد في وسط أفريقيا [2].

لقد اشتغل هؤلاء المهاجرون بالتجارة، حتى أصبحوا أثرياء القوم وأغنياءهم الكبار، ولما ارتفع شأنهم وارتفع قدرهم صاهروا أمراء شوا، ومن ثم انتقل الحكم إليهم وكوّنوا أسرة حاكمة كانت أولى الأسر العربية التي أنشأت دولة إسلامية في أفريقيا استمرت في الوجود أربعة قرون، تمتّعت معظمها بالأمن والاستقرار، وازدهار العمران وكثرة المدن والقرى [3].

ولعبت زوجات السلاطين في هذه المملكة دوراً مهماً في مجريات أمورها وتصريف شؤونها، حتى إنهن لم يكنّ محرومات من حق اعتلاء العرش، وكان في هذه المملكة حياة علمية ودينية مزدهرة وبُنيت المساجد والمدارس ووجد بها العلماء والفقهاء وطلاب العلم، حيث عاشت عصراً زاهراً كبيراً، ومستقلة عن جيرانها سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين [4].

وقد نشر المستشرق الإيطالي (أزيكو تشيرولي) وثيقة تاريخية عن تاريخ إمارة بني مخزوم، تتحدث عن سلطنة بني مخزوم في أواخر أيامها، وقد فرّقتها الفتن الداخلية وأنهكتها الحروب

(1) رجب عبدالحليم، المرجع السابق، ص 61 - 62.

(2) عبدالفتاح الغنيمي: الإسلام وحضارته في وسط أفريقيا سلطنة البولالا، مكتبة مدبولي (القاهرة، 1417هـ/ 1996م) ط1، ص 19.

(3) محمد النقيرة، المرجع السابق، ص 197.

(4) رجب عبدالحليم، المرجع السابق، ص 67 - 68.

مع إمارة أوفات الإسلامية المجاورة لها، والتي تحالفت ضدها مع ملك أمحرة (أيكونوا أملاك) وقضى عليها الأحباش في عام (705هـ/ 1402م) [1].

2- هجرات عربية من بلاد الشام:

قامت هذه الهجرة في الفترة ما بين (76-85هـ/ 695-704م)، وهي تمثل فريقاً من أهل الشام لم يرضوا عن سياسة بني أمية وبعض عمالهم مثل الحجاج بن يوسف الثقفي، فتركوا بلاد الشام، ورحلوا جنوباً حتى وصلوا إلى ساحل شرق أفريقيا، ويبدوا أن أعدادهم كانت كبيرة لأنهم استطاعوا إخضاع السكان الأصليين، واقتحام ميناء ديوني الحصين، وكانت به جالية تزيد عن عشرة آلاف [2].

ويشير شيبو فرج بن أحمد الباقري في كتابه (أخبار لامو) أن هؤلاء المهاجرين انتشروا في أكثر من مكان على الساحل الشرقي لأفريقيا، وأنهم نزلوا أيضاً في بات ومالندي وزنجبار ومنبسة وكلوة [3].

3- هجرة آل الجلندي:

تمتع آل الجلندي باستقلال كبير في عمان في بداية العصر الأموي وكانوا يسيّرون أمورها دون الرجوع إلى الخلافة الأموية في دمشق، مع أن عمان كانت تابعة لأمير العراق، ولما اضطربت أحوال الدولة الأموية بعد وفاة يزيد وقويت شوكة الخوارج في شرقي شبه الجزيرة العربية، وسيطر نجدة بن عامر الحنفي من الخوارج على البحرين، أرسل ابن عامر جيشاً إلى عمان بقيادة عطية بن الأسود الحنفي، وكان يحكم عمان في تلك الفترة عباد بن عبدالله بن الجلندي من قبيلة الأزد العمانية، ويعاونه ابناه سعيد وسليمان، فقتل عباد واستولى الخوارج على عمان الذين كانوا من أقوى وأعنف خصوم الأمويين، واختار الخوارج عمان لطبيعتها الجبلية وامتداد الصحاري الجرداء في غربها، مما يجعلها ملجأ حصيناً يلودون به في حالة الخطر [4].

---

(1) محمد المشري، المرجع السابق، ص 73.

(2) رجب عبدالحليم، المرجع السابق، ص 51 - 50.

(3) محمد النقيرة، المرجع السابق، ص 84.

(4) محمود الحويري، المرجع السابق، ص 20 21.

لم يؤيد أهل عمان الخوارج، وأيّدوا آل الجلندي، واستغلوا الفرصة حين عودة عطية إلى البحرين، بعد أن أمضى بضعة أشهُر في عمان، وانقضوا بمساعدة سعيد وسليمان على أبي القاسم نائب عطية في عمان وقتلوه وبذلك عادت عمان لآل الجلندي [1].

ثم اهتم الأمويون باستعادة سيطرتهم على عمان، ولكن سعيد وسليمان كانا يقومان بطرد الولاة أو بقتلهم الذين كانت ترسلهم الخلافة الأموية إلى عمان [2]، وعند ذلك أرسل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبدالملك بن مروان (65-85هـ/ 685-705م) قوة بحرية وبرية كبيرة اشتبكت في معارك مع أهل عمان واستطاعت إلحاق الهزيمة بهم والقضاء على نفوذ آل الجلندي، ومما ساعد على هزيمة أهل عمان، السياسة القبلية التي اتبعها عبدالملك بن مروان، حيث استعان ببعض القبائل على البعض الآخر، فاستعان بقبائل نزار ضد قبيلة الأزد العمانية [3].

وعند ذلك حمل سعيد وسليمان ابنا الجلندي ذراريها وسوادهما وخرج معهما من أتباعهما وقومهما، فلحقا بأرض الزنج، أي إلى ساحل شرق أفريقيا [4]، حيث وصلوا ومن معهما من رجال وجند وأهالي إلى جزر (أرخبيل لامو) التي تقع في دولة كينيا الآن وذلك في الفترة من (75-85هـ/ 694-704م) واستقروا هناك [5]، ووجدوا بها عدد من المستقرّين العرب، كما وجدوا الأرض خصبة والطبيعة جميلة، فاستقروا هناك وعملوا بالتجارة في الحديد والذهب والعاج المجلوب من داخل القارة، ونتج عن ذلك انتشار الإسلام في أرخبيل لامو، ومما شجع ذلك أيضاً زواج العرب من النساء الأفريقيات، لأن المهاجرين العرب لم يكن معهم إلاّ عدد قليل من النسوة العربيات، وأصبحت هذه الإمارة مقصداً لأهل عمان، وقام هؤلاء المهاجرون بإنشاء إمارة إسلامية هناك، وأنشئوا المدارس والكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم،

---

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، 4/ 202 - 203.

(2) الطبري، المصدر السابق، 5/ 217.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، 4/ 205.

(4) محمد المشري، المرجع السابق، ص 76 – 77.

(5) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (القاهرة، بدون تاريخ) ص 15 – 16.

وتعليم أصول الدين والشريعة واللغة العربية للأهالي الذين أسلموا، وكان لهم الفضل في نشر الإسلام بين الأهالي الموجودين في تلك المنطقة [1].

4- هجرة الشيعة الزيدية:

بعد موقعة كربلاء سنة (61هـ/ 680م) والتي قتل فيها سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) [2] تعدّدت ثورات آل البيت ضد الأمويين الذين كانوا يقابلونها بالشدّة والبطش [3]، وكانت آخرها الثورة التي قام بها الزيدية، وهم أتباع الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ﷺ) ضد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك سنة 121هـ/ 739م الذي خرج من الحجاز إلى الكوفة بالعراق حيث طلب منه شيعته مساعدتهم، وكان زيد وأتباعه يرون الظهور والخروج على الخليفة الأموي بالسيف لأخذ حقّهم بالإمامة وعلى إثر ذلك حدث الصدام بين زيد وأتباعه وبين هشام بن عبدالملك الذي أمر واليه على العراق بالتصدّي لهم[4].

واستطاع الأمويون القضاء على ثورة الزيديين وقتل قائدهم وأمامهم زيد في عام (122هـ/ 740م) بعد أن تخلّى عنه معظم أهل الكوفة، وفرّ أتباعه بعد مقتله، ولقي الزيدية الاضطهاد على أيدي الأمويين بعد انكسارهم في واقعة الكوفة [5].

ونتيجة للاضطهاد الذي تعرّض له الزيدية هاجرت جماعة منهم قاصدة شواطئ أفريقيا الشرقية حيث استقروا على ساحل بنادر بالقرب من موقع مقديشو عند سنجايا [6].

---

(1) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 51.

(2) الطبري، المصدر السابق، 7/ 160.

(3) محمد المشري، المرجع السابق، ص 77.

(4) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 51 - 52.

(5) أرنولد، توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1390هـ/ 1970م) ص 375.

(6) محمد عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 65.

ثم وسّع الزيديون رقعة أرضهم بفضل ما كان يتوالى عليهم من هجرات الزيديين الأخرى من شبه الجزيرة العربية [1]، واستطاعوا السيطرة على منافذ البحر الأحمر التجارية، واستقطبوا الفارّين من بني أمية، فقوي أمرهم واشتد ساعدهم وتحكّموا في حركة التجارة، وازداد اتساع الإسلام بفضل دعوتهم وتبشيرهم ونفوذهم الاقتصادي والتجاري، ليس في الحبشة فحسب بل في الطرف الشرقي من القارة الأفريقية [2].

وظلّ الزيديون مسيطرون على هذه المنطقة مدّة تقرب من 200 سنة حتى اضطرتهم هجرات عربية من قبيلة الحارث إلى النزوح إلى الداخل، لأن الزيديين رفضوا الخضوع للمهاجرين الجدد السنّيين لأنّهم شيعة [3]، فاستقروا حول أودية نهري جوبا والويبي شيبلي، واختلطوا بالأهالي وتزوجوا منهم مما أدى إلى نشر الإسلام بينهم، وعُرفوا باسم أموزيديج التي تعني أمّة زيدية [4].

5- الهجرات الأموية والعلوية:

ما كاد البيت الأموي ينتهي من ثورة الشيعة حتى قامت ثورة عارمة في الحجاز، وقد قابل الأمويون هذه الثورات بالعنف والقسوة إذ أرسل يزيد قائده مسلمة بن عقبة ففعل في أهل المدينة، ما لم يتوقع ثم ثار الحجاز ثانية مؤيّداً لعبدالله بن الزبير الذي استمر تسع سنوات في ثورته واتسع نطاقها فشملت الحجاز والكوفة والبصرة وخراسان، غير أن الحجاج بن يوسف تمكّن من هذه الثورة بكل عنف وحصار شديد لمكة سنة 73هـ وكان لكل هذه القلاقل السياسية أثرها في دعم الهجرات إلى أفريقيا [5].

ثم قامت الثورة العباسية سنة 132هـ التي عصفت بركائز حكم الأمويين ومزّقت شملهم وشرّدتهم ففرّ كثير منهم ومن أنصارهم إلى شمال أفريقيا وشرقها [6].

---

(1) توماس أرنولد، المرجع السابق، ص 378.

(2) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 106.

(3) عبدالرحمن النجار: الإسلام في الصومال، ص 61.

(4) رجب عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص 52.

(5) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 105.

(6) الطويلعي، محمد علي عمر: التأثير الحضاري العربي الإسلامي في شرق أفريقيا(424-626هـ/ 1124-1258م) رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت في معهد التاريخ العربي (بغداد: بتاريخ 1423هـ/ 2003م) ص 44.

وكان ممن هاجر إلى أفريقيا عمر بن سليمان بن عبدالملك بن مروان وكان معه خدمه ومواليه ولحق به أنصاره ومعاونوه، حيث فرّ منسحباً أمام جيوش العباسيين والشيعة، واستقر في النوبة مع أعوانه، ثم توغلوا في القارة بأعالي النيل ومصوّع وشرق أفريقيا [1].

وكذلك كان مع آخر خلفاء الأمويين مروان بن محمد (132هـ/ 749م) حين قتل، ابناه عبدالله وعبيدالله، وكانا وليي عهد فهربا فيمن تبعهما من أهلهما ومواليهما وخواصهما من العرب ومن انحاز إليهم من أهل خراسان من شيعة بني أمية فساروا إلى أسوان من صعيد مصر وساروا على شاطئ النيل إلى أن دخلوا أرض النوبة وغيرهم من الأحباش، ثم توسطوا أرض البجة ميممين باضع من ساحل بحر القلزم [2].

ويشير محمد المشري إلى أن اصل الفونج مؤسسي السلطنة السنارية هم من بني أمية هربوا بعد أن استولى العباسيون على السلطة في بغداد، وقيل أنهم نزحوا إلى الحبشة في البداية ثم تبعهم العباسيون وخاطبوا في شأنهم حاكم الحبشة، فاضطر الأحباش للتخلّص منهم إلى المناطق المتاخمة [3].

وعندما استطاع العباسيون القضاء على بني أمية، بدأوا بقمع المعارضة العلوية والخوارج[4]، فما أن استقر الأمر للعباسيين حتى اتسعت الهوة بينهم وبين أنصارهم من العلويين، فقام العلويون بثورات متكرّرة ضد العباسيين كما ثار الخوارج بفرقهم المتعددة المذاهب ضد النظام العباسي، وأشهرها ثورة الخوارج في الحجاز على أيام المنصور العباسي (م:سنة 158هـ/ 774م)، وقد وَجَد هؤلاء ملاذاً لهم في سواحل شرق أفريقيا عن طريق المحيط الهندي والبحر الأحمر [5].

---

(1) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 105 - 106.

(2) المسعودي: التنبيه والإشراف، مكتبة خياط (بيروت، 1385هـ/ 1965م) ص 329 - 330.

(3) محمد المشري، المرجع السابق، ص 81 - 82.

(4) محمد الخويلدي، المرجع السابق، ص 44.

(5) عبدالرحمن زكي: الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، العدد 21 (القاهرة، 1394هـ/ 1974م) ص 36.

6- هجرة القبائل العربية خاصة من ربيعة وجهينة وبطونهما:

منذ القرن التاسع الميلادي تدفقت هجرات عربية نحو سودان وادي النيل وبلاد البجة وأريتريا والحبشة خاصة من مصر، ولم يكن سبب هجرة هذه القبائل العربية بحثاً عن الثراء والتجارة أو المراعي الخضراء، وإنّما هروباً من ضغط الأمراء والخلافة العباسية في مصر، حيث كان من الأسباب الرئيسة ما قام به الخليفة المعتصم (218-228هـ/ 833-842م) من إسقاط أسماء العرب من ديوان العطاء بمصر، وقطع الرواتب عنهم وتشجيع سياسة الاعتماد على الجند الترك (1).

ومما زاد في أوضاع العرب في مصر سوءًا عزل الوالي عنبسة بن إسحاق، الذي كان آخر الولاة العرب في مصر، وحدث ذلك في عهد المتوكل (233-247هـ/ 847-861م) وتذكر كتب التاريخ العديد من البطون والقبائل العربية التي هاجرت إلى مصر وكان من أهمها: بني وجهينة وهمذان وكندة ولخم والأزد وجذام وخولان وتنوخ ومذحج قريش وبطونها وبني أمية وفزاره وبني هلال وبني سليم وهوازن وربيعة (2).

ومن أكبر هذه القبائل جهينة وهي (جهينة بن زيد بن ليث ابن أسود بن أسلم بن الحاف بن فضاعة) وهي قبيلة كبيرة وبها بطون كثيرة (3)، وتدّعي جهينة أنهم جاءوا من اليمن إلى مصر ثم انتقلوا إلى حوض وادي النيل الأوسط في أوائل القرن الثامن الميلادي، وشقّوا طريقهم نحو كردفان ومن ثم إلى حوض شاري، وأهم بطونها: السلامات وخزام، وأولاد راشد، والمسيرية، والمحاميدة الدكاكير، وقد ساعد السلامات بكثرة عددهم، ملوك البرنو في حروبهم ضد الصوكيا وعاونوا على تكوين دولة البولالا الإسلامية في وسط أفريقيا، ومنهم قبيلة مساونة وهم كثيرو العدد في واداي (4).

ودفعت شهرة وادي العلاقي الذي يقع في الصحراء الشرقية بين أسوان والبحر الأحمر،

---

(1) محمد المشري، المرجع السابق، ص 89.

(2) المرجع نفسه، ص 88 - 89.

(3) عبدالفتاح الغنيمي: الإسلام والعروبة في السودان، ص 218.

(4) عبدالفتاح الغنيمي: حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة، بدون تاريخ) ص 22.

بالذهب والزمرد، إلى جذب جماعات كبيرة من ربيعة وجهينة منذ عام (238هـ/ 852م) إلى هذه المنطقة حيث استقروا هناك وتزاوجوا مع البجة، وأقاموا إمارة عربية مدّت نفوذها إلى أسوان، وشمال بلاد النوبة، حيث صاهروا حكام (مملكة مَقُرة) ونتج عن ذلك انتقال الحكم إلى هؤلاء العرب الذين عرفوا باسم بني كنز نسبة إلى لقب كان قد أطلقه أحد الخلفاء الفاطميين في مصر على أحد أمرائهم نظير مساعدته لهذا الخليفة في القضاء على أحد الثائرين والخارجين عليه في صعيد مصر [1].

وتطوّرت أحوال بني كنز في بلاد النوبة واتخذوا من دنقلة عاصمة لهم منذ عام 723هـ/ 1323م، وبقيام هذه الدولة انفتح باب الهجرة العربية على مصراعيه فهاجرت قبائل عربية كبيرة إلى وسط السودان، وأقاموا بين نهري النيل الأبيض والأزرق، وتحالفوا مع قبائل سودانية تسمّى الفونج، واستطاعوا أن ينشئوا دولة إسلامية أخرى هي دولة الفونج التي كانت عاصمتها سنار وذلك عام (911هـ/ 1505م) [2]، وكان العبدلاب، هم عرب من شعبة القواسمة الرفاعية، العضد الأكبر لهذه السلطنة الإسلامية في الإقليم الشمالي، وأمراء العبدلاب لم يكونوا مجرّد زعامة للشعبة الشمالية من رفاعة أو حتى القواسمة، بل كانوا حكام أقاليم لهم السلطة التامة على جميع القبائل التي تعيش في الشطر الشمالي من سلطنة سنار [3].

كذلك كان هناك فرعٌ كبيرٌ من قبيلة رفاعة الجهنية قد لعب دوراً كبيراً في الإطاحة بمملكة سوبا (علوة) المسيحية في القرن السادس عشر الميلادي [4].

ويمكن القول: إن القبائل العربية التي كانت تهاجر إلى مصر تنحدر نحو صعيد مصر متجهة نحو أسوان، لأن أسوان وبلاد النوبة وشمال السودان تشبه إلى حد كبير بلاد العرب في ظروفها المناخية، بعكس بيئة مصر التي لا تلائم طبيعة البدو، ولا يبعد أن تكون بعض البطون العربية التي هاجرت إلى مصر أثناء القرنين الأول والثاني للهجرة، قد استهوتها

(1) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 14.

(2) المرجع نفسه، ص 14 - 15.

(3) عبدالفتاح الغنيمي: الإسلام والعروبة في السودان، ص 220.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المناطق الجنوبية في أطراف الصعيد ونفذت إلى القسم الشمالي من بلاد النوبة، وبدأ العنصر العربي يظهر في بلاد النوبة منذ القرن الثالث الهجري [1].

7- هجرة الأخوة السبعة:

من أهم الهجرات العربية التي وفدت على ساحل شرق أفريقيا هجرة الأخوة السبعة من قبيلة الحارث العربية في منطقة الأحساء على ساحل الخليج العربي، وسبب هذه الهجرة، الصراع الذي نشب واشتد بين الخلافة العباسية وبين القرامطة حكام البحرين ومنطقة الإحساء منذ أواخر القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، وكان بنو الحارث مؤيدين للخلافة العباسية وموالين لها لأنهم سنّة، بينما كان القرامطة شيعة، ولذلك اضطهدوا بني الحارث وأجبروهم على النزوح من بلادهم [2].

فخرج إخوة سبعة من قبيلة الحارث ومعهم عشيرتهم، وصحبهم الكثير من سكّان الشاطئ الغربي للخليج العربي في ثلاث سفن، سنة 273هـ/ 887م هاربين من اضطهاد ملك الأحساء لهم، ونزلوا في الساحل الشرقي عند شاطئ بنادر، وامتد نفوذهم حتى جنوبي ممبسة وتحالفوا مع الصوماليين أصحاب البلاد الأصليين [3]، وشيّدوا مدينتي مقديشو وبراوة [4]، وكانت مقديشو أول مدينة عربية تأسست في الساحل الشرقي ثم تلتها براوة [5].

ولم يستطع الزيدية الذين نزلوا على ساحل بنادر قبل هجرة الإخوة السبعة، التأقلم والانسجام مع بني الحارث لأنهم سنّيو المذهب، بينما هم شيعة، وبذلك فضّلوا الانسحاب إلى الداخل، حيث اختلطوا بالسكان الأصليين وكوّنوا علاقات قوية معهم، وتكونت أمة خليطه من العرب والزنوج عرفت بالأموزيديج [6].

---

(1) محمد المشري، المرجع السابق، ص 88 - 89.

(2) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 52 – 53.

(3) علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 425.

(4) المسعودي: مروج الذهب، 1/ 98.

(5) محمد عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 65.

(6) محمد المشري: بلاد القرن الأفريقي، ص 80.

وأسس بنو الحارث سلطنة إسلامية هي (سلطنة مقديشو) واتخذوا من مقدشو عاصمة لساحل بنادر، ونشطت تجارتهم حتى وصلت إلى مدينة سوفالة جنوب نهر موزمبيق، وبذلك ظهر إلى الوجود مركز إسلامي كبير، وأصبحت العاصمة الدينية والثقافية لساحل الزنج كله وسيدة على كل عرب هذا الساحل، وكان لذلك أثره الكبير والقوي في نشر الإسلام بين الصوماليين وسكان شرق أفريقيا كله[1].

ومن الواضح أن جماعة الأحساء هم الذين نشروا الإسلام على ساحل صوماليا الشرقي، والدليل على ذلك أن المذهب السائد في هذه المنطقة إلى اليوم هو مذهب أهل السنة والجماعة[2].

8- الهجرة الشيرازية والنبهانية:

كان على رأس هذه الهجرة علي بن حسن بن علي الشيرازي، وهو أحد الأبناء السبعة لسلطان شيراز في بلاد فارس (جنوب إيران)، ولكن أمه كانت حبشية فجفاه إخوته، لذلك قرر أن ينتقل إلى أرض السود[3]، فركبوا في سبعة سفن، وفي أثناء إبحارهم حول الساحل الشرقي لأفريقيا، توقفت بعض السفن في مناطق صغيرة مثل ممباسا وزنجبار، أمّا الإبن الأكبر لعلي وهو الحسن، فقد ظل يبحر حتى وصل إلى كيلوا فأعجبته، فقرّر هو ورجاله الاستيطان بها وقابل مسلماً يدعى منيري وأباري، فأبلغه أنه يرغب في شراء الجزيرة. فاتصل منيري برئيس القبيلة، الذي وافق على بيعها مقابل أطوال من القماش تكفي لإقامة سور حولها، فأعطاه الحسن بن علي ما طلب، وبدأ استيطانه فوق الجزيرة التي أطلق عليها اسم (كيلوا كيسيواي) وكانت هي النواة لمدينة كلوة المزّدهرة[4].

وشهدت كلوة ازدهاراً ورخاءً، خاصة بعد أن أطاحت بسيطرة مقديشو في سفالة، إذ

---

(1) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 16.

(2) عبدالرحمن النجار: الإسلام في الصومال، ص 61.

(3) عبدالرحمن زكي: المسلمون في العالم اليوم، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1378هـ/ 1958م) ص 10 - 11.

(4) سبنسر ترمنجهام، المرجع السابق، ص 10 – 11 ؛ كذلك، توماس أرنولد، المرجع السابق، ص 379.

كانت مقديشو تحصل على الذهب من سفالة [1]، ولم تكن كلوة أقوى دول الساحل فقط، بل إنها كانت أوفرها حضارة، لذلك أثرت كثيراً على تجارتها، ولما كان مؤسسو كلوة الأوائل من الشيرازيين فلا غرو أن يكون لهم تأثير كبير على أسلوب الحضارة التي ازدهرت هناك خلال القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر للميلاد، وكانت حضارة ذات مظاهر فارسية قديمة [2].

وأصبح الحسن بن علي الشيرازي، صديقاً لأهالي الجزيرة المحليين وتزوج من ابنة منيري، وخلفه ابنه بعد وفاته كسلطان على الجزيرة، وبعد ذلك هاجم جزيرة مافيا المجاورة، وحكمها دون أن يشتريها كما فعل والده عندما اشترى كلوة، ولقد استعمل أهالي المدينة ثروتهم في ترقيتها والارتفاع بها، وبمرور الوقت أصبح لكلوة سيادة على مدن الساحل [3].

وفي منتصف القرن الخامس الهجري، وصلت هجرة أخرى استقرّت إلى الجنوب منها، ويرجع سببها إلى الهجوم الذي قام به المغول الذين تدفقوا من أواسط آسيا على بلاد فارس، مما اضطر حاكمها إلى الخروج على رأس ألف ومائتي رجل فركبوا البحر نحو ساحل الزنج، وتمكّنوا من فرض سيطرتهم على الساحل، وأسّسوا مملكة أخضعت لسلطانها كثيراً من المراكز والجزر، ويمكن القول أنها آخر الهجرات التي قام بها مسلمو الفرس [4].

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول، بأن الشيرازيين ليسوا على المذهب الشيعي، وإنما كانوا مخالفين للشيرازيين الآخرين وأنهم على المذهب السنّي، وعلّلوا ذلك بسبب انتشار المذهب السنّي في ساحل شرق أفريقيا وليس المذهب الشيعي ومن هؤلاء محمد المشري حيث يقول في كتابه بلاد القرن الأفريقي: «ويمكن القول إن هجرة الفرس الشيرازيين والتي كان لها صدى كبيراً في ساحل شرق أفريقيا قد ترجع إلى الاختلاف المذهبي كما قال صاحب جهينة الأخبار، فربما يكون المهاجرون الشيرازيون على غير مذهب الشيعة، وبالتالي يكونون

(1) محمود الحويري، المرجع السابق، ص 30.

(2) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 80.

(3) سبنسر ترمنجهام، المرجع السابق، ص 11 - 12.

(4) محمد الخويلدي، المرجع السابق، ص 44.

قد تعرّضوا إلى حالة من الاضطهاد أجبرتهم على ترك بلادهم وما يؤيد ذلك هو أن المذهب السنّي هو الذي ساد دولة كلوة» [1].

ويستدل على ذلك بأن ابن بطوطة عندما زار كلوة في القرن الرابع عشر الميلادي قال عن أهلها: «والغالب عليهم الدين والصلاح، وهم شافعية المذهب» [2].

والسبب الرئيسي في انتشار المذهب السنّي في كلوة وما جاورها هو هجرة النبهانيين، ففي سنة 601هـ/ 1203م أتت إلى جزيرة بات هجرة عربية كبيرة يتزعمها سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني، صاحب عمان، بعد أن ملّ كثرة الصراعات الداخلية التي شهدتها عمان على كرسي الحكم، ففضّل أن ينتقل بأهله وأتباعه إلى هذا المكان ليؤسس هناك سلطنة جديدة بعيدة عن هذه الصراعات [3]، فركب ومن معه السفن ونزلوا في جزيرة بات، واستقبله العرب المقيمون بها وكان معظمهم من عمان استقبالاً طيباً، ثم تزوّج الأمير النبهاني ابنة اسحق حاكم الجزيرة من سلالة الشيرازيين حكام كلوة، وبعد إتمام الزواج تنازل اسحق عن الحكم لصهره، فصار أميرها الشرعي، وتأسس حكم الأسرة النبهانية في تلك الجزيرة [4].

بدأ النبهانيون يمارسون سلطتهم على الساحل كغيرهم من حكام المدن الأخرى كمقديشيو وكلوة، إلاّ أنهم في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، أصبحوا يمثلون قوة كبرى، وتمكّنوا من توسيع بات شمالاً وضمّوا إليها كلاً من شنجايا وفازا وهما من مدن جزيرة بات فضلاً عن بعض الجزر المجاورة [5].

ثم دخلوا في حرب مع سلطنة كلوة، انتهت باستيلائهم على جزر كريمبا في الجنوب، ومن المحتمل أنهم استولوا على (سونجو منارا) التي تقع جنوب كلوة مباشرة، واتخذوا منها قاعدة تحكمت في تجارة ميناء كلوة، وهكذا امتد نفوذ تلك الأسرة إلى معظم الساحل الشرقي

(1) محمد المشري، المرجع السابق، ص 85.
(2) ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن محمد اللواتي الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر (بيروت، 1380هـ/ 1960م) ص 258.
(3) رجب عبدالحليم، العروبة والإسلام، ص 54.
(4) محمود الحويري: ساحل شرق أفريقية، ص 31.
(5) محمد المشري، المرجع السابق، ص 85.

لأفريقيا، وأصبحت بات مركزاً لسلطنة عربية إسلامية بدأت تتسع بالتدريج ممتدة إلى داخل القارة، وتحوّلت إلى سلطنات إسلامية قوية لعبت دوراً عظيماً في نشر الإسلام بين الأفارقة الأصليين [1]، وهذا ما يعلل انتشار المذهب السنّي بدلاً من الشيعي في الساحل الشرقي لأفريقيا.

9- هجرات بني هلال وبني سليم وأثرها في هجرات البربر لجنوب الصحراء:

في أيام الفاطميين جاءت هجرات عربية عن طريق مصر وهي قبائل بني هلال وبني سليم في أعداد كبيرة، انتشروا في بلاد الصحراء بالحرب والهجرة والإقامة الدائمة وتصاهروا مع سكانها واختلطت دماؤهم وأنسابهم وامتزجت، وعمّروا السهول والواحات وفيافي الصحراء، وعرّبوا أهل البلاد الأصليين، وانتشرت بينهم اللغة العربية وأصبحت لسانهم [2]، وغدت هذه البلدان بلداناً عربية إسلامية، ثم انطلقت منهم هجرات إسلامية لكنها كانت قليلة العدد، اتجهت جنوباً إلى الصحراء الكبرى ومنها إلى حوض السنغال والنيجر وحوض بحيرة تشاد مثل بني جذام وبني حسان، وبني معقل، وأولاد سليمان وجهينة واستقرت هذه الهجرات هناك واحتفظت بأصولها العربية [3].

ومن أدلة انتشار العرب والنفوذ العربي، أنه قلّما تجد بيتاً حاكماً في غرب أفريقيا، إلاّ وينتسب بعض حكامه إلى أصل عربي، بعضهم يدعي نسباً علوياً أو أموياً أو عباسياً أو فاطمياً، وبعضهم يدعي نسباً يمنياً [4].

وإذا كان العرب قد هاجروا إلى البلدان الأفريقية في مختلف أنحاء القارة، وكان لهم أثرهم الكبير في نشر الإسلام ولغته وثقافته وإقامة سلطنات إسلامية، فقد كان لهجرات البربر أيضاً أثر عظيم جداً في نشر الإسلام خصوصاً في غربها، ولقد كانت غارات الهلاليين

---

(1) محمود الحويري، المرجع السابق، ص 31 - 32.

(2) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا، ص 471.

(3) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا...، ص 17 – 18.

(4) محمود، حسن أحمد: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي (القاهرة، 1407هـ/ 1986م) ص 60 - 61.

سبباً في هجرات قبائل كثيرة من البربر إلى منطقة الصحراء، ثم توغلها نحو الجنوب إلى منطقة السنغال والنيجر، ومن هذه القبائل التي هاجرت نحو الجنوب: هراوة ولواته ونفزاوة بعد غارات عرب الهلاليين مباشرة، وكان للطوارق أيضاً دور كبير في نشر الإسلام في منطقة السنغال والنيجر، وظلّت هجراتهم تؤثر في هذه الجهات حتى القرن الثامن عشر الميلادي[1].

وقد بدأ انتشار الإسلام في البربر مبكراً وأخذ ينمو في قبائلهم في الجنوب، تلك القبائل التي تميل إلى الهجرة، وتتخذ من الصحراء وطرفها مرتحلاً ومهجراً إلى السودان تستوطنه وتنشر الإسلام أينما حلّت، ومن أشهرها وأهمها قبيلة (صنهاجة) ببطونها المختلفة ويذكر ابن خلدون على وجه التعميم: «... أن الملثمين كانوا في كل نهضة من نهضاتهم يقيمون ملكاً واسعاً يتجه عادة نحو بلاد السودان، وأنهم أقاموا منذ وقت مبكر جسراً عبر الصحراء وصل السودان بالحضارة الإسلامية»[2].

وهكذا اختلط البربر بالزنوج والعرب في الصحراء وعلى أطرافها غرباً وجنوباً وامتزجت العادات والتقاليد والدماء، وقويت الصلات المتبادلة، ونتج عن ذلك الامتزاج شعب الهوسا الذي أصبح يتكلم لغة واحدة هي لغة الهوسا التي انتشرت انتشاراً كبيراً في غرب أفريقيا، ويدين معظمهم بالإسلام، كوّنوا إمارات أو ممالك إسلامية عرفت باسم ممالك الهوسا وهي: كانو، وكاتسينا، وزاريا، وجوبير، ودورا ورانو وزمفرة[3].

فالهجرة التي قام بها البربر من مبدأ دخولهم في الإسلام يحملونه معهم أينما حلّوا وينشرونه في المدن والقرى والواحات في الصحراء، حتى ساحل المحيط الأطلسي ومشارف السودان، كذلك قامت قبيلة لمتونة من البربر بدور كبير في نشر الإسلام بين الزنوج، وقد بلغ من قوة سلطانها ونفوذها ما جعلها سيّدة على العديد من ملوك السودان وبخاصة في عهد ملكهم (تين يروتان الأودغستي)، ونتيجة لهذه الهجرات أسلم ملك التكرور (وأرجاني بن

---

(1) حسن محمود، المرجع السابق، ص 61.

(2) حسن عبدالظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا، ص 95.

(3) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 51.

رايس م سنة: 932هـ/ 1040م)) على يد البربر، وكان ذلك عاملاً في ازدياد نشر الإسلام في غرب أفريقيا حتى وصل إلى غانة واعتنقه كثير من سكانها [1].

وأما قبائل الطوارق أصحاب اللثام الأزرق فهم من شر قبائل البربر وأكثرهم بداوة ويسكنون الصحراء، خاصة منطقة الهجار، كما ينتشرون في هضبة أهير وغيرها من الواحات، ويساكنهم في مواطنهم بعض الزنوج من السودان الذين يقومون بشتى الأعمال في المراعي والخدمة [2].

وازدادت هجرات الطوراق أمام هجرات العرب من بني هلال وبني سليم في القرن الخامس الميلادي وامتدّوا وانتشروا إلى الغرب والجنوب من بلاد السودان حتى منعطف نهر النيجر، واستولوا على منطقة آهير من يد السودانيين من أهل غوبر، وكان لإسلام الطوارق أثر كبير في تطور الأحداث في المنطقة، ترتب عليه قيام نشاط توسعي نحو الجنوب لنشر الإسلام بين الزنوج [3].

لقد كانت هجرات عرب بني هلال وبني سليم سبباً في هجرات قبائل كثيرة من البربر إلى منطقة جنوب الصحراء، ولعبت هجرات القبائل البربرية وتحركاتها دوراً عظيماً في نشر الإسلام [4]، وكوّنت هذه الهجرات وغيرها من هجرات العرب الهاربين من مذابح الصليبيين في أوروبا أيام انهيار دولة المسلمين في الأندلس، بعد سقوط آخر معاقلهم (غرناطة) في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ونزوح الكثير منهم إلى أفريقيا وخاصة صوب السودان الغربي وعاشوا فيه [5]، كوّنت مورداً لا ينضب من الدماء التي تسري في شرايين حركة انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، حيث ساهمت مساهمة فعالة مع غيرها من المسالك، في إرساء دعائم هذه الحركة ونجاحها في فترة وجيزة من الزمن [6].

---

(1) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 95 - 96.

(2) المرجع نفسه، ص 58.

(3) سلجهان: السلالات البشرية، ص 43.

(4) حسن محمود، المرجع السابق، ص 59 - 60.

(5) سعد غيث، المرجع السابق، ص 160.

(6) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام، ص 471.

10- هجرة وتحركات شعب الفولاني:

تتحدث بعض الروايات عن أهل الفولاني وترد نسبها إلى أصول شرقية سامية عربية، وغير عربية أو حامية، وهذا الأمر كما ذكرنا معهود عند كثير من شعوب السودان كلّه قديماً وحديثاً، وكتّاب الفولاني وعلماؤهم يعمقون أصول نسبهم ضاربين في أغوار التاريخ حتى يرجعون نسبهم بأبي الأنبياء إبراهيم (خليل الرحمن) (عليه الصلاة والسلام)[1]، وعندما جاء الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا، وامتد به عقبة بن نافع الفهري القرشي إلى المغرب، ثم عطف على ساحل المحيط الأطلسي وانتهى إلى بلاد آسفي[2]. وأجاز إلى السوس وأشرف على منطقة التارورانت في جنوب المغرب أسلموا على يديه وتزوج ابنة ملكهم واسمها (بج مع) وولد له منها أربعة أولاد إليهم ترجع كل قبائل الفلان، ثم تزوّجوا وتكاثروا، فكان ذراريهم الفلان، وفي ذلك يتولى الشيخ عبدالله بن فودي في كتابه ضياء التأويل في معاني التنزيل:

فتوردت أخـوال الفـولانيـين ❖ أخوة لعرب فمن روم بن عيص تفرعوا
وعقبة جد للفولانيين من عرب ❖ ومـن تورب كانت أمهـم بج مع[3].

وفي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، قامت ثورة كبيرة بمناطق الفولاني، فافترقوا وهاجر أحد زعَمائهم وهو (موسى جكل) بجماعة منهم متجهين صوب الشرق قاصدين الهجرة إلى الحجاز، لكن انتهوا إلى أن أقاموا في بلاد الهوسا، واختلطوا بهم، وكان موسى جكل هو الجد الحادي عشر للشيخ عثمان بن فودي الذي قاد حركة التجديد الإسلامي، وجاهد ضد الوثنية في قومه ووطنه حتى قامت على يديه دولة إسلامية ؛ وواصل بعضهم الهجرة حتى وصلوا برنو ودارفور وأقام موسى جكل في أرض (كن) وهي مدينة من مقاطعة آدار، وساكنوا أهلها من أول دخولهم، وكان منهم البدو الرحل المشتغلون بالرعي، ومنهم الحضر المستقرون، والمشتغلون بالعلم[4]، وكانوا يتفوقون على الوطنيّن في الثقافة مما

---

(1) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 67.

(2) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب (الدار البيضاء، 1374هـ/ 1954م) 2/ 132.

(3) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 68.

(4) المرجع نفسه، ص 70 - 71.

جعل لهم مركزاً خاصاً، وفي هذا الموطن كانت ألوانهم قد تغيّرت نتيجة الامتزاج الطويل مع الوطنيين، وقد تحرّك فرع منهم إلى أداماوا في حوض نهر بنوئ الرافد الشرقي الكبير لنهر النيجر وكان هذا الفرع من أشدّ فروع الفولانيين تحمّساً للإسلام، ويتمذهبون بالمذهب المالكي، وقد أسلم ملك جني حوالي نهاية القرن السادس الهجري حوالي 1200م، وحذا حذوه سكان مملكته، ثم هدم قصره وشيّد في مكانه مسجداً، وقد أثنى ابن بطوطة الذي وصل إلى تلك البلاد على حماس الفولانية في أدائهم لعبادتهم، وفي دراسة القرآن الكريم، ونشر الإسلام[1].

11- تحركات وهجرات الشعوب والقبائل الأفريقية:

قبل الحديث عن هجرات وتحركات الشعوب والقبائل الأفريقية ودورها في نشر الإسلام في منطقة جنوب الصحراء، أودّ أن أشير إلى بعض الهجرات العربية المتأخرة والجاليات العربية في جنوب الصحراء، فإلى ساحل بلاد الصومال وصلت مجموعة من سلالة عقيل بن أبي طالب استقرّت في أرض الزيلع في مدينة جبرت(أوفات)، وقد أطلق عليهم اسم الجبرتية، وازداد نفوذهم حتى ظهروا في القرن الثالث عشر الميلادي في سبع ممالك إسلامية عرفت بدول الطراز الإسلامي عملت على نشر الإسلام في بلاد القرن الأفريقي [2].

كذلك تدفقت بعض القبائل المغربية وخاصة قبائل لمطة إلى الضفة اليسرى لنهر النيجر عند مدينة (دندي) وسيطرت على الزراع من أهل صنغي، ورحّب هؤلاء بهم ليحموهم من الصيّادين الذين كانوا يعتدون عليهم، ونجح هؤلاء الوافدون في تكوين أسرة حاكمة، كوّنت علاقات تجارية مع غانة وتونس ومصر، وكانت هذه العلاقات ذات أثر بعيد في تحويل ملوك صنغي إلى الإسلام في بداية القرن الحادي عشر الميلادي [3].

ويشير عبدالمولى الحرير إلى أن من أكثر الهجرات الإسلامية فعالية تلك التي كانت تتوغل

---

(1) جوب، إبراهيم موسى: الفولانيون ودورهم في نشر الإسلام بغرب أفريقيا «فوتا سنقومايو»، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة الفاتح (طرابلس، بتاريخ 1414هـ/ 1993م) ص 56 - 58.

(2) محمد المشري: بلاد القرن الأفريقي، ص 86.

(3) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 37.

في القارة عن طريق المسالك الصحراوية القادمة من ليبيا، وأهم هذه جميعاً هجرات أولاد سليمان والأدوار الفعالة للدعوات الفكرية الإسلامية التي انطلقت من المغرب العربي [1].

ولقد احتلت الجاليات المغربية مكانة مهمة خاصة في تمبكتو فمنصب الإمامة للجامع الكبير في أكثر الأحيان أسند إلى علماء من شمال أفريقيا، ومنهم على سبيل المثال سيدي عبدالرحمن البلبالي (من توات)، وأبو القاسم التواتي ومنصور الفزّاني وسيدي علي الجزولي [2].

وسكن في (تنبكت) أناس من (أوجلة وفزّان وغدامس)، وكان أفراد جالية غدامس وأوجلة وتوات، ذوي مراكز اجتماعية وسياسية مرموقة ونجد في تلك المرحلة اسم الحاج علي بن سالم بن عبيدة المصراتي، ضمن أعيان المنطقة وكان أفراد الجالية الغدامسية من الكثرة بحيث إنهم شيّدوا حيّاً خاصّاً بهم في تمبكتو، ويعد ذلك الحي من أرقى أحياء المدينة وأجملها [3].

ولم يتمتّع أفراد تلك الجالية دائماً بتلك الامتيازات، وذلك الأمان والسلطة والجاه والنفوذ، فعندما حاصر سني علي مثلاً مدينة تمبكتو واحتلها عام 1486م تعرّضت تلك الجالية لعسف وجور شديدين وهرب بعض أفرادها إلى مدينة (ولاتا) على أن ذلك لم يدم طويلاً فسرعان ما عادت الجالية العربية إلى نشاطها في تمبكتو بعد موت سنّي علي [4].

أما عن هجرة وتحركات الشعوب والقبائل الأفريقية، فإنه أول ما يقابلنا من الشعوب الأفريقية من الشرق البجة الذين كانوا يسكنون في الصحراء الشرقية ما بين أسوان والبحر الأحمر شمالاً، وتمتد أراضيهم حتى شمال بلاد الحبشة وأريتريا جنوباً، وقد انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، ونظراً لجفاف أرضهم وصعوبة الحياة في بلادهم وإغارة النوبة عليهم، وتوجيه سلاطين المماليك في مصر حملات تقمعهم وتسيطر عليهم، أخذت جماعات كثيرة منهم تهاجر جنوباً منذ وقت مبكر يعود إلى القرن السابع

(1) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 43.

(2) السعدي: تاريخ السودان، ص 58.

(3) الفيتوري، أحمد: الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2 يوليو، مركز دراسات وجهاد الليبيين (طرابلس، 1402هـ/ 1981م) ص 249.

(4) المرجع نفسه، ص 249.

الميلادي، واستطاعت قبيلة الزنافج البجاوية أن تهاجر من مواطنها وتخترق هضبة أريتريا عن طريق وادي بركة وتخرّب إقليم حماسين، وأجبرت الكثيرين من الأحباش إلى الهجرة صوب الجنوب، وكان الإسلام قد انتشر مع البجة في كل مكان هاجروا إليه وأثّروا في الشعوب التي جاوروها[1].

وكان للشعوب والقبائل الرعوية في شرق أفريقيا دور عظيم في نشر الإسلام في هذه البلاد، ومن هذه الشعوب، شعب الأعفار الذين يطلق عليهم العرب اسم الدناكل، وكانوا يعيشون فيما يعرف اليوم باسم أريتريا، ونظراً لقربهم من اليمن لإطلالهم على البحر الأحمر ساعدهم ذلك على الاحتكاك بالتجار والمهاجرين المسلمين فانتشر الإسلام بينهم مبكراً ونظراً لهجراتهم الموسمية لاستبدال أوطانهم الجرداء بأوطان أخرى من بلاد الحبشة والصومال في القرن السادس عشر الميلادي فقد ساهموا في نشر الإسلام وحركة الجهاد العظمى التي قام بها أحمد القرين الصومالي، لرد عدوان مملكة الحبشة المسيحية، فآزروه وهزموا الأحباش وتوغّلوا في بلادهم ونشروا الإسلام في ربوع الحبشة حتى صار ثلاثة أرباع سكانها وقتذاك من المسلمين [2].

كما اعتنق بعض سكان السواحل (البانتو) الإسلام منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وبواسطتهم انتقل إلى بعض القبائل الوثنية، ومن هذه تسرّب إلى بعض أفراد قبائل الماساي، ومعظم سكان الساحل من العرب المسلمين، وغالبيّتهم ممّن يتبعون المذهب الشافعي، يوجد في شمال كينيا قبائل صومالية مسلمة، وبواسطتهم انتقل الإسلام إلى الغرب والجنوب [3].

وفي منتصف القرن السادس عشر الميلادي حملت لواء الدعوة قبائل قوية مثل قبائل: (البوهل والفولا) بالهجرات الجماعية التي قامت بها هذه القبائل في حوض نهر السنغال مدفوعة بدوافع دينية وسياسية توسعية، طامحة في توحيد أرض الإسلام في غرب أفريقيا وقد توجهت هذه الهجرات نحو الشرق إلى نيجيريا وتشاد، وجنوباً إلى الفوتاجالون (غينيا) وركّزت هذه القبائل على نشر التعليم الديني وإنشاء المساجد كأهم معالم للإسلام، وتمكّنت القبائل

---

(1) حسن محمود، المرجع السابق، ص 376 - 378.

(2) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص 57 - 58.

(3) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 93.

المهاجرة إلى غينيا من تأسيس دولة إسلامية على مبدأ الشورى، استمرت حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي [1].

ومن الهجرات التي أثرت في انتشار الإسلام هجرات قبائل الجلا، وهي قبائل بدوية رعوية، انتشر الإسلام بين أفرادها منذ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، واستطاعوا أن يحتلوا منطقة كبيرة من هضبة الحبشة، وعملوا على نشر الإسلام في منطقة القرن الأفريقي في بلاد الحبشة، وأسسوا دولة استمرت حتى سنة 1884م [2].

وكان لهجرات النوبيين والصومال والزنوج، دعم كبير لحركة نشر الإسلام في شرق أفريقيا، وكانت وراء توسع السلطنات الإسلامية التي قامت في هذه المنطقة وساعدتها في ردّ عدوان الأحباش على المسلمين ومن أهم القبائل التي اعتنقت الإسلام وعملت على نشره في أفريقيا قبيلة (ياو) التي تعيش الآن في جمهورية مالاوي، وكانت هذه القبيلة تبشر بالإسلام في المنطقة التي يرويها نهر لوجندا، ونشرت الإسلام في جميع الأراضي الممتدة من بحيرة نياسا إلى الساحل الأفريقي الشرقي، حتى أصبحت كل قرية فيها تحتوي على مسجد [3].

خلاصة:

لقد تعاقبت الهجرات العربية والإسلامية على أفريقيا جنوبي الصحراء، وأظهر العرب قدرات عالية في التأثير على المجاميع التي سكنت معها وبرز عدد من القادة المسلمين كان لهم دور كبير في نشر الإسلام، فأسهموا في ترسيخ أسس العقيدة الإسلامية حتى بدأ مواطنون أفارقة يدعون إلى الإسلام بين مواطنيهم في حركة سلمية [4].

إن هذه الهجرات وغيرها من هجرات البربر وتحركات الشعوب الأفريقية كان لها الفضل الأول والأكبر في نشر الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء [5]، خاصة في الأجزاء

(1) عبدالمولى الحرير: الإسلام وأثره على التطورات...، ص 43.

(2) حسن محمود، المرجع السابق، ص 936.

(3) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 60.

(4) ظاهر محمد: التواصل العربي الأفريقي، ص 33.

(5) عبداللطيف، علي محمد: أفريقيا العربية، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 1407هـ/ 1986م) ص 40.

الشرقية والوسطى منها، وذلك لقربها من مراكز أغلب هذه الهجرات، أما الأجزاء الغربية فإن تأثير الهجرات فيها لم يكن قوياً وكافياً لتحوّلها إلى الإسلام، كما كان في الشرق، وإنما جاء انتشار الإسلام فيها لعوامل أخرى سنذكرها في موضعها إن شاء الله.

ونتيجة لهذه الهجرات الإسلامية المتتابعة انتشر الإسلام واللغة العربية بين السكان المحليين، وشمل كذلك الجزر المواجهة لأفريقيا مثل جزيرة زنجبار وجزر القمر وجزيرة مدغشقر (مالا جاش) وتكوّن عالم إسلامي واضح المعالم والقسمات، نشأت فيه دول وسلطنات إسلامية، ظلت موجودة حتى اصطدمت بالبرتغاليين والأحباش، ثم بالاستعمار الأوروبي الحديث[1].

كذلك وجد الإسلام منتشراً في جنوب أفريقيا، عن طريق جماعات من أهل الملايو وأندونيسيا، ومن سيلان وشبه القارة الهندية، فما إن حطوا رحالهم في جنوب أفريقيا حتى انطلقوا يدعون إلى الإسلام، واستجاب لهم الكثيرون وتألّف من هؤلاء المهاجرين والذين استجابوا لهم وحدة إسلامية واحدة متناسية الوطن الأصلي واللون والجنس[2].

إن هذه الهجرات وغيرها كانت ولازالت مورداً لا ينضب معينه من الدماء التي تسري في شرايين حركة انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، حيث أسهمت إسهاماً فعّالاً في إرساء دعائم هذه الحركة ونجاحها[3].

(1) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 17.

(2) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، 6/ 191.

(3) علي الشطشاط: الهجرات العربية، ص 426 - 427.

الفصل الثالث

التجارة ودورها
في انتقال الإسلام إلى جنوب الصحراء

يحتوي هذا الفصل على:

- أولا : معاهدة البقط (معاهدة النوبة).
- ثانيـــا: التجارة الكارمية.
- ثالثـــا: العلاقات التجارية ومكانة تجار الشمال الأفريقي بممالك وشعوب جنوب الصحراء.
- رابعـــا: أهم المدن والمراكز التجارية على أطراف الصحراء وجنوبها.
- خامسا: دور التجار المسلمين في نشر الإسلام جنوب الصحراء.

الفصل الثالث

التجارة ودورها

في انتقال الإسلام إلى جنوب الصحراء

التجارة من الأنشطة التقليدية التي مارستها مختلف المجتمعات البشرية حتى البدائية منها منذ القدم، والتجارة سبقت التاجر، لأنه لم يكن ضرورياً في البداية أن يكرّس الناس جلّ نشاطهم لأجل إجراء المقايضة لأنهم اكتفوا ولحقبة طويلة من الزمن بمبادلة ما يملكون بوفرة، مقابل ما كانوا بحاجة إليه ودونما واسطة مهنية [1].

ثم قامت حركة التبادل التجاري بين مجتمعات العالم، فساعدت على ربطها برباط قوي فيما بينها هو رباط المصالح المتبادلة والمشتركة، كما أن ممارسة النشاط التجاري يتيح للمشتغلين به حرية الحركة والانتقال من مجتمع لآخر فالعملية التجارية عملت وبكل قوة على انصهار الكثير من المجتمعات البشرية في مجتمعات أخرى، ومثّلت ثقافاتها وعاداتها وتقاليدها [2].

ولقد كان للتجارة دور هام في ربط الصلات ما بين العرب في المشرق العربي وشمال أفريقيا، وشعوب بلاد السودان الغربي والأوسط، كما هو الحال مع غيرها من شعوب شرق القارة الأفريقية [3].

وقد برع العرب في التجارة قبل الإسلام بأمد بعيد حتى قيل إن كل عربي تاجر، وكانت بلاد اليمن ملتقى الرحلات البحرية والتجارية التي تأتي من الهند واندونيسيا والصين، حيث تلتقي بالرحلات البحرية وقوافل الجمال التي تسير بين اليمن وبين الشام وبلاد الشمال [4].

ويقرّ المؤرخون اليونان أن اليمن كان لها أسطول ضخم ينقل البضائع بين موانئ اليمن

---

(1) محمد المشري: بلاد القرن الأفريقي، ص 205.

(2) المرجع نفسه، ص 205.

(3) مطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، ص 156.

(4) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، 6/ 203.

وبين موانئ الهند والصين وسومطرة والصومال، بحيث كانت التجارة شبه احتكار في يدها، وكان تجار اليمن من الذكاء لدرجة أنهم حافظوا على أسرار تجارتهم، فلم يعرف أهل الشمال مصادر كثير من البضائع التي كانت ترد إلى اليمن من الهند وإندونيسيا والصين وغيرها حتى ظن بعض المؤرخين من اليونان والرومان أنّ جميع هذه البضائع كانت من إنتاج اليمن [1].

كذلك كان لموقع عمان في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية، والذي تحدّه الصحراء من الغرب والمحيط من الجنوب والشرق إلى توجّه سكانها للملاحة والتجارة البحرية، وقد برع العمانيون بدرجة كبيرة في صناعة السفن وإتقان فنّ الملاحة الشراعية، فلعبوا دوراً بارزاً في تنمية التجارة في المحيط الهندي [2].

إن سكان الخليج العربي من البحرانيين والعمانيين استهوتهم منطقة شرق أفريقيا والجزر المقابلة لها بما فيها مدغشقر أكثر من شرقي آسيا، فمارسوا التجارة واستقر الكثير منهم بل صاهروا السكان المحليين، فالتقوا بسكان جنوب جزيرة العرب، وبدت الآثار العربية واضحة لدرجة أدّت إلى اعتبار بعض الباحثين يجعل الشريط الساحلي من شرق أفريقيا وافداً من الشرق العربي، كما تبع تطور التجارة العربية ظهور الاستيطان الساحلي [3].

واشتهر نوع من السفن ذات شراع واحد عرف باسم الداوات، كانت تقوم برحلات سنوية إلى شواطئ شرق أفريقيا حاملة مختلف السلع العربية مثل البلح وسمك القرش المجفّف والقهوة والسجاد، وكانت هذه السفن تقوم برحلتين منتظمتين في السنة: الأولى في فصل الخريف (ديسمبر) عندما تدفعها الرياح الموسمية الشمالية الشرقية في اتجاه جنوبي غربي، وبعد شهور قلائل في فصل الربيع (مارس) تبدأ هذه السفن رحلة العودة إلى مواطنها في شبه الجزيرة العربية، تدفعها رياح موسمية جنوبية غربية [4].

---

(1) إبراهيم جوب: الفولانيون ودورهم في نشر الإسلام بغرب أفريقيا، ص 29.

(2) محمد المشري: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 67.

(3) المرجع نفسه، ص 69 - 70.

(4) محمود الحويري: ساحل شرق أفريقية، ص 17 - 18.

وأنشأ التجار العرب طرقاً لقوافلهم بعيدة عن الشاطئ لكي يسهّلوا أمور تجارتهم، وبنو مخازن في داخل البلاد، وكانت هذه القوافل التي تأتي من الشمال الأفريقي ومصر وشبه الجزيرة العربية، في مواسم مختلفة، ما هي إلاّ وسيلة لنقل ما تحتاج إليه أفريقيا من هذه المناطق وتعود محملة بالبضائع الأفريقية الرائجة في أسواق المغرب والمشرق العربي [1].

لقد أغرى هؤلاء التجار والملاحين ما وجدوه من سلع تجارية هامة كالتوابل والعاج والرقيق، وذلك لما تحقّقه من مكاسب كبيرة بالإضافة إلى رواج تجارة العرب، إن العرب الذين استقرّوا في الشرق الأفريقي يغلب عليهم الطابع التجاري ولم تكن لديهم فكرة استعمارية، أي استغلال الأرض ثم الانتشار فيها للداخل، وكان الغرض الأساسي من الاستقرار هو نقل الحاصلات الداخلية إلى الموانئ الساحلية للاتجار فيها، ولوحظ عدم اهتمام العرب بامتلاك الأرض إلاّ بالقدر الضروري لحماية مراكز الاستقرار، ولهذا كانت الممالك العربية على الساحل الأفريقي ضيّقة [2].

وبالإضافة إلى تجار العرب كان تجار البربر الذين قاموا بنشاط تجاري واسع ثم هناك تجار من بلاد التكرور والهوسا والفولاني، وكل هذه التجارات نَمَتْ في ظل الإسلام، فخدمها الإسلام وخدمته، حتى إن البعض يقول: «إن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير» [3].

ويعتقد ترمنجهام أن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير بطرق التجارة الموصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان عبر الصحراء أو على طول ساحل المحيط الأطلسي، وهي التي قامت بدور جليل الشأن في نشر الإسلام في بلاد السنغال وأعالي النيجر ومنطقة بحيرة تشاد هذا التأثير المغربي لم ينقطع أبداً طوال العهد بالإسلام، وكانت المجتمعات الإسلامية الجديدة التي تنشأ في شمال السودان تقوم بدورها في نشر الإسلام في هذه المناطق الواقعة إلى الجنوب عن طريق التجارة والطرق التجارية [4].

---

(1) الجمل، شوقي: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، بدون تاريخ) ص 39.

(2) محمد المشري، المرجع السابق، ص 68.

(3) أحمد شلبي: المرجع السابق، 6/ 204.

(4) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 373.

إن طائفة التجار تعدّ من أهم الطوائف التي نشرت الإسلام في غرب أفريقيا، فقد كانت القوافل التجارية تنقل الأسلحة والملابس من شمال أفريقيا إلى غربها ويتم بيع البضائع في مناطق غانا وغينيا ومالي وتكرور وسنَغي وكانو وبرنو ثم تعود القوافل محملة بريش النعام والعاج والتوابل والحرير والذهب والعبيد [1].

وكانت هذه الرحلات التجارية تستغرق شهوراً طويلة وربما سنوات لا تستطيع العودة من هذه المناطق الداخلية إلى مناطقها في موسم الأمطار فكان التجار ينتظرون الشهور يتاجرون ويحتكّون بالأهالي [2]، وكانت القافلة تتكوّن من عدد كبير من التجار والعاملين من خمسين إلى مائة رجل يسافرون عبر الصحراء أو عبر وديان الأنهار يشترون ويبعون في مراكز الأسواق من كل بلد، وكانت القافلة تتسلّح بالأسلحة التي تحميها من المعتدين وللقافلة أدلّة، ودليل القافلة كربّان السفينة، وقامت الموانئ والمدن على امتداد حافة الصحراء الكبرى من الجانب الشمالي والجنوبي، وفي هذه الموانئ الصحراوية تستطيع القوافل أن تجد الأمن والراحة بعد رحلة الصحراء، وتستطيع أن توفّر الدّواب والمرافقين، وتتبادل السلع والأخبار [3].

وعندما يحلّ التجار بالبلاد كانوا يختلطون بسكانها ويتزوّجون منهم بل وأنشأوا قرى جديدة في طريقهم وكوّنوا لأنفسهم جاليات إسلامية تقيم إقامة دائمة بالبلاد التي ينزلون بها كما أقاموا مراكز تجارية ومرافئ للمراكب والسفن، وشيّدوا المساجد، ولا يزال بعضها باقياً إلى الآن، وكانوا يفتحون المدارس القرآنية في هذه الأماكن، وكان سكان المناطق التي يحلون بها يقتدون بهؤلاء التجار في تصرّفاتهم ومعاملاتهم وسلوكهم اليومي في الحياة [4].

كما أن بعض التجار جمع بين التجارة والتعليم، فإذا ما استقر بهم المقام أنشأوا مدارس لتعليم القرآن أو أنشأوا مسجداً، وقاموا في نفس الوقت بمزاولة النشاط التعليمي والاقتصادي، إن حرفة التجارة من طبيعتها أن تصل التاجر بصلة وثيقة مباشرة بالمجتمع، فاحتكاكهم المباشر بالسكان يجعلهم يؤثّرون فيهم، وغالباً ما ينتهي هذا الاحتكاك بدخول كثير من هؤلاء

---

(1) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا، ص 487.

(2) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا جنوبي الصحراء، ص 11.

(3) أحمد، محمد عبدالقادر: المسلمون في غينيا (القاهرة، 1406هـ/ 1986م) ط1، ص 26.

(4) علي الشطشاط المرجع السابق، ص 487.

السكان في الإسلام، بالإضافة إلى ذلك فإن موقف الإسلام من الرق وتيسير المواصلات ساعد على ترويج التجارة، ومكّن التجار المسلمين من أن يبسطوا تأثيرهم في مناطق لم تطأها الأقدام من قبل [1].

لقد ازدهرت العلاقات الإسلامية الأفريقية خاصة في المجال الاقتصادي حيث أدى التجار المسلمون من العرب والبربر في بلاد المغرب خاصة، دوراً مهماً بتمتين الصلات التجارية بين الممالك الأفريقية القائمة في غرب أفريقيا ووسطها، وبين مناطق البحر الأبيض المتوسط والبلدان الأوروبية، وبنفس الدور أيضاً قام التجار المسلمون في تمتين الصلات بين موانئ ساحل شرق أفريقيا وبلاد الصين، فضلاً عن المناصب الإدارية العليا التي شغلها هؤلاء التجار في القارة لإدارة تلك الممالك وما تمتعوا به من امتيازات وضمانات كثيرة وعديدة [2].

إن الإسلام لم يمنع مَن اعتنقه من تجار العرب عن مزاولة حرفهم الأولى، فكانت قوافلهم التجارية تسير إلى حيث كانت تسير من قبل فقد أجمعت المصادر الإسلامية على أن عبدالرحمن بن عوف كان يدير المال ويثمره ويحرص عليه كأحسن ما يكون التدبير والحرص، ومضى طلحة بن عبيدالله في تجارته بعد إسلامه لم يصرفه عنها إلا ما كان من شهوده الغزو مع النبي (ﷺ)، وكان عفّان بن أمية صاحب تجارة وترك لابنه عثمان (رضي الله عنه) ثراءً فاحشاً، وذهب عثمان (رضي الله عنه) مذهب أبيه بل مذهب قومه جميعاً في التجارة فأفاد منها مالاً كثيراً [3].

وتقدّمت الحضارة وازدهرت في الدولة الإسلامية تحت حكم الدولتين الأموية والعباسية، اللتين ألحتا في طلب مختلف الأشياء التي تنقصهم والتي تتوافر فيما يحيط بهم من بلاد منها أفريقيا، فنشطت الحركة التجارية ونشطت المراكز التجارية وازدحمت بالعرب النازلين فيها والذين توغّلوا في الداخل في طلب مواد التجارة، فأخذ عدد المسلمين يزداد وكلّهم ذو ميسرة وشجّع ذلك عدداً آخر على اللّحاق بهم طلباً للثروة، وبحثاً عن المال وإذا ما ضعفت الدولة الإسلامية وانقسمت إلى عدد من الدويلات التي تحكمها بيوت مالكة، نشطت الحركة التجارية نشاطاً قوياً لتسدّ مطالب هذه البيوت المالكة، وكلّهم أسرف في

(1) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 55، 57.

(2) ظاهر محمد: التواصل العربي الأفريقي، ص 37 – 38.

(3) رياض، زاهر: الإسلام في إثيوبيا، دار المعرفة (القاهرة، 1384هـ/ 1964م) ط1، ص 99 – 100.

الترف والنعيم، واشتد طلب الرقيق ومواد التجارة المختلفة، فكل هذه الأسباب المختلفة كانت عاملاً من عوامل نشاط التجارة ومن ثم انتشار الإسلام في هذه المناطق، وظهور الولايات والممالك الإسلامية [1].

وقبل أن أتكلم عن أهم الموانئ والمدن التجارية جنوب الصحراء وعن دور التجار في نشر الإسلام وترسيخ العقيدة الإسلامية في هذه المنطقة كان لزاماً الحديث أولاً عن معاهدة البقط أو معاهدة النوبة كما يسميها البعض، والتي عقدها المسلمون مع النوبة وأثرها في فتح المجال أمام التجار المسلمين للتوغل في النوبة ثم إلى دواخل القارة، وكذلك دور التجارة الكارمية في تنشيط حركة التجارة بين المسلمين والأفارقة ومكانة تجار شمال أفريقيا في دول وممالك جنوب الصحراء ودورهم في ربط دول الساحل بجنوب الصحراء.

أولاً: معاهدة البقط (معاهدة النوبة):

النوبة هي المنطقة الممتدة على شاطئ النيل جنوبي أسوان حتى دنقلة بالسودان وقد وصفها العمري: «النوبة تلي مصر في نهاية جنوبها على ضفّتي النيل الجاري إلى مصر، وقاعدتها دنقلة ومدنها أشبه بالقرى والضياع من المدن، قليلة الخير والخِصب يابسة الهواء»[2].

وترجع علاقة المسلمين بالنوبة عندما افتتح عمرو بن العاص مصر، فأحسّ النوبيون المسيحيون – وهم سكان وادي النيل بجنوب مصر – أن من واجبهم محاربة هؤلاء المسلمين الذين غزوا مصر بدافع من النخوة الدينية التي دفعتهم لذلك [3]. فكثرت غاراتهم على مصر، فكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) مرّات عديدة يستأذنه بأن يسمح له بغزوهم، وفي آخر الأمر سمح له الخليفة بأن يشن عليهم بعض الغزوات، فخرجت على شكل صوائف وشوات حتى تؤدب هؤلاء النوبيين، وتوقف هجماتهم وغاراتهم على مصر [4].

---

(1) زاهر رياض، المرجع السابق، ص 101 - 102.

(2) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 4/ 99.

(3) المسعودي، مروج الذهب، 2/ 21.

(4) حسن، يوسف فضل: الإسلام والعروبة في السودان، محاضرات الموسم الثقافي الأول (1979-1980م) إعداد: محمد عبد السلام الجفائري، مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 1410هـ/ 1989م) ط1، ص 81.

فخرجت أول حملة سنة 20-21هـ/ 642م بقيادة عقبة بن نافع الفهري، والتقى عقبة بجيش النوبة في معركة ضارية أبدى فيها النوبيون مهارة فائقة في رمي النبل، وعنف في المقاومة، وأظهروا من البراعة في المرواغة والمهارة في إطلاق السهام وإصابة الهدف، وكانت أهدافهم عيون المقاتلين وحدقاتهم يصيبونها في دقة ومهارة، فلا يكادون يخطئون ويصفهم المسعودي بقوله: «فغزاهم المسلمون – أي النوبة – فوجدوهم يرمون الحدق، وأبى عمرو بن العاص أن يصالحهم حتى صُرف عن مصر»[1].

ويذكر البلاذري في فتوح البلدان عن شيخ شهد ملاقاة النوبة فيقول: «شَهِدت النوبة مرّتين في ولاية عمرو بن العاص فلم أر قوماً أحدّ في حرب منهم، لقد رأيت أحدهم يقول للمسلم، أين تحب أن أضع سهمي منك ؟ فربما عَبث الفتى منّا فقال في مكان كذا، فلا يخطئه»[2].

ولم تكن هذه الحملة الإسلامية الأولى تريد زحفاً جاداً نحو البلاد النوبية، فعمرو بن العاص لم يكن يطمع في أكثر من تأمين حدود مصر الجنوبية، أو تعقّب بعض الفارّين من الجنوب أو القواد البيزنطيين، ولعلّها كانت حملة استكشافية تريد أن تستطلع الأحوال في أقصى جنوب مصر[3].

وما أن غادر عمرو بن العاص مصر وخلفه عبدالله بن سعد بن أبي سرح في حكمها، حتى نقض النوبيون العهد بالأمان الذي أعطاه لهم عمرو بن العاص، فما كان من عبدالله بن أبي السرح إلا أن قام بغزو مملكة مقرة عام 31هـ/ 652م، حيث عاود العرب الكرة ثانية على بلاد النوبة، ويبدو أن المسلمين استفادوا من سلبيات الحملة السابقة، ومن الإخفاق الذي صادفته في عهد عمرو بن العاص، فأعدوا حملتهم أتمّ إعداد[4].

فأوغلت حملة ابن أبي سرح في بلاد النوبة جنوباً، ومضت في زحفها حتى وصلت إلى مدينة دنقلة وحصلت معركة حامية بين الطرفين، استبسل فيها النوبيون، ولكنّهم مالوا إلى

(1) المسعودي: المصدر السابق، 2/ 21.

(2) البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة العربية (القاهرة، 1377هـ/ 1957م) ص 217.

(3) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 282.

(4) عبدالفتاح الغنيمي: الإسلام والعروبة في السودان، ص 43.

الصلح عندما ضرب المسلمون قلاعهم وكنيستهم بالمجانيق، فأدخل هذا الضرب شيئاً من الرعب في نفوسهم، مما اضطر ملكهم (قليديوت) إلى طلب الصلح، فتوقف الزحف الإسلامي إلى هذا الحد، واقتنع المسلمون بالمصالحة لأنهم أحسّوا بأنهم بعيدون عن مركز إمداداتهم فرغبوا في الصلح أيضاً[1].

ثم توصّلوا إلى اتفاقية تختلف عن نوع الاتفاقيات التي عقدت بين المسلمين وغيرهم في ذلك الوقت، وعرفت هذه الاتفاقية في التاريخ (معاهدة البقط)[2] وكلمة بقط لاتينية تعني مجموع المدفوعات والالتزامات من طرف إلى آخر، أما نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عهد من الأمير عبدالله سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة، ولجميع أهل مملكته، عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حدّ أرض أسوان إلى حد أرض علوة، إنّ عبدالله بن سعد جعل لهم أماناً وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين، ممّن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة، إنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي (ﷺ) أن لا نُحاربكم ولا ننصب لكم حرباً ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التي بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه.

وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم وإن عليكم ردّ كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردّوه إلى ارض الإسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه، ولا تتعرّضوا لمسلم قَصَدَه وحاوره إلى أن ينصرف عنه، وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصلياً وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته.

وعليكم في كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً تدفعونها إلى إمام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب، يكون فيها ذكران وإناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحُلُم تدفعون ذلك إلى والي أسوان.

---

(1) يوسف حسن، المرجع السابق، ص 82.

(2) جمال قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ص 142.

فإن أنتم آويتم عبداً لمسلم أو قتلتم مسلماً أو معاهداً أو تعرّضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيئاً من الثلاثمائة رأس والستّين رأساً فقد برئتْ منكم هذه الهدنة والأمان ونحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمّة رسوله محمد (ﷺ) ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من ذمّة المسيح وذمّة الحواريين وذمّة من تعظّمونه من أهل دينكم وملّتكم، الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك كتبه عمر بن شُرَحْبيل في رمضان سنة إحدى وثلاثين»[1].

لقد قضت هذه المعاهدة بأن يدفع ملك النوبة إلى بيت المال في مصر 360 رأساً من الرقيق كل عام، يدفع للوالي بمصر أربعين رأساً، وحاكم كورة أسوان الذي يتولّى تسليم الرقيق عشرين رأساً، ومبعوث الوالي الذي يجيء إلى أسوان خمسة، وللشهود العدول عن معاهدة البقط وعددهم أثنا عشر، رأساً واحداً، والموضع الذي يتسلّم فيه هذا البقط، ويحضره من ذكر وغيرهم من النوبة من ثقات الملك، يعرف (بالقصر) وهو على ستة أميال من مدينة أسوان بالقرب من جزيرة بلاق[2].

كما يتعهّد النوبيون بحفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون في دنقلة ولا يهدموه، وفي مقابل ذلك يقوم المسلمون بإمداد النوبة بألف إردبّ من الغلال ويهادى السفراء بثلاثمائة إردبّ، كما يرسل المسلمون حبوباً أخرى كالعدس إلى جانب الأقمشة[3].

وتعتبر هذه المعاهدة عبارة عن هدنة أمان أو معاهدة عدم اعتداء يلتزم بها الطرفان وتقوم على المنافع المشتركة والتجارة بين المسلمين والنوبيين[4].

---

(1) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، 2/ 191، والمسعودي: مروج الذهب، 2/ 21، المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (القاهرة، بدون تاريخ) 1/ 200، والبلاذري: فتوح البلدان، ص 237 – 238، ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله، المسالك والممالك (ليدن، 1841م) ص 92، أبادي، محمد حميد الله الحيدر: مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، بدون تاريخ) ص 296 – 297.

(2) المسعودي: المصدر السابق، 2/ 21.

(3) ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص 92.

(4) عبدالفتاح الغنيمي: الإسلام والعروبة، ص 44.

وكان النوبيون أكثر رغبة من المسلمين في الاتفاق لأن الكنيسة الآن في قبضة العرب، وكذلك مسارب التجارة ومسالكها، ومن ثم تبلورت هذه الرغبات المتبادلة في معاهدة البقط الشهيرة، وأصبحت بلاد النوبة من وجهة نظر الدولة الإسلامية في مصر سوقاً كبيراً أو منطقة نفوذ إسلامي كما عملت ممالك النوبة على تنفيذ هذه الاتفاقية ومدّ مصر بما تحتاجه [1].

لقد كانت هذه المعاهدة معاهدة مصالح مشتركة وتأمين النواحي الاقتصادية والتجارية، وتشجيع التبادل التجاري وتنظيم طبيعي للعلاقات وإقرار للسلام على الحدود المشتركة، وبمثابة فتح الباب أمام الهجرات الإسلامية ومنفذاً لأفريقيا جنوب الصحراء، ودول وممالك شرق ووسط أفريقيا لتنفذ في هدوء وطمأنينة، وكانت هذه المعاهدة استهلالاً لانتشار الإسلام في بلاد النوبة انتشارا سلمياً في فترة استمرّت حتى بداية العصر المملوكي في مصر [2].

وظلّت اتفاقية البقط تمثّل الركن الأساسي في التعامل بين المسلمين والنوبة لمدّة لا تقل عن ستة قرون وقد كان من فوائدها أنها مهدّت للمسلمين دخول بلاد النوبة دون أن يصيبهم مكروه، كما سمحت لهم أن يزاولوا الشعائر الدينيّة بحرّية [3].

وعن طريق هذا التبادل التجاري الذي نظّمته معاهدة البقط والأصول والقواعد التي وضعتها، زاد التغلغل السلمي للإسلام، فقد اعترفت المعاهدة بحرية المرور التجاري بين القطرين «.. وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم» ومعنى هذا أن تجار المسلمين كان باستطاعتهم أن ينفذوا إلى بلاد النوبة وأن يقيموا فيها متاجرين غير مستقرّين، وأن تؤمن أموالهم وأنفسهم [4].

فأصبح هؤلاء التجار يخالطون أهل البلاد ويتحدّثون إليهم، وكان تجار المسلمين عادة من خير الدعاة إلى الإسلام وكانت أعداد التجار تتزايد ويزيد نشاطهم التجاري والديني، كلّما

---

(1) حسن محمود، المرجع السابق، ص 283، 285.

(2) المرجع نفسه، ص 284.

(3) يوسف حسن، المرجع السابق، ص 82.

(4) حسن محمود، المرجع السابق، ص 286 – 287.

نمت العلاقات بين البلدين، والتجار النوبيون بدورهم كانوا يتحدّثون عن أحوال البلاد الإسلامية الدينية والثقافية عند رجوعهم لبلادهم ويتأثرون بما يشاهدون من معالم الحضارة [1].

إن هذه المعاهدة فتحت الباب أمام المؤثرات الإسلامية لتنفذ إلى البلاد في هدوء وسلام، فقد نفذ الإسلام في أقل من عشر سنوات منذ الحملة الأولى في عام 21هـ/ 641م، ثم إلى معاهدة البقط عام 31هـ/ 652م، بدليل بناء المسلمين لمسجد لهم في عاصمة شمال السودان (دنقلة) وأتاحت للمسلمين الاتصال بالنوبة ثم المرور والانتقال جنوباً، مما أتاح الفرصة أمام المسلمين للانطلاق جنوباً حتى مملكة علوة، وما يقترب من مدينة الخرطوم (حالياً) حيث العاصمة (سوبا) فنشروا هناك اللغة العربية والدين الإسلامي [2].

واستمرّت العلاقات بين المسلمين والنوبة إلى أن قدم أحد المطالبين بالعرش واسمه شكنّده إلى السلطان المملوكي بيبرس الذي انتهز الفرصة فجرّد جيشاً سنة (675هـ/ 1276م) بقيادة آقسنقر الفارقاني الأستادار، وأيبك الأفرم، فأوغل الجيش في بلاد النوبة والتقى الجيش النوبي فدارت الدائرة على النوبيين وانتهت المعركة بهزيمتهم وفرارهم، وأوغل الجيش المملوكي في البلاد حتى وصل إلى دنقلة واستطاع هزيمة جيش الملك داود الذي فرّ من المعركة، وعيّن شكنّده ملكاً للنوبة [3].

وتعتبر هذه الحملة فتحاً للنوبة، ولم يكد ينتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حتى كان النوبيون بين أسوان ودنقله بالسودان قد اعتنقوا الإسلام، باستثناء أقلّية نوبية ظلّت على المسيحية حتى أواخر القرن الخامس عشر، وفي هذا القرن تكوّنت مجموعات نوبية مستعربة وهم الكنوز والسكوت والمحس والأناقلة [4].

(1) حسن محمود، المرجع السابق، ص 287.

(2) عبد الفتاح الغنيمي: الإسلام والعروبة، ص 46 – 53.

(3) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 20.

(4) المرجع نفسه، ص 20.

ثانياً: التجارة الكارمية:

الكارمية ويقال الكانمية بالنون نسبة إلى الكانم: وهم فرقة من السودان، ذلك أن طائفة منهم كانوا مقيمين بمصر، شأنهم التجارة في البهار من الفلفل والقرنفل، ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم، ويَفْتَرِض البعض أن الاسم أخذ من متاجرهم نفسها، إذ وجد أن كلمة Kuaraima هي لفظة أمهرية تفيد معنى الحبهان، وهو تابل من التوابل اشتغلوا بالإتجار فيه، ثم حرّفت هذه الكلمة وأصبحت كارم وأطلقت على هؤلاء التّجار [1].

وهي فئة من المسلمين نشأت بمدينة قوص بمصر من خليط من مهاجري أهل التكرور بغرب أفريقيا وبعض الهنود والعرب منذ القرن الرابع الهجري، وأصبحت قوص المركز الرئيسي لتجارة الهند الشرقية وامتدّت منها شبكة طرق قوافل ومواصلات لتقطع أفريقيا غرباً إلى غرب أفريقيا، كما امتدّت إلى القاهرة ومنها إلى سواحل أفريقيا الشمالية إلى أوروبا [2].

واتخذت لنفسها اسم الكارمية أو الكانمية، وكانوا على قدر كبير من الورع والتقوى، فجعلوا من أنفسهم دعاة إلى الإسلام، إلى جانب اشتغالهم بالتجارة، فقد عملت هذه الفئة بتجارة التوابل [3]، والبخور والصمغ والعاج وغيرها من السلع الثمينة من منتجات أفريقيا وآسيا وأصبح اسم الكارمية يطلق على كل من اشتغل بتجارة البهار والفلفل [4].

وقد زاد نشاط هؤلاء التجار في العهد الفاطمي خاصة في عهد الخليفة المستنصر، وذلك بسبب توقّف اليهود عن مزاولة هذه التجارة تماماً، فانفرد تجار الكارم المسلمون بها، واهتمام الدولة الفاطمية بهذه التجارة لدعم اقتصادها الداخلي [5]، وقامت الدولة الفاطمية بحمايتهم وكان لها أسطول في عيذاب لحماية التجارة الكارمية فيما بين عيذاب وسواكن من قراصنة

---

(1) عثمان، شوقي عبدالقوي: التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر المماليك، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، 1421هـ/ 2000م) ص 45.

(2) مجاهد، حورية توفيق: الإسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1423هـ/ 2002م) ص 125.

(3) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، مطبعة يوسف (القاهرة، 1385هـ/ 1965م) ص 50.

(4) شوقي عثمان، المرجع السابق، ص 45.

(5) حورية مجاهد، المرجع السابق، ص 215.

كانوا بجزائر البحر الأحمر يعترضون المراكب، وكان عديد هذا الأسطول خمسة مراكب ثم صارت ثلاثةً، وكان والي قوص هو المتولّي أمر هذا الأسطول، وكان يحمل إلى هذا الأسطول كل ما يتطلّبه ويكفيه من السلع [1].

وسارت الدولة الأيوبية على نهج الدولة الفاطمية في حماية تجارة البحر الأحمر والاهتمام بها وتشجيع الكارمية على التوسّع في تجارتهم، وكان تقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين، قد وقف فندقاً لسكنى التجار الكارمية بمصر [2].

وعمل سلاطين المماليك على حماية الكارمية والمحافظة على مكانتهم، حتى أصبحوا في مركز اقتصادي واجتماعي عظيم [3]، وقام سلاطين المماليك بحل كل مشاكل الكارمية دونما إبطاء أو تأخير، وكان كثير من مشاكلهم تُعرض على السلطان، ومن ذلك مثلاً ما أورده المقريزي من أن تجار الكارم تقدّموا في صاحب سواكن وصاحب جزيرة دهلك بأنّهما يتعرّضان لأموال من يموت من التّجار في بلادهم، فأرسل السلطان الظاهر بيبرس رسولاً ينكر عليهما ذلك سنة 662هـ/ 1263م [4].

وقد كان للسياسات الإسلامية التي اتبعتها الدولة الإسلامية أثر كبير في زيادة ثروة الكارمية فلم يكن يسمح للسفن الهندية والصينيّة باجتياز عدن إلى الشمال، لأن عملية نقل البضائع الصادرة إلى الشمال كانت موكلة إلى سفن إسلامية، كما لم يسمح سلاطين المماليك لأي تاجر أوربّي بأن يتوغّل جنوباً بتجارته أو بمفرده إلى بلاد النوبة، خوفاً من تآمر هؤلاء التجار مع الحبشة ضد المسلمين، وكان هذا هو السبب الظاهر، أما السبب الحقيقي فهو حرص المماليك على عدم معرفة الأجانب بالطرق التجارية المارّة في البلاد [5].

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 3/ 524.

(2) ابن دقماق، محمد بن أيدمر العلائي: الانتصار بواسطة عقد الأمصار، طبعة بولاق (القاهرة، 1310هـ/ 1893م) 30/4.

(3) شوقي عثمان، المرجع السابق، ص 45 – 46.

(4) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، لجنة إحياء التراث الإسلامي (القاهرة، 1387هـ/ 1967م) 1/ 506.

(5) شوقي عثمان، المرجع السابق، ص 46 – 47.

ونتيجة لهذا سيطر الكارمية على تجارة البحر الأحمر ووصلوا بتجارتهم إلى السودان الغربي والأوسط والنوبة، كما وصلوا بمتاجرهم إلى بلاد الحبشة ودول الطراز الإسلامي [1] والمشيخات الإسلامية على ساحل البحر الأحمر، ولعلّ أعظم ما أقبلت عليه تلك الجهات الأفريقية من متاجر مصر أقمشتها، وكان ملوك المسلمين بالحبشة يؤدّون إلى الحطي (ملك الحبشة) ضريبة سنوية من الأقمشة الحريرية والقطنية التي تأتيهم من مصر، كذلك أصبحت موانئ البحر الأحمر مخازن لتجمّع بضائع الكارمية قبل نقلها إلى مصر [2].

وتحت ستار التجارة دخل الكارميون بلاد الحبشة، ولقوا ترحيباً من أمرائها وحكامها، بسبب نشاطهم التجاري الكبير، واشتغالهم بتجارة الرقيق بمساعدة ملوك الحبشة أنفسهم، وساعدهم ذلك على نشر الدعوة الإسلامية طول إقامتهم في البلاد، واختلاطهم بالأهالي ومعرفتهم بعاداتهم وتقاليدهم حتى أسلم على أيديهم كثير من أهل الحبشة [3]، وكثير من قبائل الجلا والصومال [4].

وقد كوّن التّجار الكارمية نقابة لهم في قوص هيمنت على تجارة التوابل وكان رئيسها يطلق عليه رئيس الكارمية. وهو أكثر الكارمية مالاً ونفوذاً وجاهاً، ويخضع له سائر التجار حتى أكابرهم وله المكانة الرفيعة في مصر، وعند سلاطينها فضلاً عن مكانته المرموقة وكلمته المسموعة في مختلف الأسواق التجارية [5].

ونتيجة للمنافع التي جنتها مصر من التجارة الكارمية فقد أولاهم سلاطين المماليك اهتماماً خاصاً وأنشؤا وظيفة هامة لرعاية مصالحهم، هي وظيفة نظر البهار والكارمي [6].

---

(1) الطراز الإسلامي: هي البلاد المقابلة لبر اليمن على أعالي البحر الأحمر وما يتصل به من بحر الهند، ويعبّر عنها بالطراز الإسلامي لأنها على جانب البحر كالطراز له وهي سبع ممالك بأيدي سبعة ملوك، العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 4/ 62.

(2) شوقي عثمان، المرجع السابق، ص 47.

(3) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، ص 50.

(4) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا، ص 489.

(5) شوقي عثمان، المرجع السابق، ص 48.

(6) القلقشندي، المصدر السابق، 4/ 32.

ولم يكن دور التجار الكارمية في الحياة الثقافية أقل من دورهم في الحياة الاقتصادية، بل تعدّوها إلى ما اشتهروا به من أعمال الخير والصلاح [1]، حيث اشتغلوا بتدريس الفقه والإفتاء والتفسير، وهكذا رغم عدم اشتغالهم بالدعوة إلا أنّهم نشروا الإسلام في الدول التي دخلوها وتاجروا فيها، ومن ضمن آثارهم بالنّسبة لانتشار الإسلام هو تحريرهم للرقيق المصاحب لهم في نهاية رحلة التجارة وإعادتهم لأوطانهم مما جعلهم نقلة للإسلام [2].

ومن جهود الكارمية في سبيل العلم والثقافة الإسلامية ما قام به عبد العزيز بن منصور الكولمي أحد تجار الكارمية، حيث كان متسعاً في نفقاته وكان يكثر البر والمعروف، ويخرج زكاة ماله وله عدّة أوقاف على مكاتب سبيل البر [3]، كذلك عبد اللطيف بن أحمد، أحد رؤساء الكارمية كان يعلّم الحديث ويفرّق على كل من سمع عليه ديناراً كما بنى وأوصى محمد بن مسلم بتعمير مدرسة بإسمه ورصد لذلك ستة عشر ألف دينار [4].

لقد ساعد هؤلاء التجار الكارمية في ربط العلاقات التجارية بين مناطق جنوب الصحراء وخاصة بلاد البرنو والكانم وبلاد الهوسا بشكل خاص مع بلدان شمال أفريقيا خاصة ليبيا ومصر وأسهموا في نشر الإسلام بين الأفارقة وقاموا ببناء العديد من المنشآت الدينية [5].

ثالثاً: العلاقات التجارية بين الشمال الأفريقي وممالك وشعوب جنوب الصحراء، وآثارها:

إن أغلب المصادر التاريخية تشير إلى وجود علاقات اقتصادية بين مناطق الشمال الأفريقي، ومناطق غربيّ أفريقيا ووسطها، ومن المؤكد أن تلك العلاقات لم تزدهر إلاّ بعد الفتح الإسلامي لمصر وشمال أفريقيا، وتأتي أهمية هذه العلاقات التجارية إذا عرفنا أن الإسلام قد وجد طريقه إلى وسط القارة وغربها على أيدي أولئك التجار في أغلب الأحيان [6].

---

(1) ابن تغري بردي، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1348هـ/ 1929م) 1/ 185.

(2) حورية مجاهد، المرجع السابق، ص 215 – 216.

(3) المقريزي: السلوك، 2/ 132 – 133.

(4) شوقي عثمان، المرجع السابق، ص 49.

(5) علي الطيف: المراكز التجارية الليبية، ص 123.

(6) أحمد الفيتوري: الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان، ص 245.

ولقد كان لتطوير نظم التجارة وطرقها في عهد الفتح الإسلامي للشمال الأفريقي أثره في تيسير نشر الدعوة الإسلامية جنوب الصحراء، وكان من أبرز هذا التطوير ما قام به حفيد الفاتح عقبة بن نافع الفهري، وهو عبدالرحمن بن حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع، أواخر الحكم الأموي، من حفر سلسلة من الآبار تصل بين واحات أفريقيا وبين مدينة أودغست ممّا مهد الطريق أمام القوافل التجارية للتوغل في غرب أفريقيا عبر الصحراء، بعد أن كانت مقصورة على الساحل[1].

كذلك كان لتمازج العلاقات الحضارية بين سكان سواحل الشمال الأفريقي مع حضارات حوض البحر المتوسط، فضلاً عن علاقاتها بأوروبا، كانت دافعاً مهماً لتوجّه التجارة داخل أفريقيا وسلوكها لطرق القوافل الصحراوية التي تربط مدن الشمال الأفريقي بمدن الصحراء الداخلية المشهورة خاصة بتجارة الملح والذهب[2].

وقام العرب والبربر بدور كبير في هذا النشاط التجاري وأصبحت مدن الشمال الأفريقي مراكز تجارية، بجانب كونها مراكز للعلم والثقافة، ووصلت إليها السلع الأفريقية، فاتحة تجار العرب والبربر واخترقوا الصحراء الكبرى، ووصلوا إلى بلدان أفريقيا جنوب الصحراء[3]، فرّحب ملوك السودان بهم نتيجة لأهمية بعض المواد التجارية لدولهم، فمثلاً الخيول كانت قد أثرت تأثيراً بارزاً في العمليات العسكرية في بلاد السودان، وقد حرص ملوك السودان على اقتناء الخيول العربية الجيّدة لتعزيز قوى جيوشهم[4].

فاخترقت القوافل التجارية الصحراء إلى الدولة الساحلية غانة التي تبوّأت مكانة ذات شأن منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حتى النصف الأوّل من القرن الحادي عشر، وتبادلت مع أهلها التجارة، واتسمت تجارة تلك القوافل في ظل الإسلام بلون حضاري منظّم تنظيماً محكماً، وظهرت بتأثيرها المدن الكبيرة والأحياء النظيفة الراقية في أرض الزنوج، وقد أفردت مملكة غانه في عاصمتها منطقة خاصة بهم، حتى أدّت هذه الصلات

---

(1) حسن عبدالظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا، ص 96 – 97.

(2) ظاهر محمد: العلاقات العربية الليبية، ص 153.

(3) رجب عبد الحليم: المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء، ص 9.

(4) أحمد الفيتوري، المرجع السابق، ص 250.

التجارية إلى أن أعلن بعض الرؤساء في السودان الغربي إسلامهم ومنهم (وارجابي) حاكم التكرور على نهر السنغال [1].

إن الثراء والجاه اللذين تمتّعت بهما غانا يعودان إلى موقعها الجغرافي بين مناجم الذهب في الجنوب، وملاحات (تاغزا) في الشمال، مما جعل منها محطّة تجارية ذات أهمية كبرى لأفريقيا الغربية ودول الشمال الأفريقي، وسرعان ما وصلت أخبار تلك المملكة الفتيّة إلى الشرق العربي، فمنذ القرن الثاني/ الثامن الميلادي نجد الفزاري يصف غانه بأنّها: (أرض الذهب) حتى كان القرن التاسع والقرن العاشر الميلاديين وجدنا أخباراً مفصلة عن تلك الإمبراطورية في كتابات الجغرافيين والرحالة العرب تصفها بالغنى والثروة نتيجة لتجارة الذهب [2].

وكان من الطبيعي أن تجلب غانه إليها قوافل التجار من مدن شمالي أفريقيا منذ مرحلة مبكّرة، ويبدو أن أولئك التجار الذين توافدوا على غانه، كانوا من الكثرة بحيث إنهم استطاعوا تأسيس مدينة خاصة بهم جانب العاصمة (كومبي صالح) شيّدت بها أثني عشر مسجداً، وعجّت المدينة بالفقهاء والأئمة والعلماء، وقد تحدّث عنها البكري قائلاً: «غانه مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً، بها الأئمة والمؤذنون والفقهاء والعلماء، وتحيط بها الآبار العذبة منها يشربون، وعليها يزرعون الخضروات» [3].

وأسهمت تلك الجالية إسهاماً بارزاً في الحياة السياسية لإمبراطورية غانه بالإضافة إلى أثرها الاقتصادي يقول البكري: «... وبقرب مجلس الملك يوجد مسجد يصلّي فيه المسلمون الذين يفدون على الملك، وبالمدينة حرس خاص لا يسمح لأحد بدخولها إلاّ بإذن الملك... وقد عمل ملوك غانة على تولية المسلمين أرفع المناصب في الدولة، فقد كان منهم وزراء وأمراء جيوش، وحرّاس وأمناء صناديق ومترجمون للملك» [4].

---

(1) حسن عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 96.

(2) أحمد الفيتوري، المرجع السابق، ص 245.

(3) البكري: المسالك والممالك، 2/ 872.

(4) المصدر نفسه، 2/ 873.

لقد عرفت مدن غانه حركة تجارية نشيطة ساعد في تكوينها تجار من الشمال الأفريقي من سجلماسة ودرعة وغدامس فجلبوا إليها القمح والزبيب والتمر ووصل سعر قنطار القمح والزبيب والتمر، عندهم في أغلب الأوقات ستة مثاقيل، ويجلب منها العنبر لقربها من المحيط الأطلسي والذهب والأبريز الخالص، خيوطاً مفتولة وذهب غانا من أجود الذهب [1].

ويذكر السلاوي أن تجار المغرب كانوا يجتمعون في سجلماسة حاضرة بني مدرار، ثم يسيرون في قوافلهم إلى غانا، فكانوا يقطعون المسافة في ثلاثة أشهر ذهاباً، وفي شهر ونصف إيّاباً، فيبيعون ما معهم من الأمتعة بالذهب [2].

وبحكم الموقع الجغرافي لليبيا قامت بانعاش التجارة بين المناطق الأفريقية باتجاه الشرق والغرب والوسط وجزر البحر الأبيض المتوسط، وعموماً مثّلت مراكز التجمع في الأراضي الليبية من موانئ وواحات الصحراء محطّات لتجمّع القوافل التجارية المتحركة بين مناطق المغرب العربي والبلاد الأفريقية لتبادل البضائع [3].

وبرز تجار ليبيّون في كل من (طرابلس وغدامس وأوجلة وفزان وجبل نفوسة) تمتعوا بعلاقات متينة مع مدن بلاد ما وراء الصحراء، واحتفظوا لأنفسهم بمكانة مرموقة في تنبكت نتيجة للدور التجاري الذي قاموا به لاسيما وأن الجالية الغدامسية تمتّعت بنفوذ كبير فيها، حتى أصبح لها ركن خاص بهذه المدينة، وشغل أفرادها مناصب إدارية عديدة [4]، ومن التجار الذين ارتادوا أودغست من ليبيا (أبو رستم النفوس) من جبل نفوسة [5].

ونتيجة لأهمية تجار الشمال الأفريقي من العرب والبربر فقد تمتّعوا بالكثير من الضمانات والميزات، فإذا ما توفي أحد أفراد تلك الجالية فكل ممتلكاته تكون تحت الضمان حتى يرجع الإرث إلى أهله وإذا تعرّض أحد التجار إلى عسف حكام الأقاليم وجورهم، فإنّه يستطيع أن

---

(1) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 99.

(2) السلاوي: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، 5/ 99.

(3) ظاهر محمد: أفريقيا ما وراء الصحراء، ص 78.

(4) ظاهر محمد: العلاقات العربية الليبية، ص 153 – 154.

(5) حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص 99.

يشتكي مباشرة إلى السلطان، وهذا ما جعل حكام الأقاليم يحاولون تقديم كل العون والمساعدة لأولئك التجار، ومن ذلك قصّة التاجر أبو حفص الذي اشتكى إلى الملك أمام عامة الناس من جور أحد حكامه، واستطاع ذلك التاجر أن يسترد أمواله، بل إن الملك قد عزل ذلك الحاكم في الحين [1].

وبالإضافة إلى تلك الامتيازات فهناك من التجار المغاربة من استطاع أن يعقد الصفقات التجارية في بلاط الملك نفسه، ومن ذلك ما قام به تاجر يدعى عبدالوسيع المصراتي من دخوله على السلطان الأسكاي محمد لشراء عدد من العبيد كانوا قد أحضروا من أحد الأقاليم، وحتى قبل أن يوضع أولئك العبيد في الأسواق [2].

ونتج عن احتكاك هؤلاء التجار واختلاطهم بأهالي تلك البلاد أن حدث تزاوج مع عديد من الأسر المحلّية في المنطقة [3]، ومن الأدلّة على المكانة العالية التي وصل إليها تجار الشمال الأفريقي الذين عاشوا في تلك المنطقة من وقوع تصاهر بينهم وبين حكّام وأهالي البلاد ومن ذلك قيام أحد الأمراء بتزويج اثنين من بناته لأخوين تاجرين [4].

ولكن عندما ضعفت الدولة الإسلامية، وانقسمت تمكّن البرتغاليون من احتلال مدينة سبتة في 14/ 8/ 1415م، ونجحوا كذلك في تحويل طرق التجارة باكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح، ودورانهم حول أفريقيا، ونتيجة لهذه السيطرة الأوروبية انتقل تدريجياً جزء كبير من تجارة الصحراء عن المراكز المنتشرة على أطراف الصحراء. التي سوف نشير إليها – إلى مراكز التجارة الجديدة في المناطق الساحلية ومن جرّاء ذلك انخفض مستوى العلاقات التجارية عبر الصحراء بين الأفارقة والعرب [5].

---

(1) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص 688 – 690.

(2) أحمد الفيتوري، المرجع السابق، ص 251.

(3) مطير غيث، المرجع السابق، ص 157.

(4) الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ص 166.

(5) ظاهر جاسم: العلاقات العربية الليبية، ص 154 – 155.

رابعاً: أهم المدن والمراكز التجارية على أطراف الصحراء وجنوبها:

1- بربرة:

بربرة هو الاسم القديم الذي كانت تعرف به بلاد الصومال، وبربرة هي ميناء في مدخل باب المندب على الضفّة الغربية للمحيط الهندي المقابلة لساحل عدن، وهي من المدن التي شيّدتها الهجرات العربية على طول الساحل الأفريقي وتطوّرت بفعل حركة التجارة بين دول عالم المحيط الهندي، ويُعتقد أن تشييدها تَمّ على أيدي عرب من اليمن وحضرموت في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[1].

وقد أطلق العرب على الساحل المقابل لساحل عدن بلاد بربرة، وقالوا كذلك ميناء بربرة والخليج البربري، وبحر بربرة، وكذلك مدن وقرى بلاد بربرة فالمسعودي ذكر أن أرباب السفن من العثمانيين يعرفونه ببحر بربري وبلاد جفونى[2]، وأطلق عليها الدمشقي اسم جزيرة بربرا حيث يقول: «جزيرة بربرا معمورة بالسودان المسلمين ومذهبهم زيدية وشافعية»[3]. وهي بلاد فقيرة، حيث أدّى فقر ساحلهم إلى اعتماد أهلها في معيشتهم على أكل لحوم السلاحف البحرية، والتي تسمّى عندهم البسّة[4] فهي بلاد قشفة ولا يحمل من ساحلها شيء إلاّ ما وصف من الحيوانات مثل الذبل والنمر والحمر[5].

ونتيجة لذلك مارس أهل بربرة التجارة مع عالم المحيط الهندي فقد عرف ميناء بربرة كميناء مناسب لحركة الملاحة والرسو ويتوفّر فيه الأمان البحري المطلوب، مما أهله لأن يصبح منفذاً هاماً لتجارة العديد من السلع الأفريقية، كما كانت تقوم بها أسواق موسمية تجارية في فصل الشتاء، حيث يقصدها التجار من بلاد عديدة، كما كانت تأتي إلى مدينة بربرة العديد من القوافل من مختلف المدن الأخرى المحيطة بها تحمل مختلف أنواع السلع، حيث

(1) محمد المشري: المرجع السابق، ص 168.

(2) المسعودي: مروج الذهب، 1/ 17.

(3) الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص 162.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 1/ 48 – 49.

(5) المسعودي: المصدر السابق، 1/ 17.

كانت تصدّر من ميناء بربرة الماشية والجلود والبن والمر وريش النعام والعاج والصمغ العربي وغير ذلك[1].

2- مدينة زيلع:

وهي أيضاً أقامتها الهجرات العربية القادمة من اليمن، إلى الجزر المقابلة لها، حيث نشأت العديد من المدن الأخرىٰ المطلّة علىٰ الضفّة الغربية للمحيط الهندي، ويبدوا أنّها قامت علىٰ أنقاض إمارة عربية أسّسها عرب ترجع أصولهم إلى القرشيين من الحجاز، كانوا قد وصلوا إليها عن طريق باب المندب، وبعد زمن من إقامتهم فيها هجروها إلى منطقة شوا الحبشية في نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي[2].

وزيلع هي أشهر مدن وموانئ الساحل الشرقي لأفريقيا، فقد احتلّت موقعاً استراتيجياً مهمّاً عند مدخل باب المندب شمالي مدينة بربرة. وكان لهذا الموقع أهميّة خاصة في زيادة أهميّة المدينة كميناء، خصوصاً مع تصاعد حركة التبادل التجاري بين الداخل الأفريقي وعالم المحيط الهندي[3].

وقد ذكر زيلع العديد من المؤرخين والجغرافيين العرب منهم المسعودي حيث ذكر أن من مدن الحبشة علىٰ الساحل الزيلع حيث قال: «وأما الحبشة فاسم مملكتهم كعبر وهي مدينة عظيمة، وهي دار مملكة النجاشي... ولهم ساحل فيه مدن كثيرة، وهو مقابل لبلاد اليمن، فمن الحبشة علىٰ الساحل الزيلع والدهلك وباضع، وهذه المدن فيها خلق من المسلمين إلاّ أنهم في ذمة الحبشة»[4].

أما الإدريسي فقد ذكرها باسم زالع حيث يقول: «ومن مدن الحبشة زالع، وهي علىٰ ساحل البحر الملح المتّصل بالقلزم...وهي صغيرة القطر كثيرة الناس، والمسافرون إليها كثر، وأكثر مراكب القلزم تصل إلى هذه المدينة بأنواع من التجارات التي يتصرف بها في بلاد

---

(1) محمد المشري، المرجع السابق، ص 171.

(2) المرجع نفسه، ص 174.

(3) المرجع نفسه، ص 171.

(4) المسعودي، المصدر السابق، 2/ 17 – 18.

الحبشة، ويخرج منها الرقيق والفضة، وشرب أهلها من الآبار ولباسهم الأزر ومقندرات القطن»[1].

وياقوت الحموي يذكر أن زيلع قرية على ساحل البحر الحبشي بها طوائف من السودان قال إنهم مسلمون[2].

وابن سعيد يقول: «إن زيلع من مدن الحبشة المشهورة. وأهلها مسلمون يكثرون الحج والتردّد على ساحل عدن وزبيد»[3].

أما أبو الفداء فيصفها: «وزيلع فرضة الحبشة نحو أرض اليمن وفيها مغاص.. ونقل عن بعض من رآها أن زيلع مدينة صغيرة نحو عيذاب في القدر، وهي على الساحل، ومنها شيوخ يحكمون بين أهلها، وعندهم ينزل التّجار ويضيّفونهم ويبتاعون لهم»[4].

ويصفها ابن بطوطة بأنها مدينة البرابرة، وهم طائفة من السودان شافعية المذهب وهي أوّل بلاد البرابرة، ولها سوق عظيم[5].

إن أغلب المصادر التي ذكرت مدينة زيلع تصفها بأنّها كانت ميناء مهما في حركة التجارة، وأكّدت على أنّها كانت وصلة للتجارة بين بلاد بربرة وساحل عدن وزبيد والحجاز وعالم المحيط الهندي في عمومه، وهي تعدّ كذلك مدينة إسلامية عامرة بالناس، فأهلها مسلمون جميعاً، وتعتبر الزيلع محطّة رئيسية لسفن ومراكب البحر الأحمر التي تعمل في التجارة، حيث تتزوّد منها بالمؤن والبضائع، وكانت لا تخلو من المراكب والسفن في جميع فصول السنة، ولعبت دوراً متميّزاً في تصريف السلع وربط وخدمة المواصلات البحرية عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر[6].

---

(1) الإدريسي، المصدر السابق، 1/ 43 - 44.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5/ 173.

(3) ابن سعيد، علي بن موسى بن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، 1390هـ/ 1970م) ط1، ص 99.

(4) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل الأيوبي: تقويم البلدان، منشورات مكتبة المثنى (بغداد، 1370هـ/ 1950م) ص 162.

(5) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 252.

(6) محمد المشري: بلاد القرن الأفريقي، ص 171، 174.

3- مدينة مقديشو:

تحتل مدينة مقديشو موقعاً استراتيجياً مهمّاً، فهي تطل على المحيط الهندي، وتمثّل نقطة اتصال عالمي بين شعوب عالم المحيط الهندي وأفريقيا الشرقية، وهي أشهر مدن بلاد الصومال والساحل الشرقي لأفريقيا وأعرقها، وقد ازدهرت كمركز تجاري إسلامي وكانت مقصد المهاجرين المسلمين من جنوب بلاد العرب كاليمن وحضرموت، ومن بلاد فارس أيضاً وبلغت أوج ازدهارها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد[1].

وفي القرون الأولى للهجرة لم يكن لمقديشو سلطان أو ملك، وإنما كان لكل طائفة أن تخضع لشيخها، وباتساع المدينة حدث ترابط بين السكّان العرب والصوماليين وتكوّن مجلس من الأشراف وأعيان القبائل الصومالية للنظر في أمور البلاد، واستمرّ هذا المجلس حتى انتخب فخر الدين حاكماً على البلاد ولقّب بلقب السلطان، واستمر سبعة عشر عاماً حتى توفيّ في عام 511هـ/ 1117م[2].

وقد وردت العديد من التفسيرات حول تفسير كلمة مقديشو فمنهم من قال أنّها مركّبة من كلمتين عربية وفارسية هما (مقعد، وشاه) فالكلمة الأولى عربية أصيلة، والثانية فارسية تعني ملكاً وهي إشارة إلى المكان الذي اتخذه الشاه (الحاكم الفارسي) مقرّاً لحكمه[3]، ولما كثر استعمالها حذفت العين من كلمة مقعد شاه ثم حرّفت الألف إلى الواو فصارت مقديشو[4].

أما الرأي الآخر فمؤداه أن الاسم صومالي، حيث تعني المكان الذي تتجمّع فيه الأغنام للبيع[5]، ومنهم من يقول أنه نسبة للمكان الذي اختاره الشيخ مقعداً لجلوسه أي (مقعد الشيخ)[6].

وقد زار ابن بطوطة مقديشو حوالي سنة 1331م، ووصفها فقال: «مدينة متناهية في

---

(1) عبد الرحمن النجار: الإسلام في الصومال، ص 64.
(2) المرجع نفسه، ص 64.
(3) محمد المشري، المرجع السابق، ص 127.
(4) عبدالرحمن النجار، المرجع السابق، ص 65 نقلاً عن الشريف عيدروس: بغية الآمال في تاريخ الصومال، ص 32.
(5) محمد المشري، المرجع السابق، ص 127.
(6) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 72.

الكبر، وسلطان مقديشو كما ذكرنا إنما يقولون له الشيخ واسمه أبوبكر ابن الشيخ عمر، وهو في الأصل من البرابرة، وكلامه بالمقديشي ويعرف اللسان العربي»[1].

إن مقديشو كانت من أشهر مدن الساحل الشرقي لأفريقيا، وعرفتها جميع شعوب وأمم العالم التي مارست النشاط التجاري، فهي تمثّل مركزاً اقتصادياً كبيراً ومهمّاً على الساحل الأفريقي، وقد كانت التجارة تمثّل الركن الأساسي لاقتصاد المدينة، وقد ذكر ياقوت عدداً من صادرات مقديشو التي كانت تحمل إلى غيرها من البلدان مثل الصندل والأبنوس والعنبر والعاج[2]، ويذكر ابن بطوطة أن أهل مقديشو تجار أقوياء فعندما تصل مراكب التجار يأتي إليهم تجار مقديشو وكل واحد منهم يكون لديه نزيل منهم، ينزل ضيفاً عليه ويقوم بشراء بضاعته منه ويشتري له ما يحتاجه من بضائع أخرى، كذلك تقوم في مقديشو صناعة الثياب التي كانت تصدّر إلى مصر وغيرها وهي ثياب لا نظير لها في الإتقان [3].

4- مدينة مصوع:

تقع في الشمال الشرقي من الساحل الشرقي الأفريقي على البحر الأحمر وهي ميناء عامرة بها جملة من الأسواق ويقيم بها الكثير من التجار العرب والهنود، وتعد مصوّع من أقدم موانئ البحر الأحمر، ولعبت دوراً مهماً في تجارة المحيط الهندي، وكانت تجارتها تنحصر في الجلود والصمغ والسمن والعسل والشحم وغيرها، ومن مصنوعاتها الحلي والأسلحة وأنواع من المنسوجات، ولذا فقد كانت مركزاً عمومياً لتجارة الهند واليمن وميناؤها الحصين يسع كثيراً من السفن، ولا يخلو ساحلها يوماً من السفن [4].

5- مدينة عيذاب:

عيذاب هي إحدى موانئ ومدن البحر الأحمر الشهيرة بفعل اعتمادها على حركة التبادل التجاري، فهي محطة رئيسيّة رابطة بين كل من بلاد الحجاز ومصر وبلاد السودان، وهي

---

(1) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 253 – 254.

(2) ياقوت الحموي، المصدر السابق، 5/ 173.

(3) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 253.

(4) محمد المشري، بلاد القرن الأفريقي، ص 186 – 187.

بدأت كميناء لخدمة احتياجات النشاط التعديني في الصحراء الشرقية، ثم بلغت قمة ازدهارها عندما أصبحت محطّة للسفن القادمة من الهند وشرق أفريقيا وجزيرة العرب، وهي تقع في شط البحر أقرب نقطة عبور من مدينة جدّة وكبرىٰ مرافئ الحجاز من العدوة الأفريقية [1].

وزادت أهمية عيذاب ابتداءً من عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي لتحوّل قوافل التجار والحجاج المصريين والمغاربة من طريق شبه جزيرة سيناء إلى طريق النيل حتىٰ قفط وادفو وأسوان ومنها عبر الصحراء الشرقية إلى عيذاب نتيجة للحروب الصليبية [2]، وكانت تصل إليها مراكب الهند واليمن والحبشة حاملة بضائع تلك البلاد، وكانت عيذاب بها يجلب إليها من قوافل التجار والحجاج حتىٰ أن أحمال البهار كانت تترك بها والقوافل هابطة وصاعدة لا يعترضها أحد من العربان أو غيرهم، وذلك لاستِتْباب الأمن بها وكان لأهلها فوائد لا تحصىٰ من التجار والحجاج، حيث كانوا يحصلون على كل حمل يحملونه ضريبة مقرّرة، وكان بها وال من قبل مصر، ووال من قبل ملك البجة ليقتسما جبايتها مناصفة [3].

وكان هناك جملة من العوامل جعلت عيذاب من أهم المراكز التجارية منها أن السفن المتجهة إلى مصر كانت توفّر الكثير من الوقت إذا رست بعيذاب، كما أن موقع عيذاب الإستراتيجي جعل منها قاعدة لأساطيل مصر الإسلامية المناط بها حماية السفن التجارية، كما كان لجهود الفاطميين في تحويل طرق التجارة الشرقية من الخليج العربي إلى البحر الأحمر أن استشرفت عيذاب عصراً زاهراً ارتقىٰ بها إلى مصاف المرافئ العالمية [4].

ونظراً لشهرة عيذاب، فإنها لفتت أنظار الصليبيين إليها فحاولوا توجيه الضربات إليها لقطع الطريق على الحجاج المسلمين من ناحية والقضاء على مركزها التجاري من ناحية أخرىٰ [5]، وقد فشلت الحملة التي قادها أرناط أمير حصن الكرك، ونتج عن ذلك أن اهتم

---

(1) محمد المشري، المرجع السابق، ص 188 – 189.

(2) المقريزي: الخطط، 1/ 201.

(3) شوقي عثمان، التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر المماليك، ص 83 – 84.

(4) محمد المشري، المرجع السابق، ص 189.

(5) شوقي عثمان، المرجع السابق، ص 84.

بها سلاطين مصر، فأصبحت الميناء الرئيسي على البحر الأحمر[1]، وظلّت كذلك حتى أرسل السلطان برسباي حملة عن طريق البحر الأحمر لمهاجمتها وتخريبها وذلك لأن البدو هاجموا إحدى القوافل الخاصة بالسلطان، وتمكنت الحملة من أداء مهمتها حوالي عام 1428م وتبع ذلك انتقال التجارة إلى الطور[2]. وسواكن[3].

6- مرزق وزويلة:

من أهم المراكز التجارية التي أنشئت في الصحراء مدينة مرزق، والتي كان لها أهمية كبيرة في المبادلات التجارية مع بلاد البورنو وشعب الحوصا[4]، فضلاً عن علاقاتها مع طرابلس[5] وغدامس حيث كانت محطّة تجارية مهمّة تتجمع فيها القوافل التجارية من أنحاء المغرب، وتتّجه منها إلى كانم[6]. وبورنو وتنبكت[7].

ثم ظهرت زويلة كمركز تجاري منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وبدأت

---

(1) ابن الأثير: الكامل، 11/ 199.

(2) الطور: فرضه على البحر الأحمر على ساحل خليج السويس على مقربة من جبل الطور، وهو ميناء كثير المراسي، وقد كان مرسى للسفن المحملة بسلع آسيا وأفريقيا، بل محطاً نهائياً لها حيث تفرغ فيها أحمالها، شوقي عثمان، المرجع السابق، ص 82.

(3) سواكن: هي قاعدة بلاد البجة وهي جزيرة على طرف بحر القلزم من الجهة الغربية، قريبة من البر ويسكنها التجار، وواليها من العرب ويعرف بالحدربي، وقد أرسل الظاهر بيبرس حملة لسواكن عام 1265م أدت إلى استقرار حامية دائمة وأصبحت سواكن منذ ذلك الوقت تحت سيطرة المماليك، المرجع نفسه، ص 84.

(4) الحوصا: شعب ينتشر في شمال نيجيريا، تأثر بمؤثرات زنجية، وهم لا يمثلون جنساً بذاته، وإنما يطلق على جميع الشعوب التي تتكلم بهذه اللغة، وكانت قبائل الحوصا تدين بالوثنية قبل أن تتحول إلى الإسلام في القرن الثالث عشر الميلادي، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في أفريقيا، ص 116.

(5) طرابلس: مدينة قديمة على ساحل البحر المتوسط عامر أهلة، افتتحها عمرو بن العاص سنة 24هـ في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، علي الطيف، المرجع السابق، ص 39.

(6) كانم: وردت في بعض المصادر العربية باسم مدينة تقع في الساحل الشرقي الشمالي لبحيرة تشاد، وهي الأساس لقيام امبراطورية الكانم، المرجع نفسه، ص 55.

(7) الطيبي، أمين توفيق: كانم – بورنو بالسودان الأوسط فصلات تاريخية وتجارية عريقة بالشمال الأفريقي، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2، مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 1408هـ/ 1987م) ص 71.

تأخذ مكان الصدارة حتى أصبحت عاصمة إقليم فزان[1]، وكانت مركزاً تجارياً مهماً للبضائع القادمة من كانم وكوار [2]، فضلاً عن القوافل التجارية التي كانت تصل إليها من طرابلس وجادو وإجدابيا وأوجلة ومرزق في ليبيا، ومن (دارفور وسنار) من السودان وقد أكسب زويلة هذه المكانة المرموقة موقعها، حيث تقع في بداية طريق كوار الممتدة إلى السودان الغربي والأوسط [3].

لقد ربطت زويلة بين موانئ البحر المتوسط من ناحية والسودان الأوسط والغربي من ناحية أخرى، كما وقعت تحت السيطرة الكانمية ابتداء من القرن السابع الهجري، وفي نهاية القرن الثامن الهجري، أصبحت زويلة قاعدة إقليم فزان وأصبحت تحت حكم السودان [4].

7- مدينة أودغست:

أودغست مدينة من السودان الغربي، وكانت تعتبر حاضرة من حواضر غانه، قال البكري بأنها: «تقع بين الزنوج ومدينة سجلماسة، وتبعد عن القيروان بمائة وعشر مراحل»(5)، وقد شبّهها ابن حوقل بمكة فقال: «أودغست مدينة لطيفة أشبه بلاد الله بمكة بين جبلين ذوي شعاب»[6].

---

(1) فزان: منطقة كبيرة تقوم فيها قصور ضخمة وقرى كبيرة، وكلّها مأهولة بأناس أغنياء بالمال وبحدائق النخيل، وهم واقعون فعلاً على تخوم أغادس، وصحراء ليبيا التي تتاخم مصر، الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ص 146 ؛ كذلك، السعدي: تاريخ السودان، ص 89

(2) كوار: تقع الآن في الشمال الغربي لجمهورية تشاد، وكانت من القرن السادس الهجري ضمن الأقاليم التابعة لإمبراطورية الكانم وهم من السودانيين المسلمين، وكانت من المحطات التي ينعم فيها التجار القادمون من فزان بالراحة بعد عناء كبير في الصحراء وتتجهز منها القوافل التجارية إلى بلاد الكانم ثم إلى ممالك الهوسا، الإدريسي: نزهة المشتاق، 2/ 117.

(3) السعدي: تاريخ السودان، ص 91.

(4) علي ألطيف، المرجع السابق، ص 46.

(5) البكري: المسالك والممالك، 2/ 851.

(6) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 24.

فهي تبعد 200 ميل عن عاصمة غانه (كومبى صالح)، وسكانها خليط من العرب والمغاربة المسلمين، وقبائل السوننكي وقبائل جدالة ومسوفة ولمتونة إحدى قبائل صنهاجة التي تتمتع بحق السلطة [1].

ولقد كانت (أودغست) أوّل مركز إسلامي يظهر في المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، بل إنّها كانت حلقة الوصل بين العناصر العربية والبربرية وبين العناصر الزنجية، وهي البلد التي ساهمت بنشاط ملحوظ في نشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب الزنجية التي بدأت تدخل دين الله أفواجاً، وكان أحد ملوكها وهو الملك (اقيسيو كان) الأودغستي شديد التحمّس للإسلام ونشره بين قومه الزنوج، وإن كان هو في الأصل ينتمي إلى قبائل لمتونة المجاورة للمغرب من جهة الجنوب [2].

وشهدت المدينة نهضة اقتصادية كبيرة وأرباب نعم كثيرة وأموالاً جليلة، وسوقها يؤمه التجار بكثرة حتى أن الرجل لا يسمع فيها جليسه، ويتبايعون بالذهب ولا توجد لديهم فضة [3].

لقد كانت الحركة التجارية في أودغست على درجة كبيرة من الازدهار مع الشمال الأفريقي، ومع المدن المجاورة لها، وكان ذهب أودغست من أرقى أنواع الذهب وأكثره جودة [4]، ومما يؤكد الحركة التجارية القائمة فيها ما ذكره ابن حوقل: «وملك أودغست هذا يخالط ملك غانا وغانا أيسر من على وجه الأرض... وحاجتهم إلى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام، فإنه لا قوام إلاّ به، وربّما بلغ الحمل من الملح في دواخل السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار» [5].

إن أودغست عرفت حركة تجارية نشيطة ساعد في تكوينها تجار من الشمال الأفريقي

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 1/ 227.

(2) عبد الفتاح الغنيمي: حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، ص 87، 137 – 138.

(3) البكري، المصدر السابق، 2/ 848.

(4) الهادي الدالي: مملكة مالي الإسلامية، دار الملتقى للطباعة والنشر (بيروت، بدون تاريخ) ص 53 – 54.

(5) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 98.

فجلبوا إليها القمح والتمر والزبيب، حتى وصل سعر قنطار القمح عندهم في أغلب الأوقات ستة مثاقيل وكذلك التمر والزبيب [1]، كما كانت البلد تتمتع بثروة حيوانية متمثلة في الغنم والبقر حيث تشتري عشرة أكباش بمثقال، كما يوجد عندهم الإبل وحيوان يستخدم جلده في صناعة الدروق التي تسمّى (اللمط) [2].

8- مدينة تنبكت:

مدينة تنبكت تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بالمنطقة المعروفة بمنحنى النيجر عند دوران قرصه الشمالي [3]، وتعتبر مدينة تنبكت حلقة وصل بين السودان الغربي والصحراء الكبرى، وهي قريبة من نهر النيجر، وأغلب الآراء تؤكّد أنها تأسست في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي [4].

ويبدو أن مؤسسيها من البربر الطوارق وخاصة طبقة النبلاء والأعيان والسادة من الطوارق، وكانوا ينزلون بها شهور الصيف وفي الخريف يرتحلون، وسمّيت تنبكت بهذا الأسم نسبة إلى اسم عجوز اسمها تنبكت كانت تسكن المكان قبل إنشاء المدينة وكان الرحّالة ينزلون حول بيتها فتساعدهم ويساعدونها وتحرس لهم بعض متاعهم، فلما أنشئت المدينة سميت باسم المرأة [5].

ومثلث التجارة المصدر الرئيسي في حياة سكانها، واهتموا بها اهتماماً شديداً، وتوافد عليها التجار من السودان الغربي ومن الشمال الأفريقي في حركة دءوبة يحملون معهم بضائعهم، ويعودون محمّلين بالذهب والرقيق، وناب الفيل وريش النعام، وقد بلغت تنبكت ذروة الازدهار الاقتصادي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، الذي عرف

---

(1) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 99.

(2) الهادي الدالي: مملكة مالي الإسلامية، ص 53.

(3) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، 6/ 195.

(4) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 218 ، كذلك، الهادي الدالي: مملكة مالي الإسلامية، ص 91، وإصلاح حمودة: انتشار الإسلام والثقافة العربية، ص 27.

(5) السعدي، المصدر السابق، ص 20- 21.

بالعصر الذهبي لهذه المدينة [1]، حيث بلغت القوافل القادمة إليها من الشمال الأفريقي في سنة 751هـ/ 1350م، اثني عشر ألف جمل [2].

وذكر ابن خلدون العلاقات التجارية في تنبكتو حيث قال: «وهابتهم أمم السودان، وارتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وأفريقيا» [3].

إن مركز تنبكت التجاري كان واضحاً منذ نشأتها، إذ أنها تقع على ملتقى طرق القوافل البرّية عبر الصحراء، والقوافل النهرية التي تسير بنهر النيجر وأهم الطرق البرية التي كانت تتصل بتنبكت أربعة هي:

1- الطريق من مصر مَارّاً بكانم إلى تنبكت.

2- الطريق من تونس مارّاً بُهجار إلى تنبكت.

3- الطريق من المغرب الأقصى مارّاً بسجلماسة [4]، وتوات [5] إلى تنبكت.

4- الطريق من تغازة [6] مارّاً بولاته [7] إلى تنبكت [8].

انتشرت شهرة تنبكت التجارية في القرن الثاني عشر الميلادي، وخاصة كمركز لتجارة الذهب والملح، بعد أن تحوّل لها النشاط التجاري الذي كان الملح يوجد بها على ألواح

---

(1) الهادي الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا ما وراء الصحراء، ص 307 – 308.

(2) قداح، نعيم: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر، 1974م) ط2، ص 55.

(3) ابن خلدون: العبر، 6/ 200.

(4) سجلماسة: تقع في المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى، في الحدود الجنوبية الشرقية للمملكة المغربية، الهادي الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي، ص 301.

(5) توات: تقع إلى الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية وتبعد حوالي 1500كم عن عاصمة الجزائر، فرج، محمد فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر، 1398هـ/ 1977م) ص 1.

(6) تغازة: تقع في جنوب المغرب الأقصى بقرب المحيط الأطلسي على الطريق الرئيسي للقوافل بين المغرب وتنبكت، وأغلب سكانها من مسوفة وتعتبر المصدر الرئيسي لمعدن الملح، ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 674.

(7) ولاته: هي إحدى مدن جمهورية موريتانيا الحالية، سكانها خليط من الزنوج والعرب، هاجر إليها عدد من علماء تنبكت زمن الملك سني علي. الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص 305 – 306.

(8) أحمد شلبي، المرجع السابق، 6/ 197.

ضخمة، ولشدّة ضخامتها لم يكن الجمل يحمل منها إلا لوحين، وكانت البيوت والمساجد تبنى من هذه الألواح [1]، وفي ذلك يقول الوزان عن ملح تغازة: ... فيه عدد من مناجم الملح تشبه مقالع الرخام، يستخرج الملح من حفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج هذا الملح، وليسوا من سكان البلدة»[2].

ويصف الوزان تنبكت بوفرة خيراتها وبكثرة الحوانيت التي تبيع المنتوجات القطنية والأقمشة المجلوبة من الشمال الأفريقي وأوروبا [3]، ويصفها السعدي بأنها ملتقى التجار أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة من كل بلاد [4]، إن التجار في تنبكت احتفظوا بمكانة مرموقة وكبيرة والمثال على ذلك أن حاكم تنبكت من قبل إمبراطور سنغاي وهو(عمر بن محمد النَّدي)، زوّج ابنتيه من أخوين من تجار تنبكت لثرائهما الواسع، وكذلك مما زاد من اهتمام الأمراء بالتجار أن الملك أعلن عداءه لليهود، حتى إنه لم يقم في بلاده يهودي واحد، وإذا وصل إليه أن لأحد التجار علاقة مع يهودي صادر أمواله، وهذا الأمر ضاعف من الاعتماد على التجار المسلمين [5].

وقد اشتهرت هذه المدينة بصفة خاصة بأنها مركز الدين والتجارة ذلك لأن الحركة العلمية قد ازدهرت بها وخاصة في زمن السلطان منسى موسى حيث استقدم عدداً كبيراً من العلماء ولاسيما من المغرب ومصر والأندلس فامتلأت هذه المدينة بالعلماء، وكان ازدهار حركة التجارة بينها وبين الدول المجاورة من العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية فيها، حتى ظهرت تنبكت في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين كأعظم مدينة حضارية وثقافية وعلمية في السودان الغربي، حيث انتشرت بها مدارس تحفيظ القرآن الكريم والكتاتيب واشتد الطلب على شراء الكتب وهي مخطوطة، إذ كانت تجارة رابحة وتدر أرباحاً طائلة، بحيث فاقت الأرباح الناتجة عن العمل في أي تجارة أخرى، وهذا ما يدل على عِظم الإقبال والتلهّف على اقتناء الكتب، وعلى كثرة العلماء والمتعلمين، واشتهرت تنبكتو كذلك

(1) أحمد شلبي ، المرجع السابق، 6/ 197.

(2) الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ص 108 – 109.

(3) المصدر نفسه، ص 166.

(4) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص 308.

(5) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 221.

بمسجدها سنكري[1] أو جامعة سنكري التي كانت ذات سمعة واسعة في العالم الأفريقي وبقية العالم الإسلامي[2].

كذلك كثرت المكتبات في تنبكت، وكانت مفتوحة لإطلاع الطلاّب والراغبين في العلم، واشتهرت عدد كبير من المكتبات المملوكة لعلمائها، ولكن عرف عن هؤلاء أنهم كانوا لا يبخلون بكتبهم على الراغبين في الاستعارة مهما كانت الكتب قيّمة، وكانت تدور بها حركة نسخ نشيطة ليحصل عن طريقها بعض الناس على نُسخ من الكتب التي يريدونها[3].

لم تكن تنبكت مركزاً تجارياً وسوقاً هاماً فقط بل كانت مركزاً عظيماً من مراكز العلم والثقافة يقول السعدي في تنبكت: «... وما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قطّ لغير الرحمان، كانت مأوى العلماء والعابدين ومألف الزاهدين والأولياء، وملتقى الفلك والسيار فجعلوها خزانة لمتاعهم وزروعهم إلى أن صارت مسلكاً للسالكين في ذهابهم ورجوعهم ويأتيها الناس من كل جهة ومكان، وقد صارت سوقاً للتجارة»[4].

9- مدينة جني

تقع هذه المدينة إلى الجنوب الغربي من تنبكت، وتبعد عنها حوالي ستمائة كيلو متر تقريباً، وكان تأسيسها حول سنة 494هـ/ 1100-1101م، وذلك على زمن دولة المرابطين، وهي مدينة محاطة بسور عظيم به ثماني بوابات، وكثيرة الأشجار، حتى إن الناظر إليها من بعيد يحسبها غابة من كثرة الأشجار فيها[5] حتى سمّاها بعضهم لؤلؤة النيجر[6].

وكان إسلام ملك جني (كمبروا) حوالي نهاية القرن السادس الهجري/ أي حوالي 1200م،

---

(1) مسجد سنكري: قامت ببنائه سيدة غلالية فاضلة كانت ذات ثروة وحسب ونسب، حيث جعل هذا المسجد من تمبكت علمصمتمن عواصم الدين والعلم والأدب في بلاد السودان. السعدي، المصدر السابق، ص61-62.

(2) عبد الفتاح الغنيمي: حركة المد الإسلامي، ص 139 - 140.

(3) أحمد شلبي، المرجع السابق،6/ 233.

(4) السعدي، المصدر السابق، ص 20 - 21.

(5) المصدر نفسه، ص 21.

(6) بانيكار، ك. مادهو: الوثنية والإسلام، تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب أفريقيا، ترجمة: أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، 1998م) ص 385.

وحذا حذوه رعيته [1]، ثم أصبحت ملتقى للقوافل التجارية التي تسير بين شمال الصحراء وجنوبها، حتى أصبحت مركزاً تجارياً مهماً، وهذا جعل التجار يحملون لها الإسلام مع ما حملوا من سلع، فأخذ الإسلام يدّب رويداً رويداً فيها، وأقام بها كثير من العلماء يعملون على نشر الإسلام وعند القرن السادس الهجري أحس ملكها الوثني كمبرو أن الإسلام يحيط به من كل جانب، وما يحمله هذا الدين من مبادئ راقية وفكر جليل، فعزم على اعتناقه، فحشد العلماء، وأسلم على أيديهم وطلب من رعيّته الذين لم يُسلموا بعد أن يدخلوا في الإسلام، ثم هدم قصره وبنى به المسجد الجامع [2].

ويذكر السعدي أنه عند إسلام الملك على أيدي العلماء طلب منهم أن يدعو الله تعالى بثلاث دعوات وهي: «كل من هرب إليها وطنه ضيّقاً عسراً أن يبدلها الله له سعة ويسراً، حتى ينسى وطنه، وأن يعمّرها الله بغير أهلها، وأن يسلب الصبر من واردها من التجّار حتى يملّوا فيبيعون ما معهم بناقص الثمن، فيربحو فيها، فقرأوا الفاتحة على هذه الدعوات» [3].

وقد حسن إسلام أهل جني حتى إن ابن بطوطة يصف حماسة أهل جني من الزنوج في أداء عبادتهم وفي دراسة القرآن الكريم، ويصف يوم الجمعة بأنّه إذا لم يسرع الإنسان إلى المسجد فإنه لن يجد أين يصلّي من كثرة الزحام [4].

وفي عهد (أسكيا محمد) تقدّمت جني تقدّماً كبيراً في المجال التجاري والثقافي، كذلك في عهد أسكيا اسحق كانت المدينة من أعظم مدن السودان، وأصبحت سوقاً عظيماً من أسواق المسلمين يلتقي فيها تجار الملح من تغازة وتجار الذهب وجمعوا أموالاً لا تحصى [5]، وحظيت المدينة بأهمية اقتصادية كبيرة نظراً لموقعها كملتقى للقوافل التي تسير بين شمال الصحراء وجنوبها، وعمل الملك سني على رفع قيمتها التجارية ودعم الأمن بها [6].

---

(1) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 217.

(2) أحمد شلبي، المرجع السابق، 6/ 200.

(3) السعدي، المصدر السابق، ص 13.

(4) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 421 – 422.

(5) أحمد شلبي، المرجع السابق، 6/ 201 – 202.

(6) الهادي الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي، ص 305 – 306.

لقد اتسعت جني لكل الوافدين عليها من تجار وعلماء ومدرسين ودعاة، وظهر بها الكثير من العلماء والفقهاء، وأرسلت أبناءها من الطلاب إلى مختلف الجامعات الإسلامية في ذلك الوقت، لكي ينهلوا من الثقافة الإسلامية الزاهرة في بلاد العالم الإسلامي، وأنهم عند العودة إلى بلادهم فإنهم يساهمون مع أبنائها في رقي الحضارة الإسلامية وازدهارها، الأمر الذي زاد الحركة الفكرية في البلاد وعمل على اتساع مكانتها [1].

10- مدينة جاو:

تقع مدينة جاو إلى الشمال من العاصمة باماكو بجمهورية مالي، وكانت خاضعة لسيطرة مالي إبان عصور ازدهارها وتوسعها في منطقة السودان الغربي، وكان السلطان منسى موسى قد قام ببناء مسجد بها إثر عودته من أداء فريضة الحج عام 1325م، وأشرف على بناء هذا المسجد الكبير المهندس الشاعر القرطبي أبو إسحاق إبراهيم الساحلي، وكان السلطان موسى تعرف على أبي إسحاق بمكة المكرمة خلال حجّه عام 1324م ودعاه إلى بلاده وصحبه معه عند عودته إلى مالي [2].

ثم أصبحت جاو العاصمة السياسية لإمبراطورية سنغاي، ومركزا من مراكز التجارة للسودان الغربي، حيث نمت سريعاً لوقوعها على نهاية الطريق الصحراوي عبر المنطقتين الشرقية والوسطى من الصحراء الكبرى المتجه نحو حوض نهر النيجر، ومكنّها موقعها على منحنى نهر النيجر نحو الجنوب بإشرافها على حركة الملاحة والتجارة على امتداد النهر نحو الجنوب والغرب، وتيسّرت اتصالاتها بهذه المناطق، فتجمعت في المدينة بضائع المنطقة كلها، وارتادتها القوافل التجارية منذ القدم، ونتج عن هذا النشاط التجاري توسع جاو وامتداد حدودها إلى المناطق المجاورة، فأخضعت ثمانية من ملوك السودان، وصارت مدينة جاو المدينة التجارية الأولى في وسط نهر النيجر [3].

---

(1) عبدالفتاح الغنيمي: حركة المد الإسلامي، ص 144.

(2) المرجع نفسه، ص 145.

(3) الهادي الدالي: التاريخ السياسي، ص 309 – 310.

11- مدينة ولاته:

تقع إلى الشمال الغربي من تنبكت، ومعناها الأرض المرتفعة وكان أهل صنغاي يسمونها (بيرو) وكان تأسيسها حوالي القرن الهجري الأول، ويذكرها ابن بطوطة باسم (ايوالاتن)(1)، والسعدي ذكرها باسم (والاتا)(2).

بدأت ولاته تحتل مكانها كمركز تجاري على طريق الصحراء الجنوبي بعد سقوط مملكة غانه، وقيام مملكة مالي، التي ضمّتها إلى حدودها، حيث اتجهت إليها القوافل عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى، وأشار ابن بطوطة إلى اهتمام أهل ولاته بالتجار وخروجهم إليهم بالماء والمؤن، وسكانها خليط من الزنوج والعرب، وقد هاجر إليها عدد من علماء تنبكت زمن الملك سنى علي وارتبطت بعلاقات تجارية مع تنبكت وباقي المراكز الأخرى(3).

وأهلها كما ذكر ابن بطوطة محافظون على الصلوات، وعلى تعلّم الفقه، وحفظ القرآن الكريم، كما كثرت بها حلقات العلم والدروس(4).

12- مدينة تكدا:

تقع في شمال النيجر حالياً وهي من أهم المراكز الواقعة خلف الصحراء في الطريق الشرقي لبلاد الهوسا(5)، فهذه المدينة كانت ملتقى لطرق القوافل القادمة من السودان الغربي نحو فزّان، والقوافل التجارية الواصلة من السودان الأوسط إلى توات(6)، وعبر هذه المدينة

---

(1) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 247.

(2) السعدي، المصدر السابق، ص 7.

(3) الهادي الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي، ص 306.

(4) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 233.

(5) بلاد الهوسا: لدى الكتاب السودانيين فهذه البلاد تمثل أواسط بلاد السودان وتضم سبعة أقاليم. علي الطيف، المرجع السابق، ص 57.

(6) توات: تقع إلى الجنوب الغربي من صحراء الجزائر، وهي من المراكز التجارية المهمة، بسبب موقعها كواحة في وسط الصحراء مما جعلها حلقة وصل بين شمال أفريقيا والسودان الغربي، فعملت على تزويد التجار بما يلزمهم من غذاء وماء. طرخان، إبراهيم: إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1395هـ/ 1975م) ص 239.

يستطيع المسافر أن يذهب في كافّة الاتجاهات، ويؤكد ابن بطوطة أهمية هذه المدينة التجارية حيث رافق قافلة تجارية في رحلتها لبلاد السودان، يقودها تجار غدامس [1]، فقال: «ولا شغل لأهل تكدّ غير التجارة يسافرون كل عام إلى مصر ويجلبون ما بها من حسان الثياب وسواها، ولأهلها رفاهية وسعة حال»[2].

وتوجد مناجم النحاس في تكدا يقول بن بطوطة: «النحاس خارج تكدّه يحفرون عليه ويسبكونه في المدينة في دورهم، يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم، ويسبكونه نحاساً أحمر، ويصنعون منه قضباناً في طول شبر ونصف، بعضها غلاظ وبعضها رقاق، وسعر الغلاظ 400 قضيب بمثقال ذهب، والرقاق من 600 إلى 700 قضيب بمثقال ذهب»[3].

لقد كانت تكدا سوقاً تجارياً مهماً وصل أهلها إلى درجة كبيرة من الثراء بسبب الاشتغال بالتعدين وقد ذكر العمري أن أهل تكدا يبيعون النحاس الأحمر إلى بلاد السودان الكفار وزن مثقال بثلثي وزنه ذهب [4]، كذلك اشتغالهم بالملح وخدمة القوافل، فأصبحت مركزاً رئيسياً لتجارة القوافل، وقد عبّر السلطان منسىٰ موسىٰ في مصر عند رحلته إلى الحج، بأن هذه المناهج هي أهم منابع ثروته، وكشف العالم الأثري الفرنسي (موني) بقايا هذه المناجم حديثاً في مدينة أزليك بالقرب من موضع تكدّا عام 1959م [5].

13- مدينة أقدز (أغاديس):

تقع في الشمال الشرقي من نيامي عاصمة جمهورية النيجر، حيث تبعد عنها حوالي ألف كيلو متر[6]، أسّس هذا المركز التجاري محمد بن أحمد بن عمر من الطوارق سنة 564هـ/ 1168م[7]،

(1) علي الطيف، المرجع السابق، ص 50 – 51.

(2) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 305.

(3) المصدر نفسه، ص 439 – 441.

(4) العمري، المصدر السابق، 4/ 507.

(5) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، 1393هـ/ 1973م) ص 137 – 138.

(6) الهادي الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي، ص 311.

(7) علي الطيف: المراكز التجارية الليبية، ص 51.

وأشار إليها الوزان تحت اسم مملكة أغادس، وأفاد أن أغلب سكانها من العرب والمغاربة الذين اشتغلوا بالتجارة، ويعتمد دخلها على الضرائب التي تؤخذ من التجار الوافدين عليها[1]، كما أشار إلى أن اغلب سكانها من الأجانب ويشتغلون بحرفة التجارة باستثناء أهالي البلاد الأصليين الذين يمتهنون حرفة الصناعة والباقي من السكان يشتغلون كجنود للأسرة الحاكمة[2]، وكانت القوافل تأتيها من فزان وغدامس وزويلة، واشتهرت بتجارة البخور والعلك والذهب[3].

14- مدينة زغاوة:

قال ابن خلدون: «زغاوة مسلمون ومن شعوبهم تاجرة ويليهم الكانم»[4] فهي بلاد واسعة، وسكانها قبيلة من السودان، وهم فرع من قبائل التيبو العربية وبعض الزنوج، وهي محاذية لبلاد النوبة[5].

ويبيّن الإدريسي أن زغاوة نسبة لقبيلة من السودان سكنت مدينة عرفت باسمها كانت قائمة قبل القرن السادس الهجري[6]، وقد كانت لزغاوة علاقات تجارية مع المراكز التجارية في المنطقة عبر القوافل التجارية إلى القرن الثالث عشر الهجري[7].

إن الصحراء الكبرى شهدت حركة تجارية مستمرّة، ربطت بين أجزائها الشمالية والجنوبية وازدادت هذه الحركة نشاطاً بوصول المسلمين إلى جنوب الصحراء، ولم تعد مهمة السير من الشمال إلى الجنوب تقتصر على نقل البضائع فقط بل أضاف التجار على كاهلهم مهمة الدعوة للإسلام[8]، وسأعرض في الصفحات التالية دور التجار في نشر وترسيخ العقيدة الإسلامية

(1) الهادي الدالي: المرجع السابق، ص 311.
(2) الوزان: وصف أفريقيا، ص 172.
(3) السعدي: تاريخ السودان، ص 120.
(4) ابن خلدون: العبر، 6/ 413.
(5) علي الطيف، المرجع السابق، ص 53.
(6) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 29 – 30.
(7) علي الطيف، المرجع السابق، ص 54.
(8) المرجع نفسه، ص 63.

في جنوب الصحراء الكبرى بعد أن ذكرنا أهم المراكز التجارية، ولأن المراكز التجارية في الصحراء الكبرى وجنوبها كثيرة ولكن حاولت الاقتصار على أشهرها وأهمها والتي كان لها شهرة تجارية كبيرة في العصور الوسطى والتي أصبحت بفضل هؤلاء التجار منارات علمية إسلامية أضحت وجهة للعلماء والفقهاء والدعاة والتجار من كل صوب.

خامساً: دور التجار المسلمين في نشر الإسلام جنوب الصحراء:

أقام العرب قبل الإسلام علاقات تجارية مع سكان جنوب الصحراء الكبرى وكانت بعض القبائل تقوم بهذه التجارة، وتطورت التجارة حتى أصبحت هناك حملات تجارية كبيرة ومنظمة، وفي نشاط متزايد بين أطراف القارة شمالها وجنوبها وشرقها وغربها، وقد ألفت مناطق جنوب الصحراء هؤلاء التجار قبل دخول الإسلام إليها [1]، وكان هؤلاء التجار قبل الإسلام يجسّدون حياة الجاهلية الأولى بكل أشكالها، وقد أثّر ذلك إلى حد كبير في طرق تعاملهم مع الأفارقة، ذلك التعامل الذي كان مبنيّاً على الكبرياء والغطرسة والتكبّر، فقد كانوا يتعاملون بالرباء وأكل الأموال بالباطل وعدم الاهتمام بمصدرها أيّاً كان، كما كان منهم من يعيش حياة الفسق والفجور، ومنهم من يقوم بإجبار الأفارقة على القيام بأعمال السخرة، ويعتبرونهم سلعة رائجة قام عليها ركنٌ مهمٌّ من أركان حياتهم الاقتصادية، التي تمثلت في تجارة الرقيق [2].

وعندما جاء الإسلام ودخل هؤلاء التجار في الإسلام صقلهم بمبادئه السمحة وسيّرهم وفق قواعد هذا الدين فأصبح التاجر في ظل الإسلام يتّخذ من الشرف والثقة والأمانة دعامة لتجارته، ولاغرو فالتاجر المسلم لا يستطيع أن ينسى وهو يعامل الآخرين (3)، قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) ﴾ [4].

---

(1) عطية المخزومي: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص 100 – 101.

(2) المرجع نفسه، ص 101.

(3) أحمد شلبي، المرجع السابق، 6/ 204 – 205.

(4) سورة المطففين: الآيات (1 – 5).

وأصبح تعامل التاجر المسلم على أسس القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاتُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (7) ﴾ [1].

فالتاجر المسلم إذا دخل قرية وثنية فسرعان ما يلفت إليه الأنظار بكثرة وضوئه الذي هو مظهر النظافة المحببة إلى النفوس البشرية، هذا بالإضافة إلى انتظامه في أوقات الصلاة والعبادة التي يؤدّيها بنظام ثابت، وفي خشوع كأنه يخاطب كائناً خفياً، ومنظره في سجوده وسكينته يضفي عليه من المهابة والجلال ما يحرّك فطرة الأفريقي الوثني، فضلاً عما يتحلى به من سمو عقلي وخلقي ومكارم الأخلاق، ونظافة البدن [2].

إن مزاولة التجّار لفروض الإسلام من صلاة وصوم وصدقة أدّت إلى إثارة انتباه الأفريقيين [3]، فنظافتهم وأمانتهم وصلاتهم ومظهرهم الجميل وملابسهم البيضاء، كانت تجذب الأفارقة وتؤثر فيهم [4]، فكان من شأن كل ذلك أن يوثق العلاقات بين تجّار المسلمين وبين المتعاملين معهم ويخلق لوناً من الجاذبية والتقدير ويتم في هذا الجو تبادل السلع والأفكار [5].

فسلوك التجار وسمو أخلاقهم وبعدهم عن شرب الخمر وعدم إتيان المنكرات والمعاصي والسيئ من القول والفعل طاعة لقوله تعالى: ﴿ ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (92) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَوَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ(93) ﴾ [6] كل هذه الصفات الحميدة استمالت القلوب إليهم، وفرضوا من خلالها احترامهم وثقة الأهالي بهم، الذين ألفوا منهم حياة الغطرسة والتكبّر

---

(1) سورة الرحمن: الآية (7).

(2) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 391.

(3) احمد الأحمر: أفريقيا والعرب، ص 173.

(4) رجب عبد الحليم: العروبة والإسلام في شرق أفريقيا، ص 35.

(5) كيتا، سليمان الأمين: الإسلام والمسلمون في غامبيا من 1000-1926م، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة الفاتح، (طرابلس، 1996م) ص 29.

(6) سورة المائدة: الآيات (92 – 93).

واللامبالاة، فأدركوا أن هناك قوّة إلهية أقوىٰ من البشر، وهذا ما دفعهم إلىٰ التفكير في هذه القوّة في الوقت الذي كان هؤلاء التجار يبدون لهم استعدادهم ورغبتهم في إمدادهم بمزايا هذا الدين، كما شاهدوا هذه الفئة وهي تقوم بأعمال خيّرة من إخراج الصدقات والزكاة وتوزيعها علىٰ المحتاجين وهذه الأعمال التي حلّت محل تعاملهم بالربا وعدم إيفاء الكيل والميزان [1].

فحرفة التجارة من طبيعتها أن تصل التاجر بصلة وثيقة مباشرة بالمجتمع [2]، فاحتكاكهم المباشر بالسكان يجعلهم يؤثرون فيهم، وكان سكان المناطق التي يحلّون بها يقتدون بهم في معاملاتهم وتصرّفاتهم وسلوكهم اليومي في الحياة، فيرونهم يتوضؤون ويقيمون الصلاة في جماعات، ويرونهم يحيون ليالي رمضان بالصلاة وقراءة القرآن، أو إذا هلّ عيد الفطر احتفلوا به وخرجوا لصلاته بملابسهم الجديدة، وإذا أدركهم عيد النحر عظموا ضحاياهم ثم فرّقوا لحومها علىٰ الفقراء، وتزاوروا فيما بينهم، يرونهم في تسامحهم ودفعهم بالقول الليّن والحسنىٰ وتأليفهم القلوب ومداواة المريض وإغاثة الملهوف والتواد والتراحم فيما بينهم، مما كان يدفع هؤلاء الوثنيين إلىٰ ترك دين آبائهم والدخول في الدين الجديد [3].

والتجار المسلمون كانوا يتركون زوجاتهم في أوطانهم، فبذلك يعسر عليهم أن يعيشوا عدّة شهور دون زوجات، ومن هنا يتخذون لهم زوجات في المكان الذي يتهجّر فيه ويصبح بيته مركزاً إسلامياً يلعب دوراً كبيراً في خدمة الإسلام [4].

ونتج عن هذا الارتباط استقرار التجار المسلمين في المدن الأفريقية وتكوين أحياء خاصة بهم، أقاموا فيها مساجد ومدارس لتعليم القرآن الكريم وأضحىٰ التجار يقومون بمهمة الدعوة إلىٰ جانب نشاطهم التجاري، فترأسوا حلقات الدرس والتعليم [5]، وكان القليل منهم من يجيد الفقه والفكر الإسلامي وليس منهم من يستطيع التفرّغ لذلك، فنجد

---

(1) توماس أرنولد، المرجع السابق، ص 391.

(2) حسن حسن: انتشار الإسلام في أفريقيا، ص 73.

(3) محمد أحمد: المسلمون في غينيا، ص 27.

(4) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 6/ 205.

(5) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 214.

الكثيرين منهم يستقدمون الفقهاء والعلماء لهذه المناطق عندما يكثر عدد المسلمين بها فيتولى هؤلاء العلماء تعليم الناس أمور دينهم، وشرح حضارته لهم [1]، وأكثروا من بناء المساجد والمدارس والزوايا والخلاوي لتعليم أطفال الزنوج ونشر الإسلام بينهم كما كانوا يرسلون أفذاذ الطلاب من الوطنيين إلى المعاهد الإسلامية الشهيرة في القاهرة ودمشق وبغداد وفاس والقيروان ليتلقوا المزيد من العلم والدين، وعندما كثر إقبال الأفريقيين على السفر للتعلّم في المعاهد العلمية الشهيرة، قام كثير من التجّار ببناء البيوت لهم بالشمال يعيشون بها طيلة التحاقهم بهذه المعاهد، كما قدّم هؤلاء التجار ما احتاجه هؤلاء الطلاب من نفقات ومصروفات [2].

لقد كان بعض التجّار يجمع بين التجارة والتعليم بأنفسهم، فيحوّل الواحد منهم دكانه في الليل إلى مكتب لتعليم الأطفال المسلمين والوثنيين، وكانوا يقدّمون أنفسهم لبلاط الملوك الوثنيين فيلاقون الترحاب، ويصبحون مستشارين لهم، مما كان يؤدي إلى إسلام الملوك وحاشيتهم، ومن ذلك أن الملك (أميتسا) ملك أوغنده منح التجار المسلمين حرّية الاستيطان في مملكته كعلماء وأساتذة للدّين، وبهذه الوسيلة أمكن للإسلام أن يصل إلى قلوب كثير من الأهالي [3].

وإذا كان لهؤلاء التجار دور هام في نشر الإسلام والثقافة العربية في المنطقة، فإن انتشار الإسلام أدى بدوره إلى مضاعفة النشاط التجاري بين شمال أفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى، وأصبح للتجارة مكانة خاصة [4]، ومما يدل على قوة الصلات التجارية بين الشمال والجنوب المثل السائد في شمال أفريقيا الذي يقول: «إن يجرب جملك فعليك بالقطران..... وإن تفتقر فسافر إلى السودان»[5].

وبهذا أصبح هؤلاء التجار يشكّلون طبقة متميزة في المجتمع، حتى إن بعض القبائل الأفريقية اتخذت من التجارة حرفة رئيسية عرفت بها، وكان في المدن التجارية الهامة أحياء خاصة للتجار المسلمين، فشيّدوا فيها دوراً خاصة لسكناهم تقع فوق مستودعات بضائعهم،

(1) أحمد شلبي، المرجع السابق، 6/ 206.

(2) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 36 ؛ كذلك أحمد شلبي، المرجع السابق، 6/ 206.

(3) المرجع نفسه، ص 31 – 36.

(4) مطير غيث، المرجع السابق، ص 159.

(5) نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص 141.

وكان ذلك مدعاة للاختلاط والامتزاج والتبادل الثقافي والحضاري بين هؤلاء الوافدين وإخوانهم من مسلمي المنطقة[1].

يقول ابن حوقل: «عرف العرب التجارة مع أفريقيا منذ أمد بعيد، ولما ظهر الإسلام وأصبح التاجر مسلماً زاد النشاط التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها كما زاد النشاط الذي كان يقوم به العرب فقد عني المسلمون بالطرق والأمن، وحدّدوا المكاييل والموازين والمقاييس، وأشاع التاجر المسلم حوله جوّاً من الثقة، فوجد ترحاباً أينما حلّ، وأصبح بيته منارة للفكر الإسلامي بما يحمله من مدنية وحضارة واختار مساعديه بالجنوب من خيرة الناس، فهيأ ذلك للإسلام فرصة الانتشار مع التجارة»[2].

ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي اختفت إلى الأبد التجارة التي تعتمد على المقايضة والإشارة وأدخل الإسلام إلى تلك الأصقاع نظام الصكوك والمعاهدات والمكاتبات التجارية[3]، ومن هذه الوثائق والمكاتبات التي ربطت بين التجار المسلمين وتجار جنوب الصحراء ما أورده الهادي الدالي في كتابه التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا ما وراء الصحراء، وما أوردته إصلاح البخاري حمودة في كتابها انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا فيما وراء الصحراء، والتي نستدل منها على أنّها كتبت بصيغة إسلامية تدل على سماحة وشيم الإسلام والتي منها الأمانة التي هي قيمة عظيمة بين التجار مما جعلت الناس يقتدون بهم ويطمئنون إليهم ويثقون بهم، وسنورد بعض هذه الوثائق نقلاً عن هذين المؤلفين، ومن هذه الوثائق رسالة محمد بن علي من غدامس إلى تاجر في تنبكت جاء فيها: «الحمد لله وحده هذه أمانة سيدي الحاج محمد بن علي الغدامسي فيها خمسة وعشرون رطل مرجان الحر بميزان في لوح محفوظ، إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون حرّر في 7 شعبان سنة 1290هـ»[4].

ومنها رسالة أحمد البكاي إلى انجي غلام عيسى في تنبكت ورد فيها: «الحمد لله وحده

(1) مطير غيث، المرجع السابق، ص 159.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 99.

(3) نعيم قداح، المرجع السابق، ص 139.

(4) إصلاح حمودة، انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا فيما وراء الصحراء، ص 135.

وصلى الله على من لا نبي بعده وليعلم من يقف عليه أن الغدامسية على حدّتهم لا يجمعهم من السودان أمر، ولا بينهم وبينهم إلا ما بين المسلم وأخيه المسلم لا غير وأن مانب كلامي السودان والغدامسية كل على حدته فالغدامسية طائفة والسودان أعني أهل تنبكت طائفة إلا أن أخي متيضا وأخي عيسى تلميذ وأبناي أنا منها وهما مني لا يجمعهما مع غير إلا ما شاء كتبت ليوم الاثنين الثامن عشر من رمضان عام تسعة وسبعين ومائتين وألف»[1].

وهذه رسالة أخرى من محمد بن عب إلى بكار بن حيد بخصوص تجارة بينهما في مدينة أقدز تقول: «الحمد لله وحده ولا يدوم إلاّ ملكه وصلى الله على من نبي بعده، من عند البركة المكرم الأكرم محمد بن عب إلى البركة المكرّم الأكرم بكار بن حيد، ألف ألف سلام عليك ورحمة الله وبركاته، ومثل ذلك على من نحب ويحبك، وبعد أن سألت عن أهلك وأبنائك فهم سالمون والحمد لله، والأهل حكمهم والعلماء والإماء، فهم سالمون والحمد لله كما تحب وترضى، بعد أن سئلت عن خبر الساحل قدم منها الجكاني، وقال: بأن العلك بثلاثين مثقالاً... ومن وقت قدم الجاكاني أغلا العلك وروده بعشرة آلاف وخمسمائة للحمل... وأن سألت عن الخديم العالي إلى مائة مثقال أو أكثر وتباع الريش بثمانية مثاقيل للرطل، وإن سألت عن خبر الملح في تنبكت بثلاثة مثاقيل ونصف للحمل... كاتب الحروف ومسلماً علي بكار كثير السلام كذلك محمد الأمين»[2].

كذلك هذه الرسالة إلى القاضي أحمد بابا بشأن تركه أحد التجار جاء فيها: «الحمد لله وحده لا يدوم إلا ملكه أما بعد فليعلم الموافق على هذا المسطور أن ميلاد بن جمع توفي رحمة الله عليه وعفى عنه يوم الأربعاء العشرة أيام من ربيع النبوي الأول عام ألف وثلاثة وعشرون من الهجرة بالعيسوى وثبت عن قاض تنبكت حرسها الله الفقيه القاضي سيدي أحمد بابا بن سيدي أبي العباس أن جميع ما خلف الهالك المذكور من المال شركة بينه وبين أخيه حمد بن جمع وأن ميلاد المرحوم خلف عشرة أولاد... وزوجتين فاطمة ومريم، فمتى حصلت القسمة يكون لأخ الهالك نصف المال نصيباً له من التركة بعد خروج للمتعلق بالمال من دين وغيره

(1) إصلاح حودة، المرجع السابق، ص 137 – 138.

(2) الهادي الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي، ص 311 – 312.

وللزوجين المذكورين، ثم ما بقي بعد خروج نصيب الشريك وما بقي بعد خروج ثمن الزوجين يكون بين أولاد الهالك العشرة للذكر مثل الانثيين»[1].

وفي رسالة أخرى من الحاج محمد عموش البليالي إلى عيسى بن جم تقول: «الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، من علي بن الحاج محمد البليالي إلى أخينا عيسى ابن عمنا أحمدي الشعواني وأبنائه وجميع العيال كثير ألف السلام وموجبه إليك ترى محمد ولوني عامر حملين ملح مصوّر عليه قارب وعراها سير لنا، وجميع الذي أتاك عراه سير لنا والسلام بتاريخ أربعة عشر في تاع العشور عام اثنين وثمانين بعد مائتين وألف والسلام على أخينا متيضا»[2].

هذه بعض الرسائل من عشرات الرسائل التي أوردتها الباحثة إصلاح حمودة والتي تحصلت عليها من مركز أحمد بابا التمبكتي بمالي، وتبيّن هذه الرسائل أن الديباجة التي كتبت بها ديباجة إسلامية حيث احتوت أغلبها على أمور دينية وتجارية ونصح وإرشاد، وتبيّنت نظام التعامل بين التجار من بيع البضائع وتحديد أسعارها ومن أمانة بين التجار، وسيرهم في تجارتهم على هدى الإسلام وتمسك التجار بدينهم مما حبّب الأهالي فيهم واقتدوا بهم في تجارتهم وأفعالهم[3].

وهكذا لعب التجار المسلمون دوراً واسعاً في خدمة الإسلام ونشره دوراً عاد على الإسلام بالخير، وعاد على التجار بالنماء والبركة، فنمت تجارتهم وازدهرت في ظل الإسلام، وتضاعفت أرباحهم في كنفه[4]. ونتيجة لهذا النشاط التجاري الواسع الذي ساد شمال أفريقيا ووسطها وشرقها وغربها وما نتج عنه من انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية، نشطت أيضاً قوافل الحجيج التي كانت في الوقت نفسه قوافل للتجارة التي كان يمارسها الحجاج على طول طريقهم إلى الأراضي المقدّسة، وفي الأماكن المقدسة يلتقي الأفارقة الشعوب الإسلامية

(1) إصلاح حمودة، المرجع السابق، ص 143.

(2) المرجع نفسه، ص 149.

(3) المرجع نفسه، ص 156 – 157.

(4) أحمد شلبي، المرجع السابق، 6/ 206.

المختلفة، ويشعرون بروح الأخوّة الإسلامية التي فرضها الإسلام، فيعود هؤلاء الأفارقة إلى بلادهم ممتلئين بالحماسة لنشر هذا الدين، كذلك يعودون محمّلين بالكتب الدينيّة التي تزيد من علمهم وثقافتهم كما كان له أثر في نشر الإسلام، وكان المسلمون الأفارقة يرون ارتفاع المكانة الاجتماعية لإخوانهم وأقربائهم الذين أدّوا هذه الفريضة، فيقدمون هم الآخرون عليها، ولذلك تعدّدت قوافل الحج التي كانت تخرج من هذه البلدان الأفريقية، والتي كانت تضم الآفاً على رأسها الملوك والحكام في أحيان كثيرة [1].

ولعل من أشهر الملوك الذين أدّوا فريضة الحج هو(منسى موسيا)[2] سلطان مالي الإسلامية الذي قام برحلته الشهيرة إلى الحج[3] على راس موكب كبير في عام 723هـ / 1323م، وجذبت تلك الرحلة أنظار العالم الإسلامي إلى مالي وبدأت تظهر على الخرائط التي رسمها الرّحالة في ذلك الوقت، وعند عودته من الحج جلب معه التجار والعلماء والفقهاء إلى دولته وبدأت تفد عليه أعداد وفيرة من مختلف الأقطار [4]، ومن الذين جلبهم منسى موسى معه أبو إسحاق الساحلي وهو مهندس وشاعر أندلسي وهو أول من أدخل إلى مالي نظام البناء بالطوب المحروق، وكذلك نظام السقوف المسطّحة للمنازل والمآذن الهرمية الشكل، وأشرف على بناء مساجد غاو وتنبكت [5].

وكذلك قام ملوك السنغي التي خلفت مالي بأداء فريضة الحج ومن أشهرهم (أسكيا الحاج محمد الأوّل) الذي قام بأداء فريضة الحج سنة (902هـ/ 1496م) [6].

---

(1) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء، ص 12 – 13.

(2) هو موسى بن أبي بكر بن سالم التكروري، ويلقب بالأشراف لما كلمة منسا فمعناها في لغتهم الملك أو السلطان، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 5/ 293.

(3) للمزيد من التفاصيل عن رحلة منسى موسى إلى الحج راجع، أحمد، محمد عبدالعال: منسا مُوسى سلطان التكرور ورحلة حجة الشهيرة (القاهرة، 1408هـ/ 1987م).

(4) أحمد الفيتوري: الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان، ص 248.

(5) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 681.

(6) علي، فاي منصور: أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغهاي الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 1418هـ/ 1997م) ص 68.

وأدّىٰ كذلك بعض سلاطين الكانم والبرنو، الذين كانت دولتهم تقوم حول بحيرة تشاد فريضة الحج، حيث قام الحكّام علىٰ تيسير أداء هذه الفريضة، وأوّل من حج من مايات برنو المسلمين (الماي أوم) حوالي 1097م وقد مات في مصر ودفن بها، في زمن الخليفة الفاطمي المستعلي أحمد (488 – 495هـ/ 1095-1101م) وحج (الهادي دونمة بن أوم) أكثر من مرة وبهرت مراكب حجه أهل مصر، وقد غرق عند عيذاب أو السويس وهو في طريقه إلىٰ مكة في حجته الثالثة أو الرابعة حوالي عام 1151م وكان ذلك في زمن الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله أبي منصور (511-549هـ/ 1149-1154م) [1].

وحرص جميع المسلمين في أهل برنو علىٰ أداء الحج وكثرت وفودهم إلىٰ مصر في طريقهم إلىٰ الحج، وبنوا مدرسة في فسطاط مصر عرفت باسم مدرسة ابن رشيق، لتدريس المذهب المالكي وبنوا مدرسة للمالكية بالفسطاط ينزل بها وفودهم [2].

وقد ذكر المقريزي هذه المدرسة بقوله: «مدرسة ابن رشيق بخط حمام الريش من مدينة مصر، كان الكانم من طوائف التكرور، لما دخلوا من مصر في سنة بضع وأربعين وستمائة قاصدين الحج، ودفعوا للقاضي علم الدين بن رشيق مالاً، بناها به ودرّس بها فعرفت به وصارت لها في بلاد التكرور سمعة عظيمة، فكانوا يبعثون إليها في غالب السنين بالمال» [3].

وكان بناء هذه المدرسة في أواخر العهد الأيوبي، في زمن الملك البرنوي دونمة مالا (م:سنة حوالي 1259م)، وأقام حجاج البرنو كذلك فنادق لنزول حجاجهم ومن السلاطين الذين اشتهروا بهذا العمل إدريس ألوما (م: سنة 1602م) كما اشتهر بالإكثار من بناء المساجد، والغالب في إمبراطورية البرنو هو المذهب المالكي، والقلة علىٰ مذهب الإمام الشافعي [4].

وكان حكام بلاد السودان النيلي والصومال والحبشة يؤدّون هذه الفريضة وكانوا

(1) إبراهيم طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص 72.

(2) المرجع نفسه، ص 72 – 73.

(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار، 2/ 365.

(4) إبراهيم طرخان، المرجع السابق ، ص 73 – 74.

يحرصون على ذكر لقب الحاج قبل أسمائهم مثلما كان يفعل إخوانهم في شمال أفريقيا وغربها، وكانوا يعودون من هذه الرحلة المباركة ممتلئين حماسة لنشر الإسلام، بين من لم يعتنقه من الوثنيين في بلادهم وقراهم [1].

ومما يذكر أن حركة التجارة ودورها في نشر الإسلام في شرق أفريقيا ورغم طول فترة الوجود العربي في شرق أفريقيا ورغم الوحدة السياسية بين عمان وشرق أفريقيا لم تكن بنفس العمق الذي كانت عليه في غرب أفريقيا، وذلك لأسباب منها أن السلاطين العرب كانوا تجاراً اهتمّوا بالتجارة وجمع المال، كما لم يشهد شرق أفريقيا حركات إصلاحية كما حدث في غرب أفريقيا، لأن الحكم الإسلامي في شرق أفريقيا اتسم بالتسامح الديني والتراخي في بذل الجهود لنشر الإسلام ورغم ذلك فإن الإسلام هو الدين السائد في شرق أفريقيا، فدور التجارة في نشر الإسلام كان أكثر فاعلية في غرب أفريقيا ووسطها أكثر منه في شرقها [2].

---

(1) رجب عبد الحليم: المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء، ص 13.

(2) محمد عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 70.

الفصل الرابع

أثر الدعاة والطرق الصوفية في نشر الإسلام بين الأفارقة

يحتوي هذا الفصل على:

أولا : الدعاة.

- اهم مراكز الدعوة
- اشهر الدعاة المسلمين ودورهم في نشر الإسلام جنوب الصحراء الكبرى
  1- الشيخ عبدالله بن ياسين الجزولي
  2- الإمام محمد المغيلي
  3- الإمام أحمد الجراني

ثانيا: الطرق الصوفية.

التصوف او الوعي الصوفي

1- الطريقة القادرية
2- الطريقة التيجانية
3- الطريقة السنوسية
4- الطريقة الميرغنية

الفصل الرابع

أثر الدعاة والطرق الصوفية
في نشر الإسلام بين الأفارقة

اشتمل الدين الإسلامي على مجموعة من المبادئ التي تتعلّق بالعقيدة والإيمان والسلوك، وهذه المبادئ جذبت الأفارقة إلى هذا الدين، وسأتحدث عن أهم هذه المبادئ التي وجد فيها الأفريقي نفسه، وساهم في نقلها الدعاة المسلمون بجانب إخوانهم المهاجرين والتجار وأصحاب المذاهب والفرق الصوفية.

يقول ديشان في كتابه الديانات في أفريقيا السوداء: «... وقد يسّر انتشار الإسلام أمرٌ آخر هو أنه دين الفطرة بطبيعته، سهل التناول، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه، سهل التكيف والتطبيق في مختلف الظروف، ووسائل الانتساب إليه أيسر وأيسر، إذ لا يطلب من الشخص لإعلان إسلامه سوى النطق بالشهادتين حتى يصبح في عداد المسلمين»[1].

إن سماحة هذا الدين وبساطته ويسره، جعلت الأفريقيين يسارعون إلى اعتناقه عن حبّ ورضا وطواعية، ولم يُكره أحد منهم على الدخول فيه، لأن الإكراه ضد طبيعة هذا الدين يقول تعالى: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (255) ﴾[2]، ويقول الحق تبارك وتعالى:﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ ﴾[3]، وقال تعالى مخاطبا نبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[4].

---

(1) أبو سعد، عبد السلام: أهم العوامل التي ساعدت في انتشار الإسلام في أفريقيا، مجلة كلية التربية، العدد(16) لسنة 1982م، جامعة الفاتح (طرابلس، 1402هـ/ 1982م) ص 118.

(2) سورة البقرة: الآية (255).

(3) سورة الكهف: من الآية (29).

(4) سورة يونس: الآية (99).

وقد وجد الأفارقة في هذا الدين فضيلة طيبة حبيبة إلى قلوبهم وهي فضيلة المساواة بين كل المسلمين فمن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله (ﷺ)، كان أخاً لكل مسلم بصرف النظر عن نسبه وأصله وجنسه، فالكل سواسية أمام الله، ولا يفضل الواحد صاحبه إلا بمقدار صلته بربّه ومقدار تخلّقه بالأخلاق الفاضلة ونشر الخير بين الناس [1]، والقرآن الكريم يؤكد ذلك بقوله تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) ﴾ [2].

فتعاليم الإسلام تؤكّد الأخوة، التي ترتفع فوق العصبيّة القبلية والجنسية يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [3]، والرسول (ﷺ) يقول: ﴿ الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِذَا اشْتَكَىٰ عَيْنُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ، وَإِذَا اشْتَكَىٰ رَأْسُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّه ﴾ [4] ويقول عليه الصلاة والسلام: ﴿ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِم وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ له سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهرَ وَالْحُمَّىٰ ﴾ [5]، والإسلام يدعو الناس كي يحب بعضهم بعضاً بل يجعل الحب غاية الإيمان يقول الرسول (ﷺ): ﴿ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حتىٰ تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حتىٰ تَحَابُّوا.. ﴾ [6].

وقد بيّن الرسول (ﷺ) مبدأ المساواة في خطبته (في وسط أيام التشريق) حيث بيّن للناس أنه لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، فقال (عليه الصلاة والسلام): ﴿ يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا

(1) عبدالرحمن النجار: الإسلام في الصومال، ص 16.

(2) سورة الحجرات: الآية (13).

(3) سورة الحجرات: الآية (10).

(4) النووي: صحيح مسلم، 4/ 2000.

(5) المصدر نفسه، 4/ 1999.

(6) السجستاني، الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر (بيروت، 1423هـ/ 2003م) 4/ 350.

بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [1] وهذا التفاضل بالتقوى لا يحرم صاحب حق من حقّه مهما كانت عقيدته بل يؤكد تلك الحقوق [2].

فالرسالة الإسلامية تُعنى بالروابط الإنسانية، وتوجّه الإنسان نحو إدراكها والعمل على تقويتها، والدعوة الإسلامية هي دعوة إلى إقامة تجمع إنساني ينبذ الجاهلية المادية ويتحلّى بالصفات الإنسانية، دعوةٌ إلى مجتمع يعطي أفراده حاجة بعضهم بعضاً [3]، قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً(8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُوراً(9)﴾ [4].

وإلى جانب الأخوة والمساواة، فقد حرّم الإسلام الظلم بين الناس، دون اعتبار لانتماء المظلوم أو الظالم قال رسول الله (ﷺ): ﴿ إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.. ﴾ [5]، وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: ﴿ الظلم ظلمات يوم القيامة ﴾ [6]، وقال عليه الصلاة والسلام:﴿ اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم ﴾ [7].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: ﴿ يا عِبَادِي، أنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وَجَعَلْتُه بَيْنَكُم مُحَرَّماً، فَلاَ تَظَالَمُوا.. ﴾ [8].

---

(1) ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد: المسند، شرح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث (القاهرة، 1415هـ/ 1995م) 5/ 411.

(2) ديرة، المختار أحمد: لتعارفوا، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد (20) لسنة 2003م، كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2003م) ص 8.

(3) أضبيعة، أحمد محمد: الرعاية الاجتماعية في الشرائع الإلهية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد (20) لسنة 2003م، كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2003م) ص 673.

(4) سورة الإنسان: الآيات (8 – 9).

(5) النووي: صحيح مسلم، 3/ 1315.

(6) البخاري: صحيح البخاري، 2/ 864.

(7) النووي: المصدر السابق، 16/ 125.

(8) الأحاديث القدسية، باب تحريم الظلم، مكتبة دار التراث (القاهرة، بدون تاريخ) 1/ 264.

والناظر لمجمل الآيات القرآنية بتدقيق وإحصاء، يجد أن العقيدة الإسلامية مبنيّة على دفع الظلم، لكثرة ما فيها من الآيات التي تحرّمه وتنكره، ويكفي أن القتال لم يشرع فيها إلاّ لرفع الظلم والدفاع عن النفس، ودفع أذى الآخرين والوقاية من ظلم [1]، قال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [2].

والعلاقات الاجتماعية في ظل الإسلام تقوم على أسس ثابتة وقوية ودائمة، فبالإضافة إلى روابط الدم والقرابة والمصلحة المادية المشتركة، نجد رابطة الإيمان بالله الواحد الأحد، والعمل الصالح في ظل المساواة والعدالة الاجتماعية [3]، يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [4].

ومن ضروب الرحمة والتسامح في الإسلام، حضُّ الإسلام على الرفق بالرقيق وحسن معاملتهم يقول الرسول (ﷺ): ﴿ إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُم اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُل وَلْيُلْبِسْه مِمَّا يَلْبَسُ، ولاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ ﴾ [5]، وأوصى بهم الرسول (ﷺ) في آخر خطبة له، كما أمر بمناداتهم بـ(فتاي وفتاتي) بدلاً من عبدي وأمتي، وأباح الإسلام الزواج بالأمة المؤمنة ومنع الزواج بالحرّة المشركة، وجعل للزوجة الرقيقة حقوقاً على زوجها مثل الزوجة الحرة، كما جعل الإسلام عتق الرقبة كفّارة للقتل الخطأ، ولإفطار يومٍ من رمضان عمداً للقادر على الصوم، وكفارةً لِلظّهار، وحبّب الإسلام إلى أتباعه إعتاق مَن في أيديهم من الأرقاء، ومن ليس في أيديهم ممن يستطيعون شراءهم وإعتاقهم، إذ جعل تحريرهم عملاً صالحاً يؤدّيه المسلم شكراً لله على نعمه الجزيلة، قال تعالى: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ(11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ(12) فَكُّ رَقَبَةٍ(13) ﴾ [6]، وقال الرسول (ﷺ): ﴿ من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضواً

(1) المختار ديرة، المرجع السابق، ص 9.

(2) سورة الحج: الآية (27).

(3) محمد أضبيعة، المرجع السابق، ص 672.

(4) سورة فصلت: الآية (33).

(5) النووي: صحيح مسلم، 11/111.

(6) سورة البلد: الآيات (11 – 13).

من النار حتى فَرَحَهُ بِفَرجِه ﴾ [1] وقالت أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما): ﴿ كنّا نؤمر عند الكسوف بالعتاقه ﴾ [2].

فقوّة الإسلام الذاتية (المتمثلة في بساطة العقيدة ووضوحها، وحضارية تعاليم الإسلام التي تجمع بين الشمولية الدائمة والواقعة المتجدّدة، والموازنة بين المصالح المادية والمطالب الروحية على نحو ينسجم مع الفطرة البشرية السليمة، ويعمل على تنمية الشخصية الإنسانية المتكاملة على المستويين الفردي والاجتماعي) وهي العامل الفاعل الذي جَذَب الكثير من ضيق الأديان إلى سعة الإسلام، لأنه دين البساطة والمحبّة والسلام، يدعو لسلام العالم وسلام الإنسان وأمنه، على يومه وغده [3].

لهذا كلّه فإن الإسلام يجد طريقه إلى القلوب سهلاً ميسراً، وحينما تصل دعوته إلى أية جهة من جهات الأرض فإن أهلها يسارعون إلى اعتناقه ويرتبطون ارتباطاً وثيقاً بإخوانهم المؤمنين، ويزداد ارتباطهم بالعرب الذين بُعث منهم رسول الله (ﷺ) الذي أخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور، وقد وجد الأفارقة في الإسلام اليسر والسماحة فهو لا يشق على أحد، وتكاليفه ميسورة لكل إنسان، فإذا حان وقت الصلاة توضأ المسلم واتجه إلى القبلة ووقف على الأرض في أي مكان وأدّى صلاته، وإذا لم يجد الماء تَيَمّمَ بالتراب الطاهر، والقرآن يقرر هذا اليسر في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [4] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [5].

ويقرّر الإسلام الحرّية في جميع مجالاتها، الحرّية الشخصية وحريّة العقيدة وحرّية الرأي، ويحترم الإسلام الملكية الخاصة التي لا تضر بالغير، ويقرر المبادئ الأخلاقية الفاضلة، ويحثّ

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، 3/ 290.

(2) عبدة، أحمد عبدة: التسامح في الإسلام، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد (17) لسنة 2000م، كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2000) ص 51 – 52.

(3) ميغا، حمزة مصطفى: الشيخ أحمد ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2005م) 1/ 91.

(4) سورة البقرة: الآية (184).

(5) سورة الحج: من الآية (76).

على العلم والسعي في الأرض، والنظر في ملكوت السموات والأرض وصولاً إلى تأكيد وحدة الخالق سبحانه وتعالى [1].

ورغم أن المسيحية تدعو إلى المحبّة والرحمة والسلام، إلاّ أن بعض المبشّرين بها كانوا بعيدين كل البعد عن هذه المبادئ السمحة، وهذه مناقشة جرت بين أحد القساوسة وأفريقي من السنغال حيث يقول القسيس: «لا بد أن يكون الله أبيض، فهو لم يخلق اللون الأسود فيما خلقه من ألوان النبات والأشجار والبحار، هل رأيت ثلجاً أسود ؟ أو مطراً أسود ؟ أو بحراً من الحبر ؟ هل رأيت ملاكاً في صورة سوداء ؟ أو هل رأيت نبيّاً أو رسولاً جاء من الجنس الأسود ؟ إن كل هذا دليل على أن الله أبيض، وأنه اختار الشعوب البيضاء لتقود الحضارة والإنسانية...»[2] هذا نموذج لتفكير غير المسلمين في علاقتهم بالأفارقة، أما الإسلام فنجده ينظر إلى الإنسانية وكأنها حديقة كبيرة تختلف ألوان أزهارها دون أن يكون للون فضل على آخر، يقول الرسول (ﷺ): ﴿ أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة ﴾ [3] وطبق المسلمون عملياً هذه التوجيهات، فليس للون أو لوضع اجتماعي مكان في تكوين الأسرة، وكل ما يشترطه الإسلام هو التراضي والقدرة على تكوين البيت، والقيام بأعبائه على أساس مستقر، وهذا هو جوهر الكفاءة في الإسلام يقول الإمام مالك (رضي الله عنه): «الكفاءة في الدين لا غير»[4].

فالإسلام لم يعترف بالتفرقة العنصرية، فهو لا يعرف حواجز الطبقات أو العرق أو اللّون ولا يميّز بين إنسان وآخر على أساس اللون والثروة، والإسلام هو الدين الوحيد الذي يحقّق للأفريقي آماله، وهو الدين الوحيد الذي يشبع له حاجاته ويحفظ له كرامته وإنسانيته [5]، وقد أدرك الأفارقة هذه الحقيقة عندما تعاملوا مع المسلمين منذ البداية، فعرفوا جيّداً أن

---

(1) عبدالرحمن النجار، المرجع السابق، ص 60 – 64.

(2) المرجع نفسه، ص 17.

(3) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، 3/ 321.

(4) عبدالرحمن النجار، المرجع السابق، ص 17.

(5) عبدالسلام أبو سعد، المرجع السابق، ص 119.

الإسلام دين سلم وقناعة وحرّية، وليس دين تعسف وإكراه، [1]. ومن هنا اعتبر الأفارقة الإسلام ديناً إفريقياً قاموا بنشره بين قومهم، وطبّقوا مبادئه السمحة، وأخلاقه الحميدة، وقيمه السلمية [2].

أولاً: الدعاة:

تميّزت رسالة الإسلام عن غيرها من الرسالات السماوية، أن ضمّت في صفوفها مختلف الأقوام والأجناس، وجعلت منهم أمة واحدة تدين بالوحدانية، وتسعىٰ لتحرير الإنسان من الشرك والعبودية والضلال، وتقوده إلىٰ طريق النجاة والطمأنينة والتقدّم، فمبدأ العمل والمساواة الذي سارت عليه الدولة الإسلامية منذ نشأتها، أتاح المجال لأبناء هذه الأمم (التي اعتنقت الإسلام وآمنت برسالته السمحاء) أن يلعب كل منهم دوره في الحياة، حسب قابلياته وإمكانياته، فلا غرابة أن برز المئات بل الآلاف من العلماء والمفكرين والدعاة الأفذاذ، الذين ساهموا في إرساء وبناء قواعد الإسلام في أفريقيا [3].

لقد اهتم خلفاء المسلمين بنشر الإسلام في القارة الأفريقية، إذ كان نشر الإسلام غايتهم المنشودة [4]، فالدعوة للإسلام واجبة علىٰ كل مسلم، يقول الرسول (ﷺ): ﴿ لأن يهدي الله علىٰ يديك رجلاً إلىٰ الإسلام خير لك من أن يكون لك حمر النعم [5] ﴾، لذلك كان المسلمون الأوائل دعاة لهذا الدين، لِكون الدعوة جزءاً من حياة المسلم، فالدعوة تكليف عام وواجب ديني لا يمكن إفراده بخبر أو بحادثة معينة، ومن ناحية أخرىٰ فإن الدعوة في الغالب تكون بقناعة شخصية مغروسة في الإنسان نفسه، من دون تكليف من الدولة أو تنظيم من قِبلها [6].

---

(1) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام، ص 467.

(2) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 21.

(3) عبدالرحمن النجار، المرجع السابق، ص 19.

(4) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا، ص 484.

(5) حمر النعم: لون من ألوان الإبل المحمودة التي كانت العرب تتفاخر بها، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، دار مصر (القاهرة، 1421هـ / 2001م) 478/7.

(6) البخاري: صحيح البخاري، 1096/3.

فالأفراد المسلمون لعبوا دوراً عظيماً في تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا، لأن افتقار الدعوة الإسلامية إلى طبقة كهنوت تقوم على نشر العقيدة، قد ضاعفت من مسئولية الفرد المسلم إذ عليه فعليه وحده يقع هذا العبء، وعليه وحده أن يؤدي هذا الواجب[1].

إن أعظم نشاط قام به الأفراد في ميدان الدعوة، الدور الذي قام به أفراد اكتسبوا حظًا من التعليم الديني أو حجّوا إلي مكة، وتختلف ألقابهم باختلاف الجهات التي يعيشون فيها، فبعضهم يسمي (المرابط أو الألفا أو المعلم أو الفقيه)[2]، أو(الشيخ أو مولانا أو سيدنا)، وكان هؤلاء يحظون بأوافى نصيب من التقدير والاحترام[3]، وفي استطاعتهم التنقل بحرّية مطلقة من قرية لأخرى، أومن إمارة لأخرى، ويصادفون الرعاية والتشجيع أينما حَلُّوا، وهم ينشئون المدارس ويحفّظون القرآن، ويعلّمون الأطفال المسلمين والوثنيين على حدّ سواء، وقد تعلّم أكثرهم في مدارس المغرب أو في مصر، وقاموا بنشاط ملحوظ في نشر الدعوة[4].

ويطلق على هؤلاء اسم الدعاة، والمقصود بالدعاة هم الأفراد الذين تلقّوا قدراً من العلوم الدينية التي تؤهلهم لهذا العمل، وعلى رأسهم الفقهاء والعلماء والمشائخ والقرّاء والقضاة[5]، وقد امتدّوا بالدعوة الإسلامية نحو القارة الأفريقية، فعبروا الصحراء وحملوا معهم فكر المذاهب المنتشرة في الشمال في الأصول والفروع، بل وفي الاتجاهات السياسية التي تحمل طابعاً مذهبياً[6].

وكانت كل قرية في أفريقيا تقيم داراً لاستقبالهم، وكان الحكام والملوك والأفارقة سواء أكانوا مسلمين أم وثنيين، يعاملونهم باحترام كبير، وكانوا يتخذون منهم مستشارين ووزراء يصرّفون لهم أمور الدولة، ويلغ من إجلال الناس لأشخاص هؤلاء الدعاة، أنه كان لا يعترض لهم أحد بسوء أثناء انتقالهم من دولة لأخرى أو من جهة لأخرى، حتى لو كانت

(1) حسن محمود: انتشار الإسلام والثقافة العربية، ص 54.

(2) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 392.

(3) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 22.

(4) توماس أرنولد، المرجع السابق، ص 392.

(5) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء، ص 7.

(6) حسن عبدالظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا، ص 98.

الحروب ناشبة بين هذه الدول أو تلك الجهات، مما يدل على عمق التقدير وعظيم الاحترام لأشخاص هؤلاء الدعاة [1].

وكان الدعاة يتطوعون للدعوة وينفقون في سبيل نشرها من مالهم الخاص، لا تبعثهم حكومة، ولا تشرف عليهم إدارة، ولا تنظمهم قيادة، بل كانوا ينتشرون في أنحاء أفريقيا جنوب الصحراء يستعملون مختلف الوسائل الممكنة لإنجاح دعوتهم، وقد جاء نشاط كبير من هؤلاء الدعاة بعد أن توقفت الجيوش الإسلامية الفاتحة، فكان الداعي المسلم يتعقب الجيش ليكمل النقص في تحويل الناس إلى الإسلام، وقد ساعد نجاح هؤلاء الدعاة في نشر الإسلام في جهات عديدة من القارة الأفريقية [2].

وكان الدعاة يتفرّغون للدعوة والتعليم، فيجمعون حولهم عدداً من الأطفال والشباب، وسرعان ما يظهر امتيازهم عن رفاقهم الذين لم ينخرطوا في سلك التعليم، وهذا ما ساعد على اجتذاب أعداد أخرى جديدة [3]، وكان سبباً في احترام الشعوب والحكام الأفريقية لهم، فبجانب نشاطهم في الدعوة كانوا مفيدين للمجتمع الذي يعيشون فيه، إذ أنّهم يعلّمون الأطفال الوثنيين ويقومون بتحفيظهم القرآن، ويفقهونهم في عقائد الإسلام، وبذلك يصبح هؤلاء الأطفال نواة ينفذ من خلالها الداعي إلى الأهالي، ونواة بذرة إسلامية داخل الأسرة الوثنية [4].

إن هؤلاء الدعاة كانوا يسيرون في حياتهم على عادات وطباع الأهالي الذين يعيشون بينهم، ولا يتعالون عليهم، وإنما يخالطونهم ويتعاملون معهم في مودّة ورحمة، ويتزوجون منهم، وحينئذٍ تعمل أواصر المصاهرة والنسب أثرها، فيتحوّل النّاس إلى الإسلام من تلقاء أنفسهم [5].

لقد اعتمد انتشار الإسلام في أفريقيا، على الإقناع الذي يقوم به دعاة لا يملكون حولاً

(1) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 23.

(2) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام. ص62.

(3) المرجع نفسه، ص62.

(4) رجب عبد الحليم: المسلمون في أفريقيا، ص7.

(5) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، 23.

ولا قوة إلا إيمانهم العميق بدينهم، وكثيراً ما انتشر الإسلام بالتمرّد السلمي البطيء من قوم إلي قوم [1]، فالداعي المسلم يستطيع أن يمد القبائل الزنجية الغير متحضرة بكثير من الحقائق المتعلّقة بالله وبالإنسان تصل إلي القلب، بل يستطيع إلي جانب ذلك أن يمنحهم ترخيصاً بالدخول في وَحْدة اجتماعية وسياسية تخوّلهم حق الحماية والمساعدة في البلاد الإسلامية، التي تمتد من سور الصين شرقاً إلي المحيط الأطلسي غرباً [2].

إن الدعاة المسلمين كانوا يهدفون (بالدرجة الأولى) إلى دعوة الأمراء والقادة وأولي الأمر في البلاد التي تكون مسرحاً لنشاطهم، فإذا ما نجحوا في ذلك فسرعان ما يهتدي بقيّة السكان في القبيلة أو المملكة [3]، يقول ديشان: «فكان إذا ما اعتنقه الأرستقراطية - وهي هدف الدعاة الأول - تبعتها بقية القبيلة» [4].

فإذا ما استطاع الداعي إقناع شيخ القبيلة بالإسلام، فمعنى هذا أنه ضمن دخول القبيلة كلّها إلى الإسلام، خاصة أن دخول شيخ القبيلة للإسلام، لا يفقده أيّ حق من حقوقه، بل يضفي عليه امتيازات أخرى يحافظ من خلالها على مركزه ومكانته، وقد زاد من تسهيل جهود الدعاة أن الاعتقاد بوجود الله هو أساس الشعور الديني عند كثير من عبدة الأوثان، ولهذا يمكن أن يتحوّل الوثني إلى الإسلام دون عناء [5].

وإذا ما نجح الداعي المسلم على هذا النحو بما له من حظ موفور من العلم والمعرفة، فإنه لا يتوانى في أن يؤثر تأثيراً كبيراً على الأهالي الذين جاء يعيش بينهم، وبالتزاوج مع السكان الذين يرحّبون بدخوله في نطاقهم الاجتماعي الذي لا يتعارض مع ما جاء في الدين الإسلامي الحنيف، يتوطّد نفوذه ويستقر، وهكذا تنتشر بينهم معارف الإسلام شيئاً فشيئاً، وبطريقة طبيعة إلى أبعد حد [6].

---

(1) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا، ص 485-486..

(2) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 62.

(3) عبدالسلام أبو أسعد، المرجع السابق، ص 119.

(4) ديشان، هوبير: الديانات في أفريقيا السوداء، ترجمة: أحمد صادق حمدي، دار الكتاب العربي (القاهرة، 1956م) ص 129.

(5) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 63.

(6) حسن محمود، المرجع السابق، ص 54.

ومما ساعد الدعاة على قيامهم بنشر الإسلام، أنه بعد تدريب بسيط بحفظ سور من القرآن الكريم، ومعرفة أصول الدين، يمكن إعداد دعاة من أهل البلاد، وبذلك أصبح من الممكن أن يوجد في القرية الواحدة أكثر من داعية، وأكثر من معلّم، كما أن سلوكهم يمثل صورة حيّة للإسلام في سموّ مبادئه، مما جعل تأثيرهم على السكان كبيراً [1].

أهم مراكز الدعوة:

من أهم مراكز الدعوة الإسلامية، التي يتخذها الدعاة أماكن تنطلق منها الدعوة إلى الإسلام المسجد والرّباط والزاوية، فالمسجد: لغة اسم لمكان السجود أما شرعاً فهو كل موضع من الأرض [2]، ويعد المسجد من معاهد الثقافة الأولى لدراسة العلوم الإسلامية، واللغة العربية ولكثير من العلوم العقلية التي تنوعت، وتطورت، إبان عصور الحضارة الإسلامية [3]. وقد اتخذ الدعاة المسجد مكاناً للوعظ والإرشاد، ومنتدىً للاستفسار عن كثير من المسائل الدينية وإيضاحها على أيدي هؤلاء الدعاة، وقبل هذا وذاك، فإنه مكان للعبادة وإقامة الشعائر الدينية التي كان يتعلّمها الناس عملياً على أيدي الدعاة والمعلّمين [4].

أما الرباط: لغة ما ربط به والجمع رُبط، والرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطاً وربّما سميت الخيل رباطاً [5].

أما المعنى العام لهذه الكلمة فهو المكان الذي يرابط فيه جنود المسلمين للترصّد للعدو، وللدفاع عن الحدود [6]، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (75) ﴾ [7].

---

(1) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص 27.

(2) الزركشي، محمد بن عبدالله: إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفاء مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة، 1383هـ/ 1963م) ص 26.

(3) معروف، ناجي: أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة (بيروت، 1395هـ/ 1975م) ص 469.

(4) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام، ص 486.

(5) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر (بيروت، 1376هـ/ 1956م) 2/ 560.

(6) علي، سعيد إسماعيل، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي (القاهرة، 1406، 1986م) ص 595.

(7) سورة آل عمران: الآية (75).

وأخذ المسلمون يبنون مواقع لهم على الحدود البريّة الفاصلة بينهم وبين العدو، وعادة ما يكون هذا البناء من طابق أو طابقين [1]، ثم تطوّر هذا المكان ليصبح شاملاً لنواحي أخرى غير الجانب الدفاعي، حيث غدا الرباط يطلق على المكان الذي يرابط فيه الصوفيون والعلماء للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى، ونذر النفس لتعليم الدّين الإسلامي واللغة العربية، وهكذا أصبحت الرباطات تؤدّي خدمات دينية وثقافية وتعليمية، كالوعظ والإقراء والإفتاء، ومنح الإجازات العلمية، وتصنيف الكتب، إلى جانب دورها العسكري [2].

وفي معظم الأربطة كانت توجد مكتبة عامرة بالكتب والمصنّفات في شتى مناحي العلوم، وبالأخص في الجانب الديني، حيث أن القائمين عليها أنشأوا فيها خزائن الكتب، وعيّنوا لها الخزان، وأوقفوا عليها الأوقاف، وكلّفوا عليها من يقوم بصيانتها وترتيبها ومناولتها، وكانت هذه المكتبات مفتوحة لكل من يرغب في ارتيادها، حيث كان من أبرز روّادها المتصوفون المرابطون بالرباط، وكان يرتادها الكثير من الزهّاد والطلاب المسافرين في طلب العلم [3].

وكانت المكتبات الموجودة بالرباطات، ذات رفوف مبنية داخل جدار الحجرة، على هيئة تجاويف منتظمة، وداخل هذه التجاويف توضع الكتب الأمهات والكتب المنسوخة عنها، كما يوجد بوسط الغرفة مصاطب أو مقاعد حجرية يتم الجلوس عليها أثناء القراءة [4].

ونتيجة لهذه الحركة العلمية التي كانت تشهدها الربط، ظهرت الكثير من التآليف والمصنّفات المهمّة، حيث انقطع العديد من المرابطين بالثغر إلى المطالعة والدرس، ومنهم على سبيل المثال أبوبكر الحازمي، يقول المقريزي: «فكان أبوبكر الحازمي يقيم في رباط البديع، وكان يدخل بيته بالرباط كل ليلة يطالع ويكتب إلى الفجر، وقد صنّف الحازمي في ذلك الرباط كتاب الناسخ والمنسوخ في الحديث النبوي الشريف، وكتاب عجالة المبتدئ في

(1) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر(بيروت، 1390هـ/ 1960م) 10/ 100.

(2) ناجي معروف، المرجع السابق، ص 464.

(3) أمين، حسن: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية (بغداد، 1385هـ/ 1965م) ص 240.

(4) سعيد علي، المرجع السابق، ص 596.

الأنساب، وكتاب المؤتلف والمختلف في الأنساب أيضاً، وكان زاهداً ورعاً ولا يعرف إلاّ الخلوة والتصنيف وبث العلم»[1].

وصارت أفريقيا الشمالية مربعاً كبيراً يحيط به إطار من الأربطة ضلعه الغربي من سبتة إلى بنزرت، ويحتوي على مئات الأربطة، وضلعه الجنوبي من مشارف الإسكندرية إلى بنزرت، وهذا الإطار يحتضن في كل رقعة منه رباطاً في قمة جبل أو رأس بحر أو واحة صحراء، وشكّل هذا المربّع الرباطي الكبير أكبر جهاز ثقافي منسجم موحّد عرفته بلاد المغرب، وكان كامل العدّة المعنوية والمادية، وعمل طيلة قرون على نشر الإسلام والعروبة داخل بلاد البربر وبلاد الزنوج [2].

وانتشرت الرباطات على طول ساحل أفريقيا من الإسكندرية حتى سبته، ومن سبته إلى السنغال، ومن أهم هذه الرباطات (التي كان لها أثر هام جداً في التاريخ الإسلامي للمنطقة حتى إنه سمّيت نسبة إليه طائفة من الرجال استطاعوا تكوين دولة حكمت المغرب الأقصى وأجزاء كبيرة من المغرب الأوسط) الرباط الذي أنشأه الشيخ عبدالله بن ياسين في الحوض الأدنى من نهر السنغال، وسيأتي الحديث عن هذا الرباط ودوره في نشر الإسلام جنوب الصحراء الكبرى عند الحديث عن أهم الدعاة [3].

فالرباط إذاً لا يقل أهمّية عن المسجد في كونه مكاناً تشع منه الدعوة إلى الإسلام، ولعبت هذه المراكز الدينية والحربية دوراً مهماً وبارزاً في نشر العقيدة الإسلامية، والذود عن ديار المسلمين [4].

أما الزوايا: فإن كلمة زاوية في اللغة تعني (الركن) وفيما يخص البناء والمعمار، فإنها تعني ركن المبنى أو طرفه القصي[5]، ويرى البعض أنّ كلمة زاوية مشتقّة من الفعل إنزوى، بمعنى

---

(1) المقريزي: الخطط، 2/ 425.

(2) سعيد علي، المرجع السابق، ص 597.

(3) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام، ص 487.

(4) المرجع نفسه، ص 487.

(5) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل (بيروت، 1416هـ/ 1996م) ط14، 4/ 445.

نأى بنفسه وابتعد عن غيره من الناس ليتفرّغ لعمل ما، باعتبار أن مرتاد الزاوية متفرّغ للعبادة والتعلّم [1].

ثم أطلق هذا الاسم على المسجد الصغير أو المصلى، وبعد ذلك أضاف الصوفيون هذا اللفظ إلى مصطلحاتهم وعنوا به الخلوة، وهي المكان الذي يختلون فيه للعبادة والتأمل، وبمرور الأيام تطوّر المصطلح ليعني مؤسسة أو معهداً يُحفّظ فيه القرآن، وتُلقى فيه الدروس الدينية واللغوية، وتقام فيه الأذكار، وأصبح بمثابة ملتقى للصوفيين [2].

والزاوية من حيث طبيعتها تنقسم إلى أنواع منها: الزاوية البسيطة وهي التي لم تبنَ على ضريح ولي، إنما تنسب إلى أحد الأولياء أو إلى طريقة صوفية، وتتكون الزاوية البسيطة من مجموعة أبنية متلازمة مثل: بيت الطلبة، وغرفة التدريس، والمكتبة، والمصلّى، وباقي المرافق، ومثل هذه الزوايا تتحوّل أحياناً إلى سوق إسبوعي، ثم قد تنمو حتى يصل حجمها إلى قرية صغيرة، وتكون الأراضي المحيطة بالزاوية موقوف عليها، وتوقّف عليها الكثير من الأموال والمواشي التي تستخدم في الإنفاق على طلبة العلم [3].

أما الزاوية الثانية: هي الزاوية ذات الولي، وتكون قد أنشئت حول ضريح ولي، أو مات بها رجل صالح، وهذه تكتسب عادة سمعة عظيمة ومن أجل ذلك يكثر زوّارها، وتتزايد إيراداتها، وسرعان ما تتحوّل إلى مركز عمراني كبير [4].

وقد طوّرت في المغرب هذه الزوايا إلى مدارس وكليّات، وذلك في زمن ملوك بني مرين خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ليسهموا في الحركة العلمية بجانب جامعة القرويين بفاس وغيرها [5].

وقامت الزوايا بدور كبير في الحث على طلب العلم، حيث كانت تدور فيها حلقات

---

(1) الجاوي، طه: الحياة الأدبية في ليبيا، معهد الدراسات العربية (القاهرة، 1382هـ/ 1962م) ص55.

(2) خشيم، علي فهمي: أحمد زروق والزروقية، دار مكتبة الفكر (طرابلس، 1395هـ/ 1975م) ص 51.

(3) الكعاك، عثمان: مراكز الثقافة في المغرب، معهد الدراسات العربية (القاهرة، بدون تاريخ) ص 53.

(4) عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 54.

(5) علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 487.

علمية لدراسة العلوم الشرعية واللغوية، وكانت متسعاً للمناقشات الحرّة بين العلماء [1].

لقد كانت الزاوية منارة للعلم ومدرسة لتربية أبناء المسلمين، تحثّهم على جهاد النفس، وعدم الركون إلى الدنيا، وملازمة الخلوة مع النفس ومحاسبتها، وترك الملّذات والشهوات، والمداومة على ذكر الله سبحانه وتعالى، فكان لهذا أن أصبحت معاهد علمية، خرج من أروقتها أفاضل العلماء والدعاة المسلمين [2].

إن المسجد والرباط والزاوية من أهم مراكز الدعوة الإسلامية التي كان يتخذها الدعاة أماكن ينطلقون منها لنشر الإسلام والدعوة الإسلامية، ومكاناً للوعظ والإرشاد، ومنتدى للاستفسار عن كثير من الأمور الدينية [3].

أشهر الدعاة المسلمين ودورهم في نشر الإسلام جنوب الصحراء الكبرى:

إن الاهتمام الأول للدعاة كان منصباً على الدعوة للّدين الحنيف، حيث قاموا بتثقيف وتعليم الناس بأمور دينهم ودنياهم، وشرح ما يستوجب شرحه لهم، وأنشأ بعضهم المدارس والمساجد، وكثيراً ما كانوا يختارون الطلاب المميّزين النجباء، لإرسالهم إلي المعاهد الإسلامية الشهيرة في المشرق العربي أو الشمال الأفريقي، لكي يتتلمذوا على أيدي علماء مكة والأزهر والقيروان والزيتونة وطرابلس وفاس ومكناس وغيرها من المراكز والمؤسسات الإسلامية الشهيرة، ويعودوا قادة للفكر في هذه البقاع، حيث يجدون تكريما باعتبارهم رجال علم وفقة في الدين والشريعة الإسلامية [4].

وهكذا توالت أجيال الدعاة جيلاً بعد جيل، يدرسون ويتعلمون في أهم المراكز العلمية الإسلامية، ثم يعودون إلي قبائلهم ونواحيهم فيتولّون وظائف القضاء والتعليم بل القيادة

---

(1) الخولي، عبدالبديع: الفكر التربوي والمؤسسات التعليمية بمصر في دولة المماليك البرجية (القاهرة، 1405هـ/ 1985م) ص 183.

(2) إسماعيل، محمد علي: دُور العلم في المشرق الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بتاريخ 2005م بجامعة قاريونس (بنغازي، 2005م) ص 49.

(3) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام، ص 486.

(4) عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص 105.

أيضاً [1]، ومن أشهر هؤلاء الإمام فخرالدين عثمان علي الزيلعي، شارح كتاب (الكنز) والمتوفى في مصر سنة 743هـ/ 1342م، حيث تعلّم في الأزهر وحاور وبرز في ميدان العلم، والمحدّث الزيلعي جمال الدين عبدالله بن يوسف الحنفي صاحب كتاب «نصر الرّاية لأحاديث الهداية» المتوفي سنة 762هـ/ 1361م والعارف بالله الشيخ علي الجبرتي الذي أعتقد السلطان قايتباي من ولايته وصلاحه وغيرهم كثيرون[2].

ومن أهم الدعاة الذين نشروا الإسلام جنوب الصحراء الكبرى، الدعاة المسلمون الذين عملوا في مناجم الذهب والأحجار الكريمة ببلاد البجة، حيث كان بداية إسلام البجة على أيد هؤلاء المسلمين، وفي أعقاب عام (216هـ/ 831 م) يمكن القول باعتناق البجة الإسلام، وشيّدت المساجد الصغيرة في «هاجر» عاصمة (الناقس) وفي صنجات وهما من مسالك البجة[3].

وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، رحل رجل إسمه الشيخ أبادير إلى مدينة هرر بالحبشة، ونشر الإسلام بين أهلها، ومنذ ذلك الحين أصبحت هذا المدينة مركزاً لنشر الإسلام والدعوة الإسلامية[4].

والشيخ عبدالله بن ياسين الجزولي (م: سنة451 هـ/ 1059م) الذي نشر الإسلام بين البربر في الصحراء، والتكرور في السنغال والسوننك في غانة والذي قامت على يديه دولة المرابطين، وهناك داعية آخر قام بنشاط كبير في حوض نهر النيجر الأعلى وهو أبو القاسم علي بن يخلف، الذي أسلم على يديه ملك مالي، والذي اتخذ لقب المسلماني (أي الذي أسلم) بعد إسلامه في القرن الحادي عشر للميلاد، وإذا اتجهنا شرقاً إلي بلاد حوض بحيرة تشاد، حيث دولة الكانم والبرنو نجد داعية عظيما هو الشيخ محمد ابن ماني الذي أسلم على يديه ملوك هذه البلاد في القرن الحادي عشر للميلاد[5]، وكان هذا الداعية معمراً فقد عاش 120 سنة، وعاصر خمسة من مايات برنو، أولهم: الماي (بولو) الذي كان يحكم حوالي عام 1020م،

(1) حسن عبدالظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا، ص 86.

(2) رجب عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص 25.

(3) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص39.

(4) المرجع نفسه، ص 39.

(5) رجب عبد الحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 11.

وآخرهم الملك (أمو)، وقرأ القرآن على ملوك برنو وبمساعدة الماي (أوم) قام بنشر الإسلام وتوفي الماي (أوم) في مصر حين كان في طريقه إلى الحج، وازداد عدد الداخلين في الإسلام بما لمسه هؤلاء من تمسك المايات بالإسلام والدعاية له بشتى الوسائل [1]، وعمل مايات برنو على استبدال ألقابهم بأسماء إسلامية، لأنهم شعروا بالخجل من الأسماء والألقاب الوثنية ومن هذه الأسماء: جيل أوكل صار عبد الجليل، ودونمة أصبح محمد أو إدريس، وبيري استبدل باسم عثمان، وكاد أو خاط صار عبد القادر، ودارمان استبدل بإسم عبدالرحمن وبيكو صار أبوبكر أو بكر[2]، يقول القلقشندي عنهم: «والعدل قائم في بلادهم، ويتمذهبون بمذهب الإمام مالك (رضي الله عنه) وهم يابسون في الدين»[3].

ويذكر المقريزي عن رحيل الشيخ أبي عبد الله محمد إلي الحبشة و الزيلع في عام (698هـ/ 1298م) لدعوة أهلها إلي الإسلام، فوحد صفوفهم وتزعمهم لدفع تعدي الأحباش عليهم [4].

وقام علماء مالي وفقهاؤها المسلمون بالدعوة للإسلام، واشتهرت في ذلك بعض القبائل، حيث اشتهرت بحماسها لنشر الإسلام، ومن أهمها فرعان من الماندجو هما: الديولا والسوننك، حتى إن كلمة سوننك صارت مرادفة لكلمة داعية، وإلى جهود مالي (دولة وشعباً) يرجع الفضل في نشر الإسلام في بلاد الهوسا منذ حوالي القرن الثالث عشر الميلادي، ففي دولة كاتسنا من بلاد الهوسا، كان إسلام (الساركن محمد كورا) الذي ولي عرش كاتسنا عام 1300م على أيدي علماء مالي، وبعهد هذا الساركن يبدأ حكم الملوك المسلمين في كاتسنا، وفي عهد الساركن ياجي بن تسامبا (750 -787هـ/ 1349-1385م) في كانو أهم دول الهوسا، وفد على بلاد الهوسا عدد من العلماء المسلمين من مالي على رأسهم عبدالرحمن زيت، فرحب بهم وأكرمهم وأمروه بالمحافظة على أوقات الصلاة، واتخذ منهم إماماً له ومؤذنا ومشرفاً على الذبائح، وعهد بالقضاء لعبدالرحمن زيت [5].

---

(1) إبراهيم طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص 68 - 69.

(2) المرجع نفسه، ص 86.

(3) القلقشندي: صبح الأعشي، 5/ 281.

(4) المقريزي: السلوك، 1/ 116.

(5) حسن عبد الظاهر، المرجع السابق، ص130-131.

وبفضل علماء مالي استقامت كانو وانتصر ملكها علي الوثنيين ويقال: إن علماء مالي حاربوا معه الوثنين، واستجاب الله دعاءهم، وهؤلاء العلماء الذين كانوا يقدمون من مالي إلى بلاد الهوسا كانوا يحملون معهم الكتب الإسلامية في شتى المعارف [1].

كذلك دخل الإسلام كثيراً من النوبيين وأهالي السودان النيلي ودارفور علي يد دعاة وفدوا من مصر واليمن والحجاز من أمثال الشيخ محمد القناوي الأزهري من مصر، وتلقف منهم الدعوة وأذاعها سودانيون من أمثال الشيخ محمود العركي [2]، والشيخ صغيرون محمد بن سرحان العدوي [3]، ومن اليمن عبر الشيخ غلام الله بن عائذ اليمني البحر الأحمر واستقر في دنقلة حيث شيّد المساجد، وقام بتحفيظ القرآن وتفسيره، وتلقين العلوم الإسلامية، والمعروف أن استقرار غلام الله في دنقلة كان في النصف الثاني من القرن الرابع عشر [4].

وتمكّن أحد الدعاة المسلمين وهو(الشيخ إبراهيم أبو زرباي من التوغّل نحو الهضبة الحبشية حوالي سنة 834هـ/ 1430م) من إقناع الكثير من الناس باعتناق الإسلام، وتشرّب مبادئه، ومات في منطقة هرر، ولا يزال ضريحه موضع كل تبجيل وتوقير [5].

وفي منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وفد داع يقال له أبو دنانة قال انه من سلالة النبي (ﷺ) وكان متزوجاً من ابنة العالم الجزولي الذي قام بالدعوة إلى طريقته في المغرب، وكانت دعوة أبو دنانة في السودان حوالي عام 1445م [6].

وفي القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر الميلادي، وفد على بلاد الصومال والحبشة

---

(1) حسن عبد الظاهر، المرجع السابق، ص131.

(2) محمود العركي: تلقى علومه في مصر وتتلمذ لناصر الدين اللقاني وأخيه شمس الدين، ولما عاد إلى وطنه أسس سبع عشرة مدرسة لتفقيه الناس، وشيّد رباطاً لطريقته، ومنذ ذلك الحين أصبحت منطقة النيل الأبيض ملتقى للدراسات الإسلامية. مسعد، مصطفى: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى (القاهرة، 1380هـ/1960م) ص 212.

(3) رجب عبد الحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 12.

(4) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 22.

(5) عبد المولى الحرير: الإسلام وأثره على التطورات السياسية في أفريقيا، ص 109.

(6) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص 22.

جماعة من حضرموت، مكوّنة من أربعة وأربعين داعياً عربياً، نزلوا في ميناء بربرة الصومالي في خليج بربرة، ومنها انتشروا في بلاد الصومال يدعون الناس إلى الإسلام [1].

ونجد داعية إسلاميا كبيراً هو الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي (م سنة: 909هـ/ 1503م) الذي نشر الإسلام في بلاد الهوسا [2]. هؤلاء قليل من كثير من الدعاة المسلمين الذين وهبوا حياتهم للإسلام ونشره بين الشعوب والقبائل الأفريقية، وسأتكلم عن أشهر الدعاة الذين كان لهم دور كبير في نشر الإسلام، وقيادة الدعوة، والنهضة الإسلامية جنوب الصحراء، وهم الشيخ عبدالله بن ياسين ودوره في نشر الإسلام بين بربر الصحراء، والتكرور والسوننك في السنغال وغانة، والشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي في بلاد الهوسا، والشيخ أحمد الجراني وجهاده ضد الحبشة.

1- الشيخ عبدالله بن ياسين الجزولي:

هو عبدالله بن ياسين بن مكوك بن سير الجزولي من أحواز أودغست في صحراء غانة، كان فقيهاً عالماً من أئمة الفقه في المغرب، مؤهلاً بالعلم والخلق والغيرة على الدين، سعى في طلب العلم منذ صغره حتى عدّ من أذكياء الطلاّب، درس على أستاذه وشيخه واجاج بن زلّوا اللمطي، فقيه المغرب الأقصى، ورحل إلى الأندلس طالباً للعلم حتى بلغ درجة التدريس، جمع إلى فقه المغرب علم الأندلس، وهو وإن لم يدّون علمه في كتاب، فقد دوّنه في عقول ونفوسٍ تلقّته وترجمته حياةً علميةً [3].

تمتّع ابن ياسين بقوة النفس والحزم وكان ذا رأي وخبرة وتدبير حسن وملكات واعية، وقدرة على الحركة والبناء والتأثير في التلاميذ والجماهير معاً، وتطويعهم للدين والالتزام بآدابه، حتى لقّب بإمام أهل الحق، واشتهر من تلاميذه يوسف بن تاشفين وعلي بن تاشفين وغيرهما، ممن كانوا ملوكاً أشبه بالأئمة بفضل التقاليد التي خلقها فيهم [4].

أما بداية دعوته وحركته الدينية، فتعود إلى سنة (427هـ/ 1035م) عندما خرج يحيى بن

---

(1) رجب عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص 27.

(2) المرجع نفسه، ص 28.

(3) حسن عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 104.

(4) المرجع نفسه، ص 104 – 105.

إبراهيم الجدالي (شيخ قبيلة صنهاجة البربرية المنتشرة في المغرب الأقصى والأوسط والصحاري الواقعة جنوبها)، متجهاً إلى مكة لأداء فريضة الحج، واجتاز في إيّابه على مدينة القيروان، فحضر مجلس الفقيه المدّرس أبي عمران الفاسي، فسأله عن قبيلته ووطنه، فذكر له: أنه من الصحراء من قبيلة جدالة، فقال له: «ما مذهبكم ؟ فقال له، ما لنا علم من العلوم، ولا مذهب من المذاهب، لأننا في الصحراء منقطعين لا يصل إلينا إلا بعض التجار الجهّال حرفتهم الاشتغال بالبيع والشراء ولا علم عندهم»[1].

فأرسل معه الشيخ أبو عمران الفاسي كتاباً إلى فقيهٍ في سجلماسة من قبائل الجنوب يدعى واجّاج بن زلّوا اللمطي، ليرشّح له فقيهاً يصحبه، وكان هذا المرشّح تلميذه عبدالله بن ياسين، وعادت رحلة الحج إلى ديار الملثمين[2] في مركز لمتونة (أزكي) بالفقيه المصلح، والأمير الصالح معاً (حوالي سنة 430هـ/ 1038م)، ليقوم الفقيه بتعليم أهالي الصحراء أمور دينهم، وقد بالغت قبائل لمتونة في الاحتفاء بالشيخ عبد الله بن ياسين لفترة من الزمن [3].

اتّجه ابن ياسين أولاً إلى تعليم طلاّبه بالعربية، وقام بالتعليم كذلك في الصحراء أثناء إرشاده، ولم يكن تعليمه مجرّد سرد مسائل ونقلها إلى أذهان مستمعيه، بل مزجها بروح التوجّه إلى إصلاح المجتمع من حوله، فنشطت بذلك روح الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، حتى امتد أثره إلى الحياة الخاصة والعامة، وكان المجتمع آنذاك تسود فيه بعض عادات وانحرافات تبعد به عن الإسلام، فأصلح من فقه الناس وبصّرهم بشؤون دينهم، وغيّر كثيراً من عاداتهم، وحارب أهل الانحراف من كل طبقة في مجتمعه [4].

(1) ابن خلدون: العبر، 6/ 373.

(2) عرفت هذه القبائل باسم الملثمين اشتقاقاً من اللثام الذي كانوا يرتدونه، وهو عبارة عن قطعة من قماش طويلة يلف بها الرأس وتغطي الوجه حتى لا يظهر منه سوى العينين، وتوجد العديد من الروايات التي تبرّز سبب ارتدائهم للثام، إلا أن طبيعة الصحراء ربما تكون هي العامل الأول في دفعهم لارتداء اللثام دفعاً لقيظ الشمس، والزوابع الرملية. ملحس، ثريا عبدالفتاح: المرابطون الملتونيون، الشركة العامة للكتاب (بيروت، 1408هـ/ 1988م) ص 8.

(3) ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب (تونس، 1403هـ/ 1983م) 4/ 8.

(4) حسن عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 105.

لكن السياسة الحازمة التي اتبعها ابن ياسين، وإصراره على تنفيذ إصلاحاته بشدّة، جعلت كثيراً من النّاس ينفضّون من حوله وينشقّون عنه، خصوصاً من أبناء قبيلة جدالة، وكان لوجود يحيى بن إبراهيم، دور هام في استجابة الناس لدعوة بن ياسين، لكن بمجرّد وفاته ثار الناس على ابن ياسين وظهر رجل يدعى (الجوهر بن سيكوم) الذي حرم بن ياسين من حقّ إصدار الفتاوى الشرعية، يسانده في ذلك أهل الانحراف وبعض العلماء الذين أصابتهم الغيرة من ابن ياسين [1].

فخرج ابن ياسين قاصداً بلاد السودان حيث يمكنه أن يؤدي رسالته بين أقوام أقل ضرّ واة من اللمتونيين والصناهجة، وأبى رئيس صنهاجة إلاّ أن يرافقه، ورحل معهما أبوبكر بن عمر شقيق يحيى بن عمر، فنأوا عن الناس في ربوة يحيط بها الماء من جهاتها فدخلوا في غياضها بحجة الانقطاع للعبادة [2].

واستقر في جزيرة نائية في الحوض الأدنى من نهر السنغال، وموقع هذا الرباط يدل على المهمة التي أعدّ لها، فهو يقع على تخوم بلاد الإسلام مع مملكة غانا الوثنية [3]، لذلك كان هذا الرباط مهدداً دائماً، ولابد للجماعة المقيمة فيه من الجهاد، وبدأت المرابطة في الجزيرة (سنة 433هـ/ 1040م) بسبعة أشخاص عاشوا حياة الزهد والتصوّف والمرابطة، ومن هنا اتخذ اتباعه لقب المرابطين، وهو لقب أطلقه الشيخ عبدالله على من لزم رباطه، واتخذوا من القرآن الكريم دستوراً لهم [4]. وبمرور الوقت بدأ عددهم يكثر حتى اجتمع على ابن ياسين من تلاميذه نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة، فسمّاهم المرابطين [5]، وكان بن ياسين ينتقي من الرجال أطهرهم نفساً وأوفرهم قوّة، وأقدرهم على تحمّل المشاق، وكان يتولّى تثقيفهم، ويعلّمهم قراءة القرآن وتفسيره، والسنة النبوية وأحكام الدين [6].

---

(1) شوقي الجمل، وعبد الله عبد الرازق: تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة، 1418هـ/ 1998م) ص 12.

(2) السيد سالم: المغرب الكبير «العصر الإسلامي»، دار النهضة (بيروت، 1401هـ/ 1981م) 2/ 693.

(3) شوقي الجمل: تاريخ غرب أفريقيا، ص 11.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 9/ 620.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 80.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق، 4/ 16.

واستحدث أهل الرباط نظاماً من التربية الجندية الخشنة، يحمل في طيّاته عنصر الدفاع عن النفس، وتكوين قوة مجاهدة للعمل في محيط الدعوة وسبل إصلاحها، ولتحقيق هذه التربية، كان أسلوب العمل والحياة لبلوغها يسير على نمط فريد ودقيق، فكان القبول فيه يتم بعد اختيار وامتحان للتأكد من استعداد الراغب لقبول نظامه، وتقوم الحياة فيه على الاكتفاء الذاتي في ضرورات الحياة، مع التعاون التام لتحقيق هذا الاكتفاء في إطار من الحياة الإسلامية المثالية، وعلى أساس من التقشّف والعبادة والتعليم، والالتزام بالتعاليم والحزم الصارم في أدائها، فكانت الصلوات تؤدئ في جماعة، ومن فاتته ركعة ضرب خمساً ومن تخلّف ضرب عشرين، وعدّوا رفع الصوت في المسجد مخالفة، وأُلزموا بقضاء الفوائت السابقة [1].

هذا داخل الرباط، أما خارج الرباط فكانوا يبعثون منهم بعوثاً إلى القبائل لترغيب الناس في دعوتهم، وأيضاً لجمع الزكاة ممّن رغب في أدائها طوعاً، حيث قال بن ياسين لتلاميذه: «اخرجوا على بركة الله، وأنذروا قومكم، وخوّفوهم عقاب الله، وأبلغوهم حجّته، فإن تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عمّا هم عليه، فخلّوا سبيلهم، وإن أبوا ذلك وتمادوا في غيّهم ولجّوا في طغيانهم، استعنّا بالله تعالى عليهم، وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا»[2].

لقد استطاع عبد الله ابن ياسين إعداد جيل جديد قادر على حمل الدعوة، فشرع يعدّهم للحرب، ويذكي في نفوسهم مبادئ الدين، وخلق فيهم وعياً جديداً، وكوّن منهم طبقة فدائية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقضاء على البدع وكل المفاسد الدنيويّة، فزاد عدد أتباعه وكثر الناس من حوله، وأحسّ بهذه الروح الجديدة القادرة على التصدّي للمسئولية الشاقة [3]، والمتأهبة للتضحية والدفاع عن العقيدة وصد غارات الأعداء، ولما استوثق من ثبات مركزه وتوحيد صفوف قبائل الملثمين، بدأ غزواته لإخضاع قبائل المغرب وإماراته [4]، فخرجت حركة المرابطين بعد انكماشها لفترة، في عام 1042م، وبدأ عبدالله تحت قيادة يحيى بن عمر يبحث عن ضم قبائل صنهاجة في الصحراء الجنوبية لحركته، وفعلاً انضمت

(1) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 106 – 107.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 16.

(3) شوقي الجمل: تاريخ غرب أفريقيا، ص 11.

(4) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 8.

إليه العناصر الرئيسية من لمتونة وجدالة ومسوفة، وقدم إليه المريدون من كل صوب [1].

والذي نحن بصدده هو دور عبد الله ابن ياسين في الدعوة الإسلامية جنوب الصحراء، لذلك سأتكلم عن دور حركة ابن ياسين المتمثلة في المرابطين ودورهم في نشر الإسلام أو إذا صح التعبير دعم الدعوة الإسلامية في تلك الجهات، لأن الإسلام كان قد انتشر على يد التجار والدعاة، كما ذكرت في موضعه سابقاً – جنوب الصحراء الكبرى، حيث إن بعض المؤرخين كما يذكر الدكتور عبدالرحمن زكي، بالغوا في وصف الجهد الذي قام به المرابطون في نشر الإسلام بين أهل السودان الغربي، وقالوا: إنه بفضلهم وحدهم تم دخول الإسلام، وفاتهم أن الإسلام تسرب في هدوء بصحبة تجار قوافل الصحراء من الشمال إلى الجنوب، وقبل المرابطين، وكان هؤلاء التجار يُمنحون كامل الحرّية في مزاولة تجارتهم، وتأدية فروضهم وواجباتهم الدينية، بل والدعوة إلى دينهم في حرّية مطلقة، ومما يؤيّد هذا، وجود مدن إسلامية، وأحياء يسكنها المسلمون في المدن الوثنية كما أشار العديد من المؤرخين ومن بينهم البكري، والواقع أن المرابطين عملوا على الإسراع في مهمّة تحويل الزنوج إلى الإسلام بدلاً من سيرها ببطء تدريجي [2].

جهاد المرابطين في بلاد السودان الغربي:

أسس ابن ياسين حركته في الطرف الغربي من الصحراء الكبرى معتمداً على الدور الفاعل لثلاث قبائل هي: جدالة ولمتونة ومسوفة بقيادته وقيادة إبراهيم الجدالي سنة (427هـ/ 1035م) وكان هدفهم نشر الإسلام بالدرجة الأولى، ومن ثم وجّه حركة الجهاد إلى بلاد السودان الغربي [3]، الذي كان تحت سيطرة إمبراطورية غانة الوثنية، ويذكر ياقوت أن غانة تقع جنوب بلاد المغرب حيث يقول: «وغانة كلمة أعجمية لا أعرف لها مشاركاً من العربية، وهي مدينة كبيرة، في جنوبي بلاد المغرب متّصلة ببلاد السودان» [4] فهي تقع إلى الجنوب من منازل القبائل المغربية [5].

---

(1) شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 12.

(2) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، ص 10 – 11.

(3) السلاوي: الاستقصا، 2/ 5.

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3/ 770.

(5) شوقي الجمل: المرجع السابق، ص 65.

وكانت جهة السودان هدفاً أساسياً مقدّماً على غيره في نظر بن ياسين ومرابطيه، ونشبت الحرب بين الملثمين المرابطين، وبين ممالك السودان المتمثلة في غانة، وانتصر المرابطون في أوّل ميادينها، وحرّروا مدينة (أودغست) من سلطان أهل الوثنية، وضمّوها إليهم سنة (447هـ/ 1055م) [1]، وكان لذلك صداه البعيد، الذي رفع من شأن المرابطين وأعطاهم في نظر المجتمع صورة القوّة القادرة على حماية وطن الإسلام، فازداد الناس تجمّعاً حولهم، ودخلت بلاد التكرور في حلفهم، وفرضت السلم على غانة نفسها، وأدّى هذا الكسب إلى جذب الناس إليهم، وصارا المجال مهيأً للقيام بتوحيد صفوف الجبهة الإسلامية في تلك المنطقة بتجميع قبائل البربر تحت راية واحدة، وتوجيه قوّة عصبيّتهم لنصرة الإسلام [2].

ثم فتح المرابطون درعة وأغمات، وفي خضم هذه الانتصارات استشهد يحيى بن عمر في إحدى المعارك ضدّ إحدى القبائل المتمرّدة في بلاد السودان الغربي في معركة (بتغريلة)، فعيّن ابن ياسين (سنة 448هـ/ 1056م) [3] أخاه أبوبكر بن عمر اللمتوني (م: سنة 480هـم1087م) [4] الذي سرعان ما اختار ابن عمّه يوسف بن تاشفين قائداً لمقدّمة جيشه وكان ذلك على إثر ما أظهره يوسف من ضروب الشجاعة، وإحكام التدبير في المعارك القبلية [5].

واصل بن ياسين مسيرته لتوحيد اتجاه الفكر الإسلامي في المنطقة، والقضاء على التنازع ومظاهر الابتداع والتحلّل، وخاصة قبيلة برغواطة التي كانت غارقة في البدعة منذ زمن طويل [6]، فبرغواطة هذه كما يذكر ابن أبي زرع جماعات من البربر من عدّة قبائل كانوا يسكنون ساحل تامسنا، لا دين لهم، وهم بالمجوسية اشبه، فادّعى فيهم النبوة (صالح بن طريف) على أيام هشام بن عبدالملك سنة (125هـ/ 742م)، وأصل صالح من برناط، وهو

---

(1) السلاوي، المصدر السابق، 2/ 5.

(2) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 108.

(3) ابن خلدون: العبر، 6/ 183.

(4) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غنة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (القاهرة، 1390هـ/ 1970م) ص 52.

(5) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، ص 8.

(6) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 108.

حصن من أعمال شذونة من أعمال الأندلس، وكان يقال لمن يدخل في ديانته برناطي ثم حوّلته العرب إلى برغاطي فسموا برغواطة، وهو يهودي الأصل، اشتغل بالسحر، وأخذ عن عبيد الله المعتزلي في الشرق، ثم رجع إلى المغرب وادعى النبوّة، وشرع لهم ديناً من تلقاء نفسه، وقال لهم أنا صالح المؤمنين الذي ذكره الله في القرآن، وشرع لهم صيام رجب وإفطار رمضان، وجعل الضحية في الواحد والعشرين من المحرّم، وشرع لهم في الوضوء غسل السرّة والخاصرة، وأباح لهم أن يتزوّج الرجل من النساء ما شاء، وفرض عليهم عشر صلوات خمساً في الليل وخمساً في النهار، وجاءهم بقرآن فيه ثمانون سورة منها سورة إبليس والحجل، وأمرهم ألاّ يغتسلوا من جنابة، وكان رئيسهم في سنة (451هـ/ 1059م) أبا حفص عبدالله بن أبي الأنصاري[1]، وأمام هذا الضلال والغرق في الغيّ والفجور لم يرض بن ياسين الذي أخذ على عاتقه الجهاد منذ أن خرج مع الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي، فأعلن الحرب عليهم، وبعد حروب طاحنة تمكّن المرابطون من القضاء على برغواطة، ولكن بعد أن دفعوا ثمن ذلك دم رئيسهم وقطبهم الروحي عبدالله بن ياسين إمام الحق (سنة451هـ/ 1059م)[2].

لم يُوقِف أتباع بن ياسين جهادهم بعد استشهاده، بل أعدّ أبا بكر بن عمر جيشاً كبيراً، وكان يؤازره في ذلك قبائل الفلانة الذين زحفوا معه نحو دولة غانة، وتم لهم فتح عاصمتها كومبي صالح (سنة 468هـ/ 1076م)[3] وعيّنوا عليها حاكماً مسلماً، غير أن انتصاراتهم هذه على غانة لم تعمّر طويلاً، فموت أبي بكر (عام 480هـ/ 1087م) واختلاف اتباعه فيمن يحكم بعده، وانشغالهم بأمور المغرب الأقصى، جعلت المرابطين يتخلّون عن العمل الكبير الذي قاموا به وراء الصحراء[4].

إن استشهاد ابن ياسين لم يوقف حركة التوسّع الإسلامي في غرب أفريقيا، إذ تمكّن أنصاره من دخول عاصمة مملكة غانة وأسلم عدد كبير من سكان تلك العاصمة، وأقبلت العديد من قبائل التكرور، والساراكولا على رفع راية الجهاد في وادي النيجر، ومن الظواهر

---

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 226.

(2) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، ص 52.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، 6/ 183.

(4) إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص 52 – 53.

الإيجابية لحركة ابن ياسين نشوء مدينتين إسلاميتين، هما تنبكت وجني، اللّتين لعبتا دوراً رئيسياً في حركة التجارة وانتشار الإسلام في غرب أفريقيا، ولم ينته منتصف القرن الثالث عشر حتى عم الإسلام بلاد السنغال والنيجر، وانطوت أمامه كل مظاهر الوثنية في الطرف الغربي من القارة الأفريقية [1]. لقد فتحت تلك الدعوة لدولة الإسلام صفحات في السودان، وتمكّن من الذيوع والغلبة، فبدأ بطبقة الرؤساء والتجار، يحيط بهم طبقة من الدعاة والعلماء، ثم أخذ ينتشر بعد ذلك بين العامة، وانتهت تلك المرحلة في جبهة الداخل بأن يعتنق الإسلام بصورة نهائية بربر الصحراء من الجداليين واللمتونيين، وانتصر المذهب المالكي على مذهب الخوارج، وقامت مراكش عاصمة الإسلام في الشمال، وأقيمت تنبكت عاصمة له في أرض السودان[2].

واستمر الإسلام ينتشر عن طريق الوسائل السلمية، وكان لقبائل السونكي في غانة الفضل الأكبر في الدعوة للإسلام وقبوله بين سكان الساحل الغربي الأفريقي، وكان لاتصالهم التجاري برجال مالي الفضل في إيصال الإسلام إلى منطقة الغابات الكثيفة عند خط الاستواء، وفي خلال خمسين سنة عقب وفاة ابن ياسين كان التجار المسلمون قد وصلوا إلى جنوب منطقة السفانة السودانية وعلى وشك اختراقهم الغابات [3].

وكرّست مالي جهودها الاقتصادية بحكم سيطرتها على تجارة الصحراء لخدمة الإسلام وتوسيع حدوده الجغرافية في أعماق القارة، فوجد الإسلام طريقه إلى شعوب السيراليون وساحل العاج وساحل الذهب، وغيرها من المناطق الأفريقية النائية [4].

ويمكن القول إن المرابطين عملوا على الإسراع في مهمّة تحويل الزنوج إلى الإسلام، وبعد سقوط غانة تسلّمت راية الإسلام دولة مالي الإسلامية التي سرعان ما أصبحت أعظم الدول الزنجية في غرب أفريقيا [5]

(1) عبد المولى الحرير: الإسلام وأثره على التطورات السياسية، ص 112 – 113.
(2) حسن عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 110.
(3) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، ص 11.
(4) عبد المولى الحرير، المرجع السابق، ص 113.
(5) عبدالرحمن زكي، المرجع السابق، ص 11.

2- الإمام محمد المغيلي:

هو محمد بن عبدالكريم بن محمد المغيلي التلمساني من قبيلة مغيلة، التي تقطن نواحي تلمسان في بلاد المغرب، تربّى فترة شبابه في توات في الصحراء، وقضى شبابه في دراسة مبادئ القرآن الكريم وحفظه، وواظب على الدروس والتحصيل، حتى أصبح من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان، ووُصف بأنه خاتم الأئمة المحققين، والعالم العلامة، والقدوة الصالح [1].

أخذ عن الإمام عبدالرحمن الثعالبي وغيره، وأخذ عنه جماعة كالعاقب الأنصمني، ومحمد عبدالجبار الفججي، وعمر الشيخ الكنتي وغيرهم [2].

أنكر على الحكام المسلمين خروجهم على التقاليد الإسلامية في حكم رعاياهم، وهو سبب خروجه من تلمسان إلى توات ومنها إلى بلاد السودان [3]، ولم تر بلاد السودان مثله في العلم والفضل، كانت له مكانته في حياته وآثاره قائمة بعد مماته، وكان العلامة السنّي والقدوة الصالحة الراعية، ترأس الحركة الإسلامية في بلاد السودان خاصة بلاد الهوسا وصنغي وكان له دور في نشر وتدعيم المفاهيم الإسلامية، والدعوة إليها، وتوجيه الحكام للعمل بها، و طبع المجتمع بطابع إسلامي [4].

امتاز المغيلي بالذكاء والفهم، حيث جاب أرجاء البلاد ينشر العلم ويدعو إلى الله ويجاهد بلسانه وقلمه، ويبصّر الأمة بدينها شعباً وحكاماً، كان غيوراً على الإصلاح شغوفاً بالسنة ومدافعاً عنها، ومبغضاً لأعداء الدين، فصيح اللسان جدالياً نظاراً محققاً، ألّف كثيراً من الكتب أضاءت الحياة العلمية في قلب السودان، وكان لها أثرها على الأمة في عهده وفي الأجيال من بعده، إذ كانت مدرسة تربّت عليها، ومن تآليفه: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، مغني النبيل في شرح مختصر خليل، وإكليل مغني النبيل، وشرح بيوع الآجال من ابن الحاجب، ومختصر تفسير المفتاح، ومفتاح النظر في علم الحديث، وشرح جمل الخونجي،

(1) مطير غيث: الثقافة الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، ص 267.

(2) حسن عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 145.

(3) مطير غيث، المرجع السابق، ص 267.

(4) حسن عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 145 – 146.

ومقدمة في المنطق، ورجز في المنطق وثلاثة شروح عليه، وتنبيه الغافلين على مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين، ومقدمة في العربية، وكتاب الفتح المبين، وشرح خطبة المختصر، والبدر المنير في علوم التفسير، ورسالة ألفها لسلطان كانو أبي عبدالله محمد بن يعقوب، وكتاب المسائل الذي ألفه لأمير المؤمنين الحاج أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بالأسكيا ولكن كثيراً من مؤلفاته مفقود أو منسي، وتدل مؤلفاته التي كتبها للحكام في صنغي وفي بلاد الهوسا، على مدى علمه فقهياً، ومدى غيرته مُصلحاً، ومدى أثره إماماً وداعية، وكان له جهاده في توجيه المجتمع السوداني في عهده [1].

وصل الإمام المغيلي أول الأمر إلى تكدّا، واجتمع بصاحبها وأقرأ أهلها وانتفعوا به، ثم بنى مسجداً في مدينة أغادس، كما صار مستشاراً سياسياً وفقيهاً لأميرها، ثم اتجه جنوباً مخترقاً مدينتي مرادى وزندر، جنوب شرق النيجر الحالية، ووصل شمال دولة نيجيريا الحالية، حيث استقر لبعض الوقت بكل من كنووكشنه من بلاد السودان، واجتمع بصاحب كنورا فاستفاد منه، وكتب له رسالة في السلطنة يحضّه على إتباع الشرع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقرّ لهم أحكام الشرع وقواعده، ثم أقام في بلاد الهوسا، وقام بدور هام في حياتها السياسية والثقافية والاجتماعية، ثم توجّه صوب مدينة جاو عاصمة مملكة صنغي آنذاك، التي تعيش ازدهاراً في حكم ملوكها الأسكيين في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي [2].

وقد أرسل إليه الأسكيا الحاج محمد العديد من الأسئلة الدينية يطلب منه الإجابة عليها، فأجابه على أسئلته في (كتاب المسائل)[3] الذي ألّفه له، ويمكن للدّارس لمحتويات هذه الأسئلة أن يرى مدى تمسّك أسكيا محمد ملك صنغي وحرصه على الاستمرار في سَيره على منهاج الحكم الإسلامي الواضح، فأجابه الإمام المغيلي، إجابة تتسم بالشجاعة وكلمة الحق، وما يتعلق بجهاد الكفّار وأنصارهم من العلماء والعوام، وبيان الفرق بين علماء السوء، وحكم قتال المسلمين الذين لم يدخلوا تحت بيعة أحد من الأمراء، وحكم قتال المحاربين من

---

(1) حسن عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 146.

(2) مطير غيث، المرجع السابق، ص 268 – 269.

(3) هذه المخطوطة حققها الدكتور الجزائري، عبد القادر زبادية، ضمن سلسلة ذخائر المغرب العربي، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع (الجزائر، 1394هـ/ 1974م).

المسلمين ظلماً وعدواناً، وبيان ما يجب على أمراء الإسلام من إقامة شعائر الإسلام، وإصلاح البلاد، وأنّ المُلك لله تعالى وحده وأن الله رفع أسكيا على كثير من عباده لكي يصلح لهم دينهم ودنياهم، لا ليكون سيّدهم ومولاهم [1].

وذكّر المغيلي الأسكيا بأن يسأل أهل الذكر عن كل ما لا يعلم حكمه من تصرّفاته كلّها، حتى يحكم بما أنزل الله في كل ما حمله منها، ويضيف أن من أعظم الواجبات على أمراء المسلمين حفظ الدين، بعدم ترك أي شخص يتحدّث في دين الله تعالى تعليماً أو حكماً أو فتوى ما لم يكن من أهل العلم والتقوى [2].

وكان للمغيلي دور هام في نشر ودعم مفاهيم الإسلام في بلاد الهوسا، ورسائله التي وجّهها إلى أبي عبدالله محمد بن يعقوب سلطان كانو، دليل على ما كان له من بصيرة نافذة، وجرأة في مواجهة أي انحراف وباطل والتصّدي له بالإصلاح، كما كانت له مواقفه في توات حيث ملتقى التجارة وقوافل الصحراء، ومنها فتواه في موالاة الكفار وحمايتهم، وأن كلّ من يحمي يهودياً أو نصرانياً أو يحاميه على شيء من تعدّي حدود الشرعية يكفر بما ظهر عليه من الموالاة، وقد بلغ من حقد اليهود عليه أنّهم قتلوا له ابناً في توات [3]، ويظهر حقدهم عليه في كتاباتهم حديثاً حين يكتبون عن أفريقيا، وكانت فتواه لدرء المفاسد المتفشية في البلاد والتي كان لليهود دورٌ ويدٌ فيها، وفي إثارة الاضطرابات الاقتصادية في توات وغيرها من الواحات، مما اضطّر بالأسكيا الحاج محمد إلى طرد اليهود من تنبكت وإغلاقها في وجوه تجارهم ومنع شعبه من معاملاتهم [4].

لقد كان الإمام المغيلي من الدعاة والعلماء المحافظين على سلامة العقيدة والمجتمع، وكان له تأثير كبير حتى في المناطق الوثنية، وكان اهتمامه موجهاً للحكّام وتوجيههم وتطبيعهم بالطابع الإسلامي، ودرء الكفر والمفاسد، وتوفي الإمام المغيلي في توات عن عمر

(1) فاي علي: أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغاي الإسلامية، ص 98 – 100.

(2) المرجع السابق، ص 101.

(3) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 148.

(4) بوفيل: تجارة الذهب، ص 142 – 143.

يناهز المائة سنة (909هـ/ 1503م) [1] بعد أن نشر ودعا للإسلام في بلاد الهوسا صنغي، ثم أتى بعده بعدة قرون داعية كبير من شعب الفولاني، هو الشيخ عثمان دان فوديو الذي أتم حركة نشر الإسلام في هذه البلاد، وخاصة نيجيريا والكاميرون [2].

3- الإمام أحمد الجراني:

هو الإمام أحمد بن إبراهيم الملقب (بالأشول أو الأعسر) ويطلق عليه (أحمد قران Gran) وهو الذي قاد المسلمين، وبسط نفوذهم في الحبشة (1506-1543م) [3].

تلّقى مبادئ العلوم الإسلامية على يد شيوخ هرر وعلمائها، ثم ارتحل في صباه إلى زيلع مع والدته وأخواله، وفيها سمع الكثير من أحوال المسلمين خارج وداخل الصومال، ودرس كتب السيرة والتفسير، وحفظ القرآن وكثيراً من أحاديث الرسول (ﷺ) ثم عاد إلى هرر التي كانت تعتبر مركزاً هاماً من مراكز الثقافة الإسلامية فدرس مختلف العلوم حتى صار شيخاً عالماً رغم حداثة سنّه، وقد نشأ على حب الخير والحق، وعلى التمسك بتعاليم الإسلام [4].

وتمكن هذا الشيخ بفضل مساندة أعوانه من المسلمين الصوماليين من نشر الإسلام ليس في الصومال فحسب، بل وفي الهضبة الحبشية نفسها، حيث دخل في خدمة أحد الحكام المسلمين الذي كان ينوب عن الإمبراطور الحبشي (لبنادنجل) في حكم منطقة عدل، وتزوّج من ابنة الأمير المسلم لإقليم هرر المدعو (محفوظ)، وسرعان ما دخل في ثورة مناهضة لأمير هرر هُزم على إثرها، فالتجأ إلى منطقة أبت، ونظراً لسمعته الدينية ومناصرته للعدل والمساواة، فقد انضم إليه عدد من خصوم أمير هرر [5].

ورأى الإمام أحمد تسلّط نصارى الحبشة على مسلمي الصومال وتدّخلهم في شئونهم، فاتّخذ لنفسه سياسة تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنصاف المظلومين، وإعلاء

---

(1) مطير غيث، المرجع السابق، ص 269.

(2) رجب عبدالحليم: المسلمون في أفريقيا، ص 11.

(3) فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، ص 150.

(4) عبد الرحمن النجار: الإسلام في الصومال، ص 74.

(5) عبد المولى الحرير: المرجع السابق، ص 109.

كلمة الدين، والمحافظة على استقلال وطنه، وأعلن المساواة بين الجميع، فلا فضل لعربي على صومالي إلا بالعمل الصالح، وحارب الفردية والروح القبلية، ودعا المواطنين إلى العمل الجاد المنتج لدعم اقتصاد الوطن، وَفَتَح المدارس، وبنى المساجد، وبعث الوفود إلى مختلف المناطق للدعوة إلى الله وذلك من أجل توحيد الجبهة الداخلية والوقوف صفاً واحداً أمام الأعداء، وحارب من أجل تحرير الأراضي الصومالية من نفوذ الأحباش[1]. والصراع المرير الذي تم بين الإمام والسلاطين المسلمين الذين كانوا في خدمة ملك الحبشة، كان منشأه دينياً صرفاً، فالحكام المسلمون كانوا يخدمون إمبراطوراً نصرانياً، الأمر الذي رآه الإمام أحمد بن إبراهيم منافياً للشرع، في الوقت الذي كان فيه المسلمون قادرين على بناء دولتهم، وفرض شرائعهم على المسلمين والوثنيين على حدّ سواء، أما السلاطين فقد رأوا أن الإمام يشكّل خطراً داهماً على مصالحهم ومراكزهم السياسية، نظراً لما أصبح يحقّقه من شعبية متزايدة بين المسلمين، الأمر الذي زاد من هوّة الخلاف بينهم، كما رأوا أن استقراره - في منطقة أبت - أصبح يمثل نقطة استقطاب وارتكاز للثوار المسلمين حوله، وعند ذلك أرسل إليه سلطان هرر صهره على رأس قوة كبيرة[2].

فأمضى الإمام سنواته الأولى في صراع مع السلطان أبوبكر سلطان هرر، وانتهى ذلك الصراع بقتل السلطان، وقام بتنصيب شقيقه ملكاً على هرر وتابعاً له[3]، ثم غزا بلاد الجالا وسائر الشعوب التي تجاور هرر، وزحف شمالاً إلى غندار فأكسوم[4]، وبعث إلى الأمراء في سائر الإمارات الإسلامية، يناشدهم الوحدة أمام العدو الذي يريد إذلال المسلمين ونهب خيراتهم، وأبان لهم أن الوحدة الإسلامية أمر ضروري للبقاء وللمحافظة على دينهم من أيدي أعدائهم المعتدين، وحدث أن تعرّض المسلمون في أرض الصومال لهجمات الأحباش بزعامة بطريق كبير منهم، حيث ضرب قرى كثيرة، وامتدت أيدي جيوشه إلى أرضهم بالسلب والنّهب، كما سبى أم أمير من أمراء المسلمين اسمه الأمير (أبوبكر فطين)، فقام

---

(1) عبد الرحمن النجغر، المرجع السابق، ص 74 – 75.

(2) عبد المولى الحرير، المرجع السابق، ص 109.

(3) فتحي غيث، المرجع السابق، ص 151.

(4) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 48.

الإمام يعبئ القوى المسلمة ويدعو إلى توحيد الصف، وجمع جيشاً مسلّحاً بسلاح الإيمان مع ما استطاع إعداده من عتاد، وكان عمره حينئذ واحد وعشرون عاماً[1].

بدأ يعمل على تحقيق الهدف الأكبر الذي شعر بأنّه قد خلق له، وهو أن يكون إماماً للمسلمين، ويستولي على جميع أرجاء الحبشة، وأعلن رفضه لدفع الجزية لملك الحبشة[2]، يقول توماس أرنولد: «وبمثل هذه الطريقة الآلية كان تحوّل كثير من الناس، وخاصة زعماء المسلمين الذين كانوا قد دخلوا في خدمة ملك الحبشة، وأولئك المرتدون الذين اتخذوا من غزو بلادهم على أيدي جيش المسلمين الفاتح الفرصة لأن ينبذوا في الحال المسيحية، وأن يخلعوا طاعتهم للملك المسيحي، ويعلنوا إسلامهم من جديد»[3].

وبعد أن رفض الإمام أحمد دفع الجزية للملك الحبشي، ومنع الجباة من دخول المناطق الإسلامية، أصبح قيام الحرب بينهما أمراً لا مفر منه، أعلن الجهادَ، واتخذ لنفسه راية أو علماً يحمل: «بسم الله الرحيم: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، نصر من الله وفتح قريب»[4] واتخذ إجراءات تنظيمية قسّم بموجبها البلاد الواقعة تحت إمرته إلى خمسة أقاليم، جعل على رأس كل إقليم منها أميراً، وقد كان هؤلاء الأمراء أشدّاء على أعدائهم في تطبيق مبدأ الجهاد، وفي سنة (1529م) استولى الإمام أحمد على إيفات بعد قتال مرير تمكن فيه من دحر القوّات الحبشية، وأسر بعض الأمراء والأميرات الذين افتداهم الإمبراطور فيما بعد بكميّة كبيرة من الذهب، وفي سنة (1531م) عبر نهر أوشي، وغزا مملكة شوا الحبشية، وأحرق كنائسها وأديرتها بعد أن هزم جيوش الإمبراطور الذي فرّ طالباً النجاة نحو الشمال ملتجئاً إلى هضاب (جود جام) الصعبة[5].

وفي سنة (1533م) عاد الجراني مرة أخرى لغزو هضاب (جودجام) الصعبة، ولكن الإمبراطور الحبشي بالغ في الهروب شمالاً إلى منطقة (دمبيا) شمال بحيرة طانا، وتمكّن الإمام

---

(1) عبد الرحمن النجار، المرجع السابق، ص 74 – 75.

(2) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 169.

(3) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 291 – 292.

(4) عبدالمولى الحرير، المرجع السابق، ص 115، نقلاً عن عرب فقيه: فتوح الحبشة، ص 9.

(5) المرجع نفسه، ص 110 – 111.

في هذا الفتح أن يوصل ممتلكاته بمملكة سنار السودانية المسلمة، ويعقد معها حلفاً ضد النصارىٰ الأحباش، واستطاع في سنة (1536م) دخول عاصمة الإمبراطور (أكسوم) وحرقها وتخريب كنائسها[1].

حتىٰ إذا كانت سنة (1537م)، سيطرت الجيوش الإسلامية علىٰ بلاد أثيوبيا كلّها، وأصبح إمبراطور الحبشة تعبيراً لا حقيقة له، وأخذت المسيحية في الانهيار تحت ضغط انتصارات المسلمين المتوالية، وأصبح الإمبراطور فاراً من بلد إلىٰ بلد، وهو يقاسي (وقليل من أنصاره المخلصين) الجوع والعطش، ويلح عليه الإجهاد والمرض حتىٰ مات وهو في أسوأ حالات البؤس والعوز، ودفع انتصار المسلمين الساحق بالمسيحيين إلىٰ اعتناق الإسلام، فاعتنقته نسبة هائلة من السكان، فراراً بحياتهم وخوفاً من السبي والتشريد، وبذلك أصيبت المسيحية في إثيوبيا بانهيار لم تلقه في سالف أيامها[2].

ثم وصلت حملة برتغالية كان قد طلبها الإمبراطور (لبنادنجل) قبل وفاته إلىٰ ميناء مصوّع سنة (1541م)، وكان لوصولها صدىٰ كبير في البلاد، وكانت تتكوّن من 450 من المحاربين المسلّحين بالأسلحة والمدفعية الحديثة، وسرعان ما انضم إليهم بعض الأمراء القدامىٰ وأتباعهم مثل (إسحق بحر نجش - أي أمير المقاطعة البحرية) وتمكّنوا من الحصول علىٰ تأييد قبائل التيجري، ووجد الإمام نفسه مضطراً للحيلولة دون اتصال الجيش البرتغالي مع القبائل المعادية، ولكن عندما نشبت المعركة مع هذه الأسلحة النارية الحديثة التي لم تعهدها الحبشة من قبل، لحقت الهزيمة بقوات الإمام أحمد في سنة (1543م) وأصيب هو بجراح[3]. وحُوصر الإمام وجيشه حصاراً بحرياً من نصارىٰ البرتغال وحصاراً برّياً من نصارىٰ الحبشة، وأطلقوا عليه ألف طلقة نارية ذهبت فيها روحه الطاهرة إلىٰ ربّها في عام (950هـ/ 1543م)[4]، بعد أن استمرت غزواته وحروبه خمسة عشر عاماً من (1528-1543م)[5].

---

(1) عبدالمولىٰ الحرير، المرجع السابق، ص 111.

(2) زاهر رياض: الإسلام في إثيوبيا، ص 206 – 207، 211.

(3) فتحي غيث، المرجع السابق، ص 155 – 156.

(4) عبدالرحمن النجار: الإسلام في الصومال، ص 77.

(5) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص 169.

إن دخول البرتغاليين وحماسهم في حروبهم بجانب إمبراطورية الحبشة ضد المسلمين كان له الأثر الكبير في انتصارهم وإيقاف تقدّم القوّات الإسلامية، ولكن تأثير هذا الفتوحات في نفوس الأحباش بالغت الأثر، إذ اعتنق الشعب الإسلام في جماعات غفيرة، وليس من اليسير تغيير ديانة الناس ثم العودة مرة ثانية إلى ديانتهم الأولى، ولم تكن الكنيسة الحبشية ورجال الدين بقادرين على مواجهة هذا الموقف خصوصاً وأن فترة الخمسة عشر عاماً التي سيطر فيها الإمام أحمد على الحبشة قد فصمت عرى الروابط التي كانت تربط أفراد الشعب بملوكهم[1].

وكانت هرر قد تحوّلت إلى مركز ديني وعلمي، حيث زاد عدد المدارس والمساجد، وتزعّمت هرر الحركة التعليمية والدينية في شرق أفريقيا بلا منازع، وكثر الوافدون إليها من العلماء والأدباء والشيوخ وطلاّب العلم، وأصبح التعليم للجميع، وتعلّم التلاميذ الحساب والعلوم بجانب العلوم الدينية، وأصبحت اللغة العربية لغة التعليم، وقدم معلّمون من الحجاز ومصر واليمن لنشر اللغة وتعليم الدين لأبناء المنطقة، وظهرت المصاحف المصرية في الأسواق، وبدأ تدريس التاريخ وأشهر الأحداث، إلى جانب علوم الفقه والسيرة والتشريع، مما جعل هرر كعبة المخطوطات والمدونات التي ليس لها مثيل في شرق أفريقيا كلّها[2].

إن الإسلام لم يفرّق يوماً بين شخص وآخر، ولم يعترف يوماً بالتفرقة العنصرية، واعتبر الأفارقة هذا الدين ديناً أفريقياً، قاموا بتطبيق مبادئه ونشره بين مواطنيهم، وساعدهم في ذلك الدعاة المسلمون الذين كان همّهم وهدفهم الأول نشر الإسلام، وقد رأينا بعضاً من أشهر الدعاة الذين كان لهم دور في نشر الإسلام في جنوب الصحراء وتغيير مجريات الحياة في كثير من أجزاء القارة، وغير هؤلاء كثير ممن لم تذكره كتب التاريخ، أو ممن لم نشر له، ولكن حاولنا ذكر أهم هؤلاء الدعاة المسلمين، الذين وضعوا الأسس القوية لقيام حركات إسلامية أخرى من بعدهم، كالتي قادها فيما بعد عثمان دان فوديو وابنه عبدالله وغيرهم.

---

(1) فتحي غيث، المرجع السابق، ص 154.

(2) عبدالرحمن النجار، المرجع السابق، ص 76.

ثانياً: الطرق الصوفية:

التصوف أو الوعي الصوفي:

لكي تكتمل الدراسة عن انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء لابد لي من الإشارة ولو قليلاً عن الطرق الصوفية ودورها في نشر الإسلام والعقيدة الإسلامية في تلك المنطقة، وإن كنت سأخرج عن النطاق الزمني للدراسة لأن دراستي هذه دراسة دعوة ومن الصعب تقييدها بزمن إذ هي سلسلة مترابطة مع بعضها البعض ومستمرة إلى يومنا هذا، لذا سأشير ولو إشارات بسيطة عن التصّوف وأهم الطرق الصوفية، وأهم الأدوار التي قامت بها لنشر الإسلام بين الأفارقة، وسأبدأ الحديث عن معنى التصوف أو الوعي الصوفي.

إن بذور الزهد الأولى موجودة في كل دين، بل في كل عقيدة سماوية تحت معاني التقوى والإيثار والتضحية والفداء، وعلى هذا فمعاني الزهد مثبوتة في القرآن لدى فضائل النفس المؤثرة للآخرة قبل الدنيا، الزراعة في الدنيا حقلاً للآخرة، ولا صحة لنسبة الزهد الإسلامي الأول إلى الرهبنة المسيحية أو غيرها فهذا أمر مشترك في كل عقيدة [1].

يقول بن خلدون عن التصوف: «هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملّة، وأصله أن طريقة القوم لم تزل (عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم) طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف» [2].

ولما تقدّم الزمن بالمسلمين وسادت المادية والبذخ، حافظ بعض المسلمين على سنة الرسول (ﷺ) والخلفاء (رضي الله عنهم) في الملبس، واحتجّوا بذلك احتجاجاً صامتاً على المادية والتبذير اللذين انغمس فيهما معاصروهم، فأُطلق عليهم الصوفيون، ولحق بهم ما يلحق عادة بالمحافظين، أي أنه لما ظهرت البدع وتشاحنت الفرق، وصار أصحاب كل بدعة وأنصار كل فرقة يدعون أن

---

(1) محمود، عبدالقادر: الفلسفة الصوفية في الإسلام مصادرها ونظرياتها ومكانها في الدين والحياة، دار الفكر العربي (القاهرة، 1386هـ/ 1966م) ص 43.

(2) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، مؤسسة دار الشعب (القاهرة، بدون تاريخ) ص 439.

فيهم زهادا، انفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم الصوفية، وأطلق هذا الاسم عليهم قبل نهاية القرن الثاني الهجري بقليل[1].

واختلف الباحثون القدامى والمحدثون حول أصل كلمة التصوّف، فالبعض يرجعها إلى كلمة (الصفاء) نسبة لصفاء القلب، وبعضهم يقول: إنها مأخوذة من الكلمة اليونانية (Sophos) أي الحكمة، غير أن هذا الرأي مستبعد، لأن عناصر التصوّف مأخوذة عن الإسلام، وهناك فريق آخر يرى أن الكلمة منسوبة إلى كلمة الصوف للتدليل على تقشّفهم وزهدهم، وعكوفهم على العبادة[2].

إن العديد من العلماء تطرّقوا إلى موضوع التصوّف وألّفوا العديد من الكتب والرسائل في التعريف به والكشف عن فلسفته، يقول الدكتور قاسم غني عن مفهوم التصوف: «التصوّف أو العرفان في نظر المسلمين هو طريقة يمزج الدين فيها بالفلسفة، ويرى معتنوها أنها هي وحدها الكفيلة بالوصول إلى الحق، وهذا الوصول إلى الكمال والحق، متوقّف على السير والسلوك والتفكير والمشاهدة التي تؤدي بصاحبها إلى الوجد والحال والذوق، وتوصل الإنسان في النهاية بطريقة رمزية إلى الله تعالى، وسالكوا هذه الطريقة يعرفون بالصوفية، أو العارفين وأهل الكشف، وهم يسمّون أنفسهم بأهل الحق»[3].

يقول الشيخ مختار الكنتي[4] معرّفاً بالتصوّف: «التصوّف أو علم الباطن طريق روحاني، تسلكه القلوب، فتقطعه بالأفكار حسب العقائد والأبصار، أصله نور سماوي ونظر إلهي، يقع في قلب العبد ينظر به نظرة فيرى أمر الدارين حقيقة» ويقول أيضاً: «اعلم أن مذهب الصوفية ظاهر وباطن، فظاهره استعمال الآداب والأخلاق الحسنة مع الخلق، وباطنه

---

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، 3/ 227 – 228.

(2) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام، ص 479.

(3) بطران، عزيز: الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني لسنة 1981م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس، 1401هـ/ 1981م) ص 323.

(4) هو سيدي المختار الكنتي الكبير، ولد في أزواد وأمضى سني صباه مرتحلاً في طلب العلم وظهر نبوغه، وسرعان ما وفدت عليه جموع الطلبة من الأفارقة، وله يرجع الفضل في بلورة الطريقة القادرية وصبغها بطابع أفريقي سوداني صحراوي، عزيز بطران، المرجع السابق، ص 317.

منازل الأحوال والمقامات مع الحق، وأن الظاهر علامة الباطن، والباطن حقيقة الظاهر»[1].

فالتصوف عنده ثلاثة علوم تعرف جميعاً بعلم الدين، أما العلمان الآخران، فهما علم الشريعة الظاهرة، وعلم الغيب الخاص بالأنبياء والأولياء، ومعرفة هذا العلم الباطن - أي التصوّف - لا تتم إلا بعد إلمام كامل بعلم الشريعة إذ التصوف على حد تعبير الشيخ الكنتي وراء سور الفقه، بل هو ثمرة علوم الشريعة[2].

فالتصوّف تجربة حياتية، وفلسفة عملية، تتعامل مع مستويات الوعي العليا، ومن الطبيعي أن يتعارض المنهج المؤدي إلى هذه المستويات مع المناهج المادّية للحياة، والطريقة الصوفية تسعى إلى التخلّص من أيّ تعلّق مادّي، وتجرّد النفس من الميول والرغبات لغير العالم الروحي استعداداً للاتصال به، وتمثل الإرادة هنا المبدأ الأول أو منطلق السّالك، والشرط الضروري الذي تنتظم بموجبه لَبِنات السُّلّم الصاعد نحو المطلق، وما يوضّح دور الإرادة هنا هو أن المتصوّف في بداية سلوكه الطريق يسمّى (المريد)، وبعد الإرادة تبدأ (الرياضة) وهي عبارة عن مجموعة من التقنيات التي يمارسها المريد لتهذيب النفس وتدريبها على ترك الميول الدنيوية، وترويضها على حياة الخلوة والفردانية[3].

والصوفية يوجّهون المريدين ويثقّفونهم ويدعونهم من خمس إلى خمس: «من الجهل إلى العلم، ومن الشك إلى اليقين، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الشحّ إلى سخاء النفس، ومن النظرة إلى المعرفة» ويقول الشيخ مختار الكنتي إن من واجب المريد بل ومن مصلحته أن يختار شيخاً متأهلاً ذا تجارب وعلم ومعرفة، شيخاً جعل الحقيقة معاشاً والشريعة رياشاً يكرع في حياضها، فقد قيل: «من تعلّق بشيخ واصل وصل ومن تعلّق بشيخ غير واصل بار وانفصل». ومن واجب المريد عند ملازمته للشيخ المربّي أن يسلّم أمره ونفسه إليه، بأن يستغرق نفسه كلها في الشيخ لا يبقى له من نفسه شيء، وهذا ما يسمّى في عرف الصوفية بالإطراح التام بين يدي الشيخ وبالملازمة[4].

(1) عزيز بطران، المرجع السابق، ص 323.

(2) المرجع نفسه، ص 323.

(3) الجابري، صلاح: الرؤية الصوفية وتطور الوعي في إطار العلم الحديث، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد (20) لسنة 2003م، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 1371و.ر/ 2003م) ص 225.

(4) عزيز بطران، المرجع السابق، ص 323 – 324.

إن التأمل هو السبيل الجوهري للغياب عن الحس والاقتراب من المطلق، وعندما يتحقق عنصر الإرادة والرياضة، تبدأ درجات الإيغال في التجريد، والهدف من وراء هذه المقامات هو بلوغ مرحلة الكشف والإلهام والتوحد بالمطلق [1].

وقد أبرز الكثير من الصوفيين في كتاباتهم العلاقة الوطيدة بين الشريعة والتصوّف، وهم يقولون: «إن التصوّف هو باطن الشريعة الخفي بل لبّها، وليس من المستطاع الوصول إلى اللّب إلا بعد إزالة القشر، أي بعد التمكّن التام من الشريعة» [2].

أما عن خصائص وميزات الصوفية فهي الحب الإلهي الذي يسمو بالتصوّف إلى معرفة الله، والعاطفة فيه ليست عاطفة ناشئة عن خوف أو رهبة، بل إنها حب خالص يربط الإنسان بخالقه [3]، ويصف الكتني خصائص الصوفية: «العبادة حليفهم، والفقر كرامتهم، وطاعة الله حلاوتهم، وحبُّه لذّتهم، وإلى الله حاجتهم، والتقوى زادهم، ومع الله تجارتهم، وعليه اعتمادهم، وبه أنسهم، وعليه توكلّهم، والجوع طعامهم، والزهد ثمارهم، وحسن الخلق لباسهم، وطلاقة الوجه جليسهم، وسخاوة النفس حرفتهم، وحسن المعاشرة صحبتهم، والعلم قائدهم، والصبر سائقهم، والهدى مركبهم، والقرآن حديثهم، والسكون بيتهم، والذكر نهجهم»، فالصوفية في نظره هم خاصة الخاصة، وهم شيوخ التربية، والمعلمون الروحيّون، تميّزوا عن عامة الناس بوقف حياتهم وجهدهم على تحصيل العلم، جمعوا بين الشريعة والحقيقة وتبحّروا فيهما، وعرفوا دقائقها وأسرارها، ولذا حق لهم أن يجلسوا للإرشاد وتربية المريدين بأحوالهم الذكية وأخلاقهم المرضية وهممهم العلية [4].

وأسس الطرق الصوفية كما يصفها الشريف العيدروس في كتابه بغية الآمال في تاريخ الصومال ستة هي: «التوبة، والعزلة، والزهد، والتقوى، والقناعة، والتسليم» وأحكامها ستة هي: «العلم، والحلم، والصبر، والرضا، والإخلاص، والأخلاق الحسنة» وغاياتها ستة هي: «المعرفة، واليقين، والسخاء، والصدق، والشكر، والفكر» وواجباتها ستة هي: «ذكر الله،

(1) صلاح الجابري، المرجع السابق، ص 225.

(2) عزيز بطران، المرجع السابق، ص 323.

(3) علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 479.

(4) عزيز بطران، المرجع السابق، ص 323 – 324.

وترك الشهوات، وترك الدنيا، وإتباع الدين، والإحسان إلى المخلوقات، وفعل الخيرات» ووظائف أهل الطرق ودرجاتهم ستة هي: «الخلفاء، والرؤساء، والشادون، والنقباء، والمنشدون، والخدام»[1].

أما عن انتشار الطرق الصوفية، فقد كانت واسعة الانتشار في شبه الجزيرة العربية ومصر والشمال الأفريقي، وهي تمثل نموذجاً آخر من النماذج التي جسّدت وترجمت الخصائص الدينية للإسلام، وقد كانت الطرق الصوفية واسعة الانتشار، وبالذات في المناطق التي يوجد بها فراغ روحي، حيث وجد الناس في الالتفاف حول شيخ الطريقة الصوفية، وفي الانضمام لحلقات الذكر، ما يشبع غريزتهم في البحث عن الأمان والاطمئنان [2].

وانتشر الإسلام بين الأفارقة عن طريق بعض هذه الطرق الدينية التي استطاعت أن تثبت وجودها في كثير من المناطق الأفريقية، وأن تحوّل الصحراء القاحلة إلى مناطق مزدهرة ومجال حيوي بعد أن بعثت فيها الحياة والطمأنينة، فبدأت تظهر مؤسسات دينية واجتماعية وثقافية متعددة، تقوم بكل وسائل الترغيب في نشر الدعوة الإسلامية ابتغاء مرضاة الله وحسن ثوابه في الآخرة، وهداية الناس، وقامت بتأسيس المساجد وفتح المدارس، والمصاهرة مع أهالي البلاد التي يتردّد عليها المسلمون أو يستوطنوها، وشراء العبيد لتعليمهم مبادئ الدين الحنيف، ثم إعتاقهم لوجه الله وإعادتهم إلى أوطانهم ليدخلوا إخوانهم في الدين [3]

إنهم رهبان الليل وفرسان النهار، فهم يجتمعون في حلقات يرفعون أصواتهم يجأرون إلى الله بالدعوات، وينشدون القصائد في مدح الرسول (ﷺ)، حتى إذا ما جد الجدّ ونادى منادي الجهاد، سارعوا بدافع من عقيدتهم إلى حمل أسلحتهم وتقدّموا صفوف المقاتلين، واعتبروا ذلك جهاداً في سبيل الله، ومن شدّة تمسّكهم بقيم دينهم تجدهم يسمّون الأجانب غير المسلمين نصارى، أما كلمة يهودي عندهم فهي من أخس الكلمات وأبشعها لديهم، ولا يحبّون سماعها، ويعتبر التعاون من العناصر الأساسية في هذه الدعوة، فهذا التعاون الأخوي

---

(1) عبدالرحمن النجار، المرجع السابق، ص 68.

(2) علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 479 – 480.

(3) المرجع نفسه، ص 480.

هو المحور الأساسي في عقيدة المتصوّفين، هدفها هو التقدّم المادي والمعنوي، ومساعدة الضعفاء، ونشر العلم والدين[1].

وقد قامت الطرق الصوفية بمقاومة حملات التنصير والاستعمار، حيث إن التنصير يدخل إلى البلدان الأفريقية بأسلوب مقنع، فهو يذهب متخفياً وراء مستوصف لعلاج المرضى، أو مدرسة للتعليم، أو مزرعة يعمل فيها فلاّحون، أو مصنع من المصانع، ومن هذه الأساليب ينشر دعوته برفق ولين، وكثيراً ما يستخدم الإغراء المادي[2]، ولم يكن غرضه منها جميعاً تمكين الأفارقة من العلم والمعرفة، وإنما كان الغرض تفريغ الأفريقي من أفريقيته وإنسانيّته، وإذا كان الاستعمار قد استهدف جسد الأفريقي وثرواته الطبيعية، فإن التنصير قد استهدف روح الأفريقي وثقافته، تراثه، وقد عبر الأستاذ سونو (Sono) عن هذا المعنى بقوله: «اتجه المستعمرون إلى استعباد جسد الأفريقي، أما المنصّرون فقد استهدفوا روحه»[3].

وقد علّق سيمونز في كتابه لون البشرة دائرة، على دور البعثات التنصرية في أفريقيا بالقول: «جاء الرجل الأبيض إلى أفريقيا وبيده الإنجيل، ولكن بعد أن مرّت عقود قليلة، أصبحت الأرض للرجل الأبيض، وأصبح الإنجيل بيد الزنجي» فالتنصير لم يكن إلا وسيلة من وسائل الاستعمار، فحين يقيم المنصرون الكنائس الجميلة وسط الحدائق الخضراء المحاطة بالأشجار الباسقة فإنهم لا يقصدون بذلك خدمة الرب، وإنما خدمة القوى الاستعمارية التي ارتأت وقف الاسترقاق وأرادت توجيه ضربتها الأخيرة القاصمة وهي الاستحواذ على الأرض والثروات وتقزيم الأفريقي، وتفريغه من أفريقيّته وثقافته وتراثه[4].

ولقد تيقّظت الطرق الصوفية لخطر هؤلاء المبشرين وأسموهم المغوين، أي الذين يغوون الناس، وليسوا مبشّرين لهم، وقام شيوخهم يناهضون الحركة التبشيرية المسيحية، باعتبار أنها مدفوعة من الاستعمار الذي لا يريد لأهل هذه البلاد خيراً، ويحذّرون المسلمين

---

(1) عبدالرحمن النجار، المرجع السابق، ص 67 – 68.

(2) المرجع نفسه، ص 72.

(3) الكحلوت، عبدالعزيز: التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 1421هـ/ 2006م) ص 67.

(4) المرجع نفسه، ص 68.

من خطرها، ويدعون إلى الجهاد المقدّس باسم الإسلام، وينشرون تعاليم هذا الدين الحنيف، وحبّبوا إلى مريديهم التعاون والاتحاد والتمسك بمكارم الأخلاق، كما حببوا إليهم البذل والتضحية بالنفس والمال في سبيل الدين والعقيدة [1].

وسأتطرق إلى بعض أهم الطرق الصوفية، التي كان لها دور كبير في نشر الإسلام جنوب الصحراء الكبرى ومقاومة حملات التنصير والحملات الاستعمارية.

أشهر الطرق الصوفية في أفريقيا جنوب الصحراء:

1- الطريقة القادرية:

وتنسب هذه الطريقة إلى الشيخ الإمام العالم الزاهد شيخ الإسلام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى، ينتهي نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ونسبه الجيلاني أو الكيلاني، ولد في جيلان (وراء طبرستان) سنة (471هـ/ 1078م) [2].

دخل بغداد سنة (488هـ)، وله من العمر ثماني عشرة سنة، وهي السنة التي خرج فيها أبو حامد الغزالي من بغداد [3]، فتفقه على أبي سعيد المخرمي، وصحب الشيخ حمّاد الدّباس [4].

وكان الشيخ عبدالقادر كريم الخلق، جليل القدر، متواضعاً للفقراء، مهيباً لدى الحكام، لم يلم قط بباب وزير ولا سلطان، وكان على الهمة، شيخاً مؤثر الغيرة، رحيماً رحب الصدر، مجاب الدعوة، وقد اتفق المؤرخون على كثرة كراماته، يقول العزّ بن عبد السلام: «أنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبدالقادر فإن كراماته نقلت بالتواتر» [5].

---

(1) عبدالرحمن النجار، المرجع السابق، ص 69.

(2) الجيلاني، سيدي عبدالقادر بن أبي صالح: الفتح الرباني والفيض الرحماني، المكتبة العصرية (بيروت، 1425هـ/ 2004م) ص 11.

(3) ابن الأثير: البداية والنهاية، 12/ 149.

(4) عبد القادر الجيلاني، المصدر السابق، ص 11.

(5) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 384.

ثم مال الشيخ الجيلاني إلى التصوّف، ولجأ للخلوة ومجاهدة النفس[1]، وإليه تنسب الطريقة القادرية فهو مؤسسها وإمامها، نشأت على يديه في القرن الخامس الهجري، وقد اتسم هذا القرن بنهضة علمية واسعة، وتيّارات فكرية وفلسفية وإصلاحية، وبرز فيه أئمة منهم حجة الإسلام الغزالي والإمام عبد القادر الجيلاني، الذي استطاع أن يرجع بالتصوّف إلى ما كان عليه في العصر الأوّل حيث يقول: «كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، طِرْ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنّة، وادخل عليه ويدك في يد رسول الله (ﷺ)»[2].

وانتشرت هذه الطريقة في العراق والشام، كما انتشرت في شمال أفريقيا، وكانت أظهر ما تكون في المغرب الأوسط وفي تونس، ثم جاء بها مهاجرون من اليمن وحضرموت إلى شرق أفريقيا، وكانت أوّل الطرق الصوفية التي عُرفت هناك، وكان من أهم مراكزها مصّوع وزيلع ومقديشو، ويُذكر أن عبدالله العيدروس (م: سنة 909هـ/ 1503م) أدخل هذه الطريقة إلى هرر، ومنذ ذلك الحين أصبحت أكثر الطرق انتشاراً في إقليم هرر[3].

وتغلغلت هذه الطريقة داخل شرق أفريقيا وبين أهل البادية، وزاد نفوذها عندما أسس الشيخ إبراهيم حسن جبرو مركزاً لها عند بلدة تقع على نهر جوبا، اسمها برديوه، وفي هذه المنطقة تأسس أول مركز من مراكز استيطان الجماعات الصوفية لزراعة الأرض واستخراج خيراتها لذلك يطلق عليهم اسم (جمامة أو شمامة) نظراً لقدمها وبدء هذا النظام فيها[4].

وعلى يد بعض المهاجرين من واحة توات، (إحدى الواحات في القسم الغربي من الصحراء الكبرى)، انتشرت الطريقة القادرية في السودان منذ القرن التاسع عشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي، واتخذ أولئك المهاجرون من ولاته أوّل مركز لطريقتهم، ثم مدينة تنبكت، ونشطت جماعة القادرية في كل من الصحراء الكبرى والسودان، وكان منهم الدعاة والعلماء والمدّرسون والتجار، ممن حملوا راية الدعوة إلى الإسلام في تلك البلاد، دعوة وتعليماً وجهاداً[5].

---

(1) أحمد شلبي، المرجع السابق، 6/ 212.

(2) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 385.

(3) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 62.

(4) عبدالرحمن النجار، المرجع السابق، ص 68.

(5) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام، ص 481.

ولم يمض زمن طويل حتى برز فقهاء متفقهون، وجماعات صغيرة من المريدين الذين يلتحقون بالطريقة القادرية رسمياً بعد أخذهم الأوراد، (وهي مزيج من أذكار وأدعية وأحزاب تنسب إلى الشيخ عبد القادر والشيخ المختار الكنتي الكبير، ويصفها الشيخ مختار بأنها: «عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشائخ») ويعتقد المريدون في غرب أفريقيا والصحراء بأن هذه الأوراد جمعت بركة الشيخين الجيلاني والكنتي، وتقام في كتمان وسرّية وعزلة تامة، لأنهم لا يقرُّون الجهر بها، ومع أنهم يعدّون السماع مباحا إلاّ أنهم لا يقرّونه ولا يسمحون به ويقولون إنّ السماع نقيصه في الرجالة، خسيسة في الحال، يقول الشيخ مختار: «فالأوراد وإن اختلفت ألفاظها فموردها واحد، وهو التقرّب إلى الله تعالى، والتبرّي من الحول والقوة، والزهد في الدنيا، ومعرفة جلالات الله تعالى وكبريائه، والتوكّل عليه»[1].

وانتشر المريدون في أرجاء السودان الغربي من السنغال إلى مصب النيجر، ونهضت المراكز الرئيسية لتنظيم دعوة القادرية في كتكا وتيمبو (بفوتاجالون) وموسرودو (ببلاد الماندنجو)، وكانت هذه المدن تؤلف مراكز النفوذ الإسلامي وسط شعب وثني رحّب بالقادرية باعتبارهم فقهاء وكتّاب تمائم ومعلّمين، وتسلّطت القادرية على كل من يتّصل بها شيئاً فشيئاً، وسرعان ما تطوّر الدخول في الإسلام من حالات فردية إلى حالات جماعية، ومن هؤلاء الذين أسلموا كانوا يرسلون إلى مراكز الطائفة لإتمام دراستهم، أو كانوا يبعثون إلى معاهد القيروان أو طرابلس أو فاس أو الأزهر، وربّما قضوا في تلك البلاد عدة سنوات، حتى يتقنوا دراستهم الدينية، ثم يعودون إلى أوطانهم لنشر عقيدتهم[2].

وكان المسلمون الذين تربّوا في مسلك نظام الصوفية التي كانت تقوم على حب الجار والتسامح، يؤسسون للمدارس في السودان، ويقومون بالإنفاق عليها[3]. وكان نشاط القادرية في الدعوة ذا طابع إسلامي، يعتمد على الإرشاد، وأن يكون الواحد منهم قدوة لغيره، وبهذه السيرة برهن دعاة القادرية على أنهم أوفياء لمبادئ مؤسس الجماعة الذي أوصى تلاميذه بهذا السلوك السمح[4].

---

(1) عزيز بطران: الشيخ مختار الكنتي الكبير، ص 327 – 328.

(2) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 111.

(3) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص 34.

(4) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 365 – 366.

ومن أشهر قادة القادرية في أفريقيا سيدي أحمد البكاي الذي عاش في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وعمل على نشر الدعوة في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى، وتعرف طريقته بالبكائية، وقد ازدهرت في أفريقيا، ومنهم محمد بن عبدالكريم التلمساني، الذي اتجه بجهوده إلى الجزء الأوسط من الصحراء من بلاد الهوسا، والشيخ السيد التأرازي الذي عمل على نشر القادرية في غامبيا وغينيا وساحل الذهب [1].

ومن فرق القادرية الطريقة التي تفرّعت عنها والتي تنسب إلى الشيخ محمد فضل الذي كان زعيماً لأهل (طالب مختارة) وهم من الصناهجة الذين يعيشون في منطقة الحوض بالصحراء، كذلك الطريقة المريدية التي تزدهر في السنغال، فهي شعبة من القادرية وأسّسها رجل يدعى (أمادوبامبا) (أحمدو) من قبيلة الولوف، وأصله من التوكولور، وقد أسست هذه الطريقة نفسها على أساس جماعي تعاوني، لكل فرد منهم نصيب معين من العمل [2].

2- الطريقة التيجانية:

من الفرق التي كان لها دور جليل في نشر الإسلام في أفريقيا، وتنسب إلى الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المختار بن سالم التيجاني [3]، كان أحد أهالي قرية عين ماضي بالجزائر، وتنقّل في البلاد الإسلامية، بين تلمسان ومكّة والمدينة المنوّرة والقاهرة، وتتلمذ على شيوخها، ثم أسس طريقة صوفية جديدة ثم عاد إلى فاس واتخذها مركزاً لنشر دعوته، وقضى الشطر الأكبر في حياته متنقّلاً لتنظيم شئون طريقته [4].

ورأي أتباع هذه الطريقة أن الجهاد واجب لنشر الإسلام وأن التسامح القادري لم يثمر في بعض الجهات الصحراوية التي دعوا فيها إلى الإسلام لذلك علّموا أتباعهم فنون الحرب

---

(1) علي الشطشاط: وسائل انتشار الإسلام، ص 481 – 482.

(2) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 112 – 113.

(3) ابن العربي، علي حرازم براذة المغربي الفاسي: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، تحقيق: عبد اللطيف عبدالرحمن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية (بيروت، 1417هـ/ 1997م) 1/ 23، 25.

(4) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص 44 – 45.

وأمدوهم بالأسلحة، ثم بدأوا بسلسلة من الحروب لنشر الإسلام حول النيجر الأعلى والسنغال[1].

ويسمّى أتباع هذه الطريقة بالأحباب، وقد حُرّم عليهم الانتظام في سلك طريقة أخرى، وتتميّز هذه الطريقة بتزمّتها الشديد، ومناهضتها للطرق الصوفية الأخرى، وانتشرت هذه الطريقة انتشاراً واسعاً في أفريقيا السوداء، وتفرّعت عنها شعبة (الحمالة)[2].

ولما مات مؤسس الطريقة التيجانية، انتقلت الوصاية إلى ولديه محمد الكبير ومحمد الصغير وإلى محمود بن علي التونسي ثم خلفه في الوصاية عليهما الحاج علي بن عيسى شيخ زاوية تجانية في (تماسين) ولما قتل محمد الكبير في إحدى الحروب التي شنّها أمراء الجزائر على أصحاب هذه الطريقة، تولّى محمد الصغير شؤون الطريقة، وأخذ ينشر الطريقة، ولاسيما في الصحراء الكبرى والسودان، وذلك بإرشاد من الحاج علي بن عيسى[3].

وظهرت الطريقة التيجانية في السودان الغربي على يد الحاج عمر الفوتي، الذي كان أبوه من المرابطين، وقامت على أساليب القادرية في الدعوة، وساعدت كثرة مدارس التيجانية على نشر تعاليمهم التي كانت متأثرة بتعاليم القادرية والمرابطين، الذين نشروا تعاليمهم بين القبائل الوثنية حول نهر النيجر الأعلى والسودان، وذلك في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وعندما كثر أتباع الحاج عمر، نظر إليه الناس بوصفه مهدياً منتظراً جديداً، وفي سنة 1841م بلغ الحاج عمر جبال (فوتا جالون) وبدا سلسلة من الحملات لنشر تعاليم التيجانية بين القبائل التي كانت لا تزال على الوثنية، والتي كانت تقيم حول النيجر الأعلى والسنغال[4].

(1) محمد أحمد: المسلمون في غينيا، ص 26 – 27.

(2) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 113.

(3) علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 483.

(4) حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام، ص 46.

3 – الطريقة السنوسية:

من الفرق الصوفية التي كان لها أثر بعيد في نشر الإسلام في القارة الأفريقية، وتنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الفقيه الجزائري سيد محمد بن علي السنوسي، وقد بدأ بها في عام (1837م) لإصلاح شأن الإسلام ونشر الدعوة، وهذه الطريقة متأثرة بتعاليم الوهابية، ولما توفي سنة (1859م)، كان قد نجح في تأسيس دولة دينية، وقد انتشر أتباع السنوسية في أفريقيا الشمالية، وتناثرت زواياها في غربي الدلتا إلى المغرب، كما امتدّت إلى الداخل في واحات الصحراء الكبرى وفي السودان[1].

وكان الفقيه محمد السنوسي قد استطاع قبل وفاته أن يجعل من مدينة الجغبوب مركزاً لنشر الإسلام بين الزنوج الوثنيين، وتغلغلت السنوسية إلى تلك الجهات وخاصة في واداي، حيث قبل سلطانها محمد الشريف أن يُدخل الطريقة السنوسية في سلطنته، وظلّ من أكبر أتباع السيد محمد حتى وافته المنيّة[2].

ومن مركزهم في الجغبوب كان يتعلّم مئات الدعاة في كل عام، ثم يُرسلون إلى كافة أنحاء أفريقيا الشمالية، دعاة للإسلام وفي أرجاء السودان والحبشة وسنغامبيا والصومال، وكان السنوسيون يقومون بشراء عبيد كانوا يعلّمونهم في الجغبوب، وإذا ما رأوا أنهم تعلّموا مبادئ الفرقة تعليماً كافيا، أعتقوهم وأعادوهم إلى أوطانهم ليدخلوا إخوانهم في الإسلام[3].

4- الطريقة الميرغنية:

وتنسب إلى محمد بن عثمان الميرغني الذي كان يتمتّع بشهرة واسعة كمعلم ديني في مكة المكرمة، وكان الزعيم الروحي لجماعة الخضرية، وقد أرسل بن (إدريس) الميرغني في رحلة إلى أفريقيا لنشر الإسلام، ولما عبر البحر الأحمر إلى القصير شقّ طريقه حتى بلغ النيل[4]، ولكنّه لم يصادف في رحلته إلى أعالي النهر نجاحاً كبيراً حتى وصل إلى أسوان، ونجحت

---

(1) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، ص 17.

(2) المرجع نفسه، ص 124.

(3) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 371 – 372.

(4) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص 43.

رحلته من أسوان حتى دنقلة نجاحاً تاماً، وقد أسرع النوبيون إلى الدخول في الطائفة التي كان ينتسب إليها محمد عثمان الميرغني، وأثرت في هؤلاء الناس تلك الأبهة الملكية التي كانت تحيط به تأثيراً فعّالاً، كما جذبت إليه كراماته في نفس الوقت عدداً كبيراً من الأتباع، وفي دنقلة تحرك محمد عثمان من وادي النيل ليذهب إلى كردفان، حيث مكث زمناً طويلاً وهناك بدأ عمله في نشر الدعوة بين الكفار[1].

وكانت قبائل عديدة في هذه البلاد، وحول سنار لا تزال على الوثنية، ونجحت دعوته بين هؤلاء القوم نجاحاً رائعاً جدّاً، وعمل على توطيد نفوذه فيهم بأن تزوّج ببضع زوجات منهم، فتولى نسله منهن بعد أن مات في سنة (1853م) نشاط الطائفة التي أسسها، وتسمّوا ميرغنية نسبة إليه[2].

لقد كان للجهود الصادقة التي بذلتها الطرق الصوفية لنشر الإسلام بالتعليم والدعوة الخالصة أكبر الأثر في تحويل وإدخال الأفارقة من الوثنية إلى الإسلام، وتثبيته في نفوسهم، يقول بعض المؤرخين إنه لم تكن الطرق الدينية الصوفية وحدها العامل الأوحد في نشر الإسلام بغربي أفريقيا، ولكن سرعان ما كان الالتحاق بإحدى الطرق مراداً لاعتناق الإسلام، وأصبح كل مسلم يتبع طريقة[3].

---

(1) توماس أرنولد، المرجع السابق، ص 364.

(2) المرجع نفسه، ص 364.

(3) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص 109 – 110.

الخاتمة

إن تاريخ الدعوة الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء، هو نفسه التاريخ الحضاري الناضج لأفريقيا، فهي بالدعوة افتتحت لنفسها صفحات التاريخ، وسارت في موكب الحضارة الإنساني وارتبطت بالعالم الإسلامي من حولها.

لقد تطرقت في هذه الدراسة إلى انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، فبدأت بنشوء وتطوّر العلاقات بين العرب والأفارقة استهلالاً بمقدمة جغرافية عن القارة وموطن الدراسة، ثم تطور العلاقات السياسية والتجارية العربية الأفريقية، وما كان للعرب قبل الإسلام من علاقات سياسية وتجارية وتواصل حضاري مع أفريقيا، فقد ذكرت أن التجار العرب والأفارقة أدّوا دوراً كبيراً في تعزيز هذه العلاقات وإدامة هذا التواصل.

ثم تناولت الهجرات الإسلامية ودورها في نشر الإسلام جنوب الصحراء الكبرى، ابتداءً من هجرة أصحاب رسول الله (ﷺ) واتصالهم بنجاشي الحبشة وتأثيرهم في الأحباش.

ثم تحدّثت عن التجارة والظروف التي ساعدت عليها ومعاهدة البقط التي فتحت أبواب التجارة على مصراعيها أمام التجار المسلمين، والتي نظّمت التجارة مع البلاد الإسلامية، ثم التجارة الكارمية، وأهم الموانئ والمراكز التجارية التي تحوّلت شيئاً فشيئاً من مراكز تجارية إلى مراكز ثقافية ودينية إسلامية، ساهمت بدور كبير في نشر الإسلام، ثم دور التجار المسلمين في نشر الإسلام جنوب الصحراء.

ثم جاء الحديث عن الدعاة والطرق الصوفية، وقد بدأت الحديث عن طبيعة الدين الإسلامي، ذلك الدين الذي دعا إلى المساواة والتسامح والتعاون، ولقي الترحيب من الأفارقة واعتنقوه وأصبحوا دعاته، ثم تكلمت عن الدعاة وأهم مراكز الدعوة من مساجد وأربطة وزاويا، وأشهر الدعاة الذين سمعنا عنهم وعن أعمالهم لنشر الإسلام هناك، ثم تناولت دراسة أشهر ثلاثة دعاة من ثلاث مناطق جنوب الصحراء، وتطرقت بعد ذلك إلى الطرق الصوفية فعرفت بها وبالتصوف أو الوعي الصوفي، ثم أهم الطرق الصوفية التي قامت بدور كبير في نشر الإسلام وقيادة الجهاد ضد الاستعمار.

وقد توصلت في نهاية هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

1- إن مرحلة الهجرة والتواصل بين العرب والأفارقة على هيئة أفراد وجماعات كانت قديمة (ويمكن القول أنها بدأت منذ عصور ما قبل التاريخ، وتأثرت بعديد العوامل كالجوار والاقتصاد والثقافة) وهي التي كوّنت الأسس المتينة للعلاقات العربية مع بلاد ما وراء الصحراء في العصور اللاّحقة.

2- أظهر العرب قدرات عالية في التأثير على الجماعات الأفريقية التي سكنوا معها، وأسهموا في ترسيخ أسس العقيدة الإسلامية، حتى بدأ المواطنون الأفارقة يدعون إلى الإسلام بين مواطنيهم في حركة سلمية.

3- إسلام نجاشي الحبشة على أيدي المهاجرين المسلمين (رضوان الله عليهم) بعد هجرتهم إلى الحبشة فراراً بدينهم من أذى قريش، وأثر ذلك في ترسيخ الإسلام في تلك المناطق.

4- مساهمة الهجرات الإسلامية في نشر الإسلام بين الأفارقة نتيجة لاختلاطهم بهم وتزاوجهم معهم. وقد كان ذلك واضحاً في الجزء الشرقي أكثر من الجزء الغربي من القارة.

5- لقد كان السبب في انتشار المذهب السنّي هي الهجرة النبهانية التي أدّت بالشيرازيين الشيعة إلى الهجرة للمناطق الداخلية والاختلاط بالأهالي، بسبب اختلاف مذهبهم عن النبهانيين السنيّين الذين كان لهم الفضل في نشر المذهب السنّي هناك، وأن سبب هجرة علي بن الحسن وأتباعه نتيجة لكونه من أم صومالية مما جعل إخوته ينبذونه فقرّر الهجرة ومغادرة شيراز.

6- إن الهجرات الإسلامية وهجرات البربر وتحركات الشعوب الأفريقية كالبوهل والسراكولا والفولاني والبولالا، كان لها الفضل الأكبر في نشر الإسلام ودعمه بين شعوب جنوب الصحراء الكبرى.

7- كان لحركة التجارة الفضل الأول في فتح أبواب التعامل بين المسلمين والوثنيين، فكانت محكّاً جيّداً للتعامل بين حضارة الوثنيين الواهية والحضارة الإسلامية المميزة، التي استوعبت ما سواها، وكان تأثير التجارة واضحاً في الجزء الغربي من القارة، نتيجة

لاهتمام السلاطين العرب الذين كانوا تجاراً اهتموا بالتجارة وجمع المال، فدور التجارة في نشر الإسلام كان أكثر فاعلية في غرب أفريقيا ووسطها.

8- قدوم أعداد كبيرة من التجار والفقهاء والدعاة المسلمين من الشمال الأفريقي ومصر، بعث نشاطاً ملحوظاً جنوبي الصحراء في العصور الوسطى، وأدى هؤلاء التجار والفقهاء واجبهم في نشر الإسلام، وتأثيرهم على الملوك الأفارقة الذين اعتنقوا الإسلام، فاقتدت بهم شعوبهم، ويمثل اعتناق الشعوب لدين حكامها ظاهرة واضحة في تاريخ الحركة الإسلامية.

9- مبالغة بعض المؤرخين في وصف الجهد الذي قام به المرابطون في نشر الإسلام بين أهل السودان الغربي، وقالوا إنه بفضلهم وحدهم تم دخول الإسلام، في حين أننا نجد أن الإسلام تسرّب إلى هذه المنطقة بصحبة تجّار القوافل قبل المرابطين، وكان هؤلاء التجار يمنحون كامل الحرية في مزاولة تجارتهم وتأدية واجباتهم الدينية، بل والدعوة إلى دينهم في حرية مطلقة، والواقع أن المرابطين عملوا على الإسراع في تحويل الزنوج إلى الإسلام بدلاً من سير الدعوة ببطء تدريجي.

10- قامت الطرق الصوفية بدور جليل في نشر الإسلام بين الأفارقة، حيث قامت بفتح المدارس الدينية، وشراء العبيد وتعليمهم أمور الدين ثُمّ إعتاقهم وتزويدهم بالمال، حتى يرجعوا إلى بلادهم ويفتحوا المدارس، ويقوموا بنشر الإسلام بين مواطنيهم، كذلك ما يذكر للطرق الصوفية من تصدّيها ومحاربتها للاستعمار، حتى وُصفوا برهبان الليل وفرسان النهار.

11- إن تجربة الإنسان الأفريقي مع المنصّرين المسيحيين والدعاة المسلمين، خاصة في مطلع فترة التوسع الاستعماري، أعطت الأفريقي فرصة للمايزة بين الأديان، وانتهت هذه المايزة لصالح الإسلام، لكون العقيدة الإسلامية أقرب إلى بساطة الأفريقي، كما أصبح في أذهان الأفريقي أن المسيحية دين الرجل الأبيض.

12- لم تكن منطقة جنوب الصحراء الكبرى مجهولة أو غير معروفة كما يدعي الأوروبيين الذين وفدوا إليها لاستعمارها ونهب خيراتها، بل كانت حقيقة مجهولة بالنسبة لهم، لأنهم كانوا يعيشون في عصور الظلام والتخلّف وفي التناحر الديني والمذهبي، وهي ليست

كذلك بالنسبة للمسلمين الذين ارتادوها منذ زمن بعيد مهاجرين وتجاراً ودعاةً وصوفيين.

13- إن تحوّل طرق التجارة من المناطق الداخلية إلى المناطق الساحلية (باكتشاف رأس الرجاء الصالح وتطور الصناعة والمواصلات والبحث عن مصادر أخرى للتجارة) من أهم أسباب سقوط وانهيار المراكز التجارية والثقافية جنوب الصحراء لفقدانها أعظم مصادر دخلها ومعيشتها.

14- إن عراقة الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء تأصلت عبر القرون، وأصبحت جزءاً من حضارات وثقافات هذه القارة، حيث التقت روافد الهجرة والتجارة والعلماء والدعاة والطرق الصوفية عند مفهوم الدعوة، تنشرها وتدعمها في إطار الحياة اليومية، فمثلوا في مجتمع جنوب الصحراء نقطة مضيئة وسط ظلام الوثنية، ومثلوا بذلك طابعاً حضارياً كان موضع القدوة، ومثلوا نموذجاً راقياً من الإنسان والفكر والمظهر.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في مسعاي، فإن كنت كذلك فمن الله وإن كانت الأخرى فمني وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

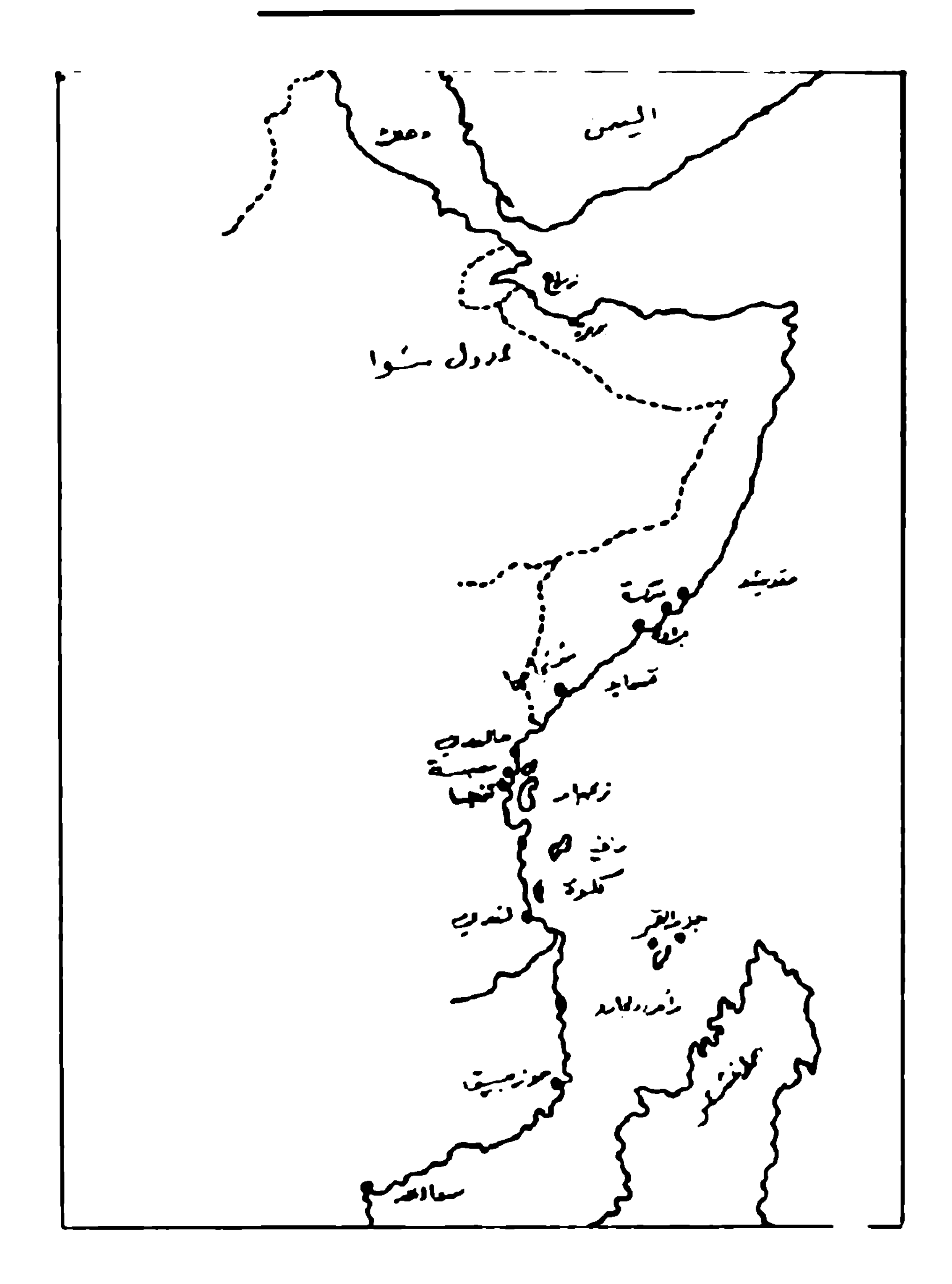
الملاحق



ملحق رقم (1)

بلاد السودان

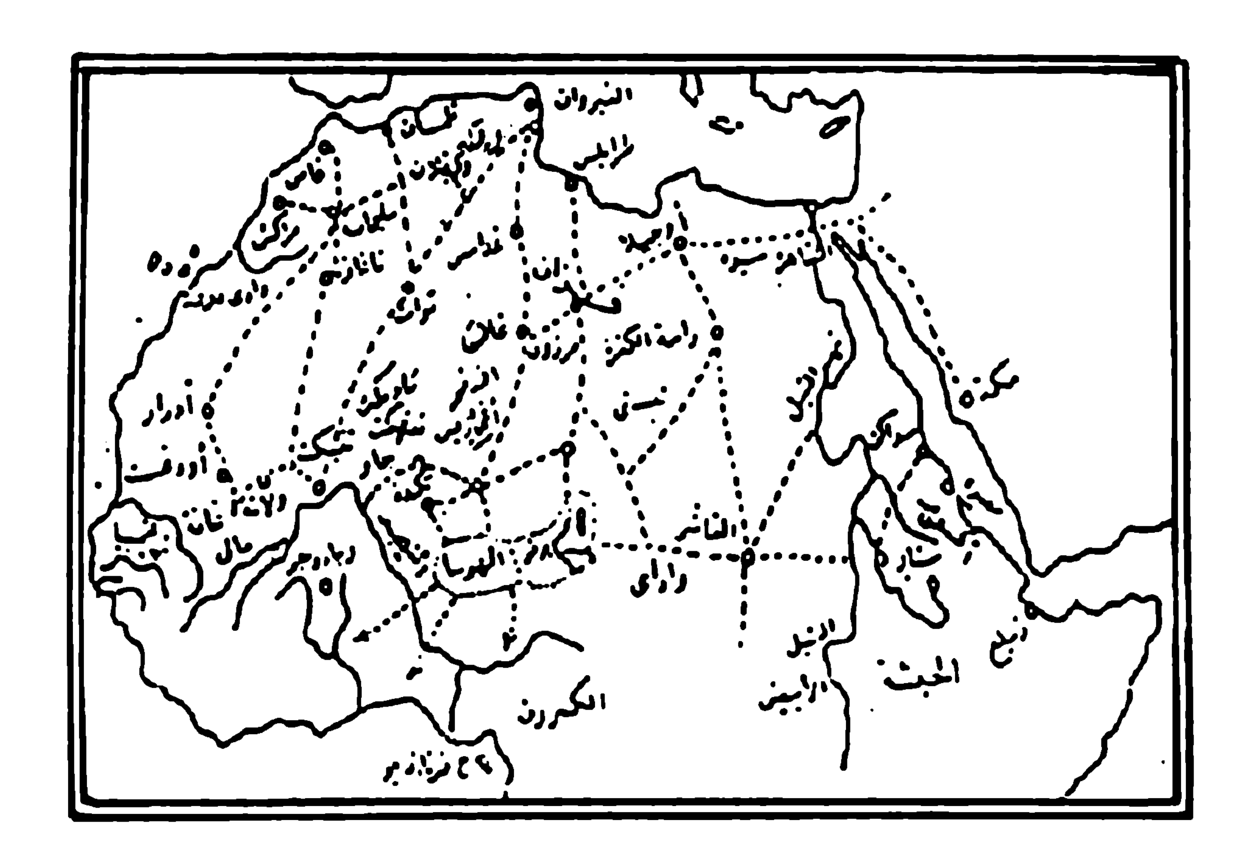
عن شوقي عثمان: التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك، ص 66.



ملحق رقم (2)

الساحل الشرقي لأفريقيا في العصور الوسطى

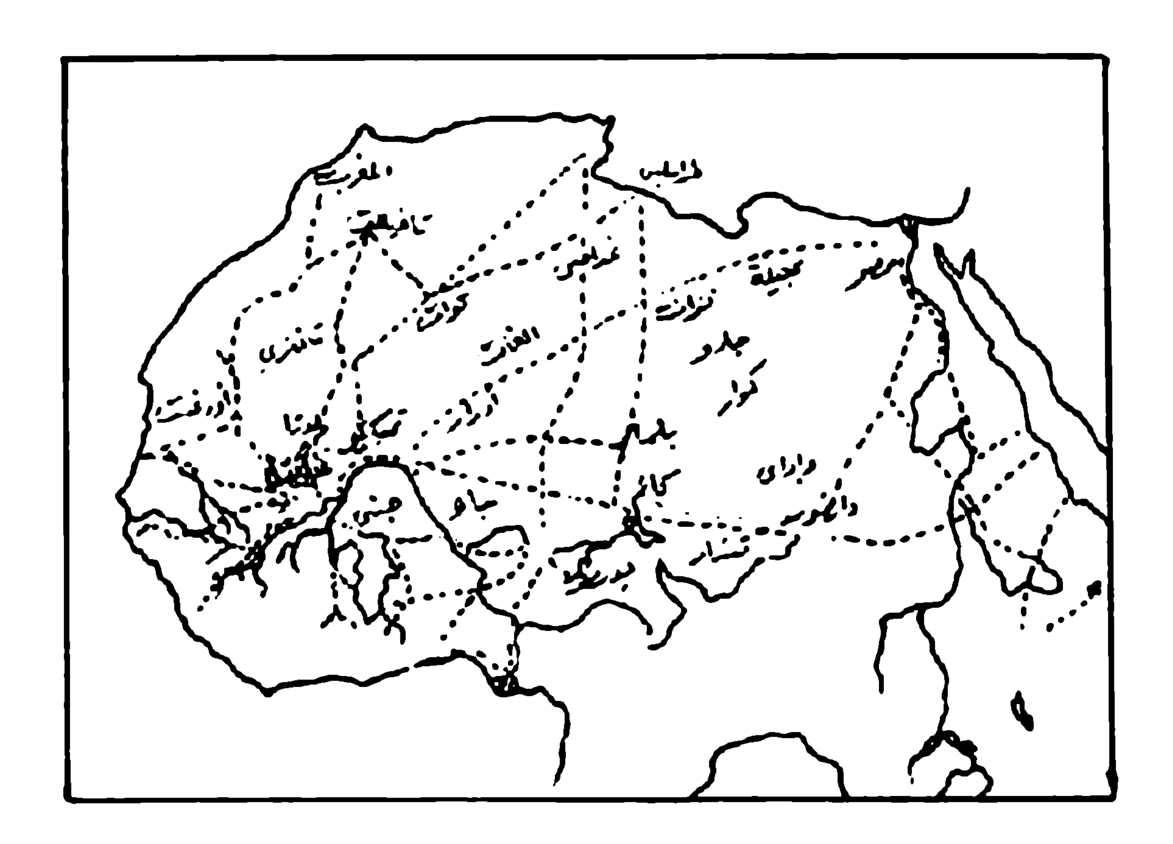
عن رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص 437.



ملحق رقم (3)

طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمالي أفريقيا

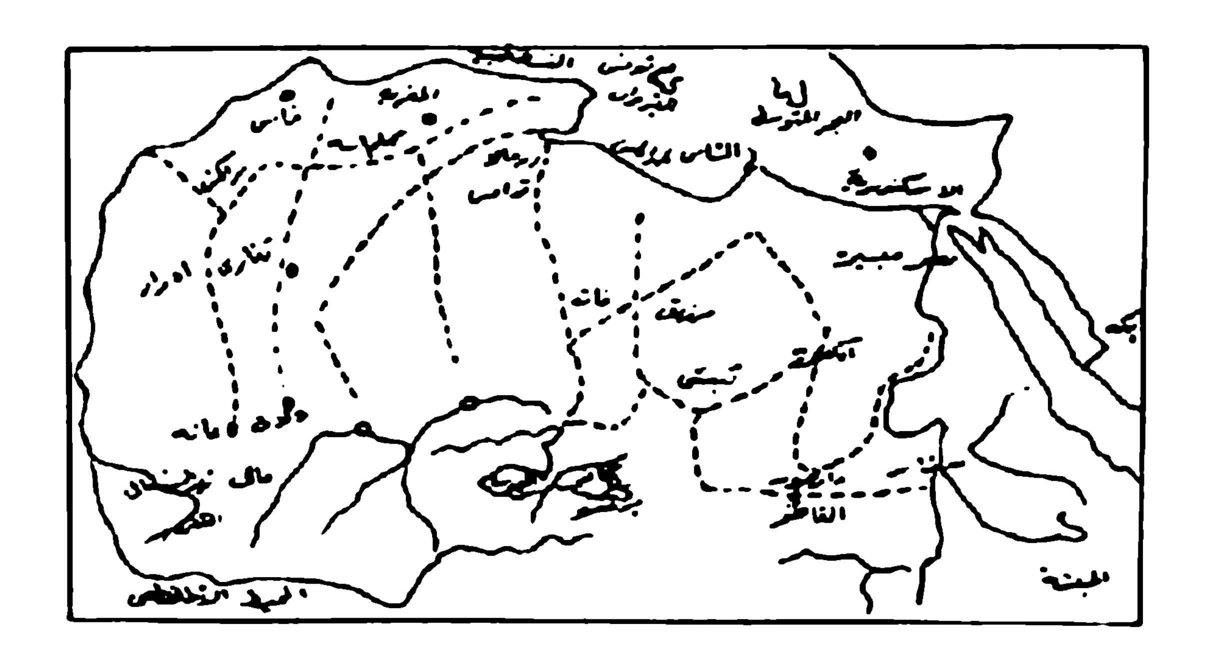
عن الهادي الدالي: مملكة مالي الإسلامية، ص 197.



ملحق رقم (4)

أهم المدن والطرق التجارية بين شمال وجنوب الصحراء في العصور الوسطى

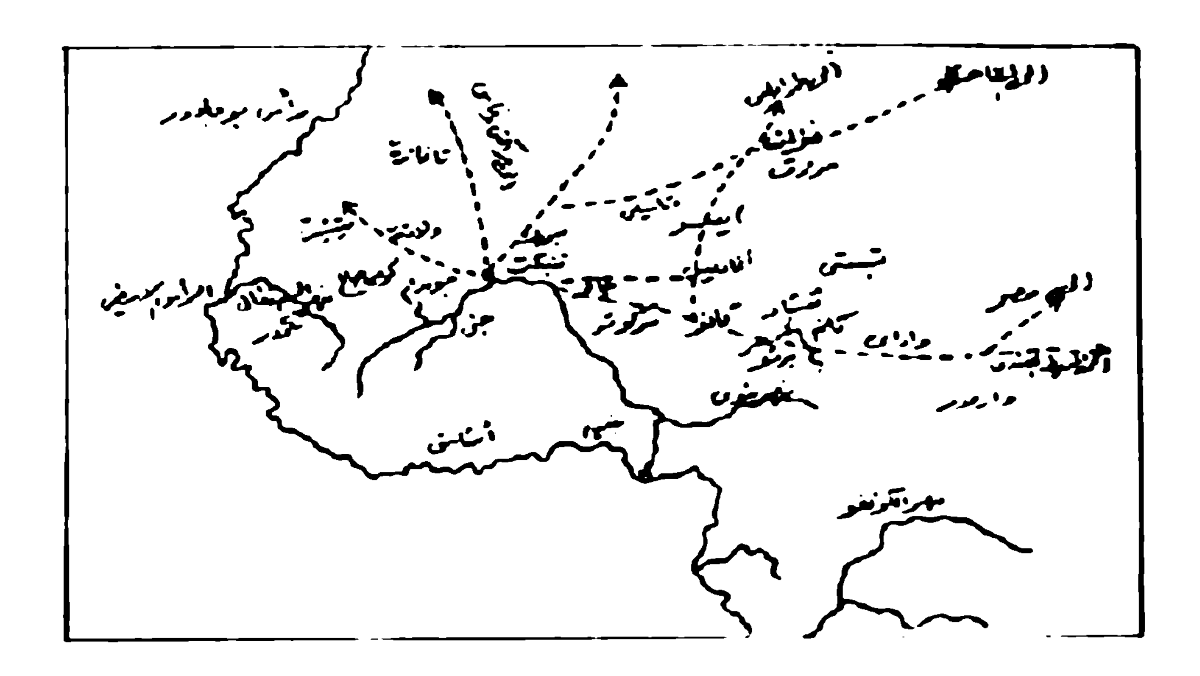
عن شوقي عثمان: التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر المماليك، ص78.



ملحق رقم (5)

طرق الاتصال بين البلاد الأفريقية

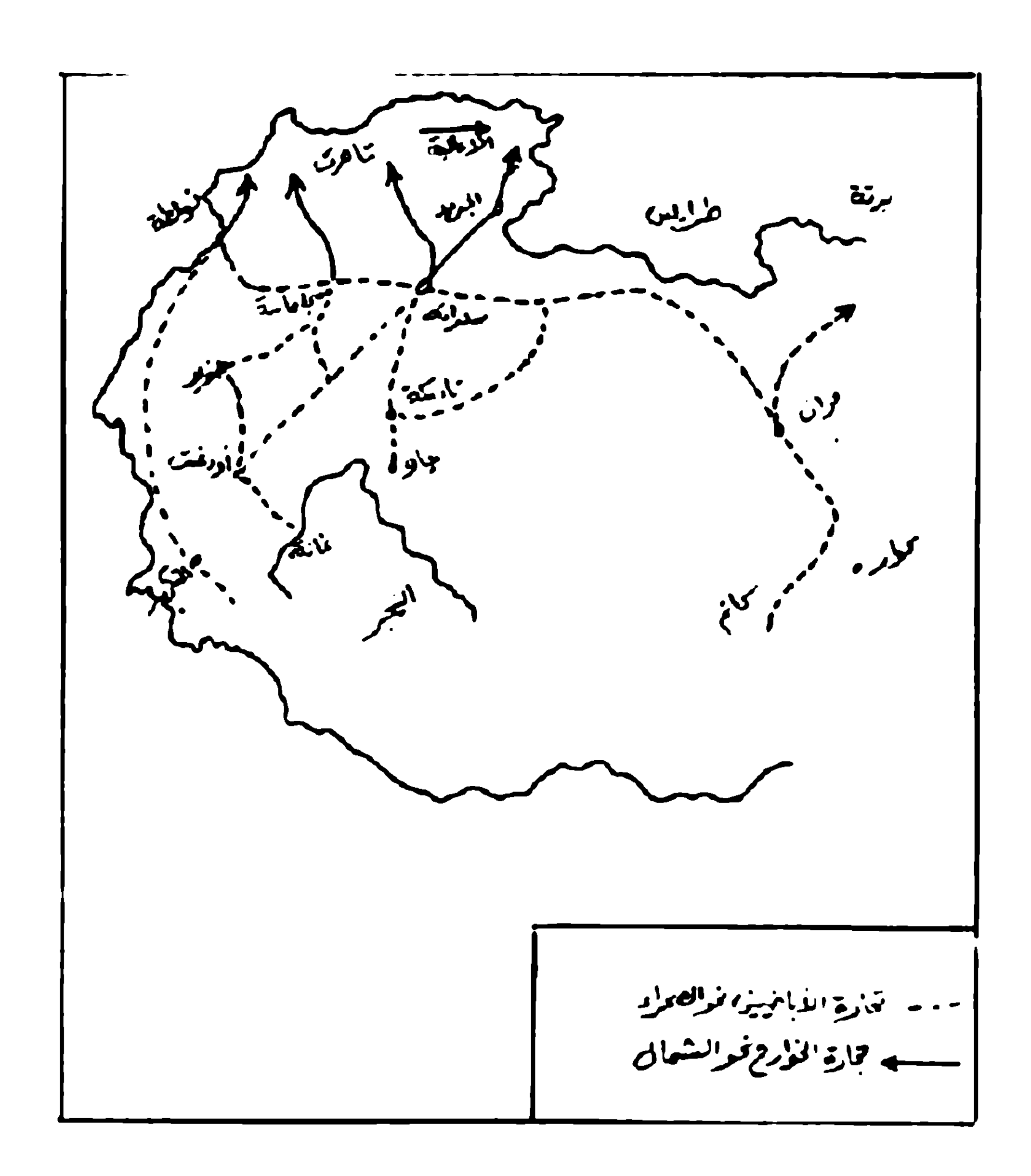
عن شوقي عثمان: التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر المماليك، ص 89.



ملحق رقم (6)

طرق القوافل الرئيسية

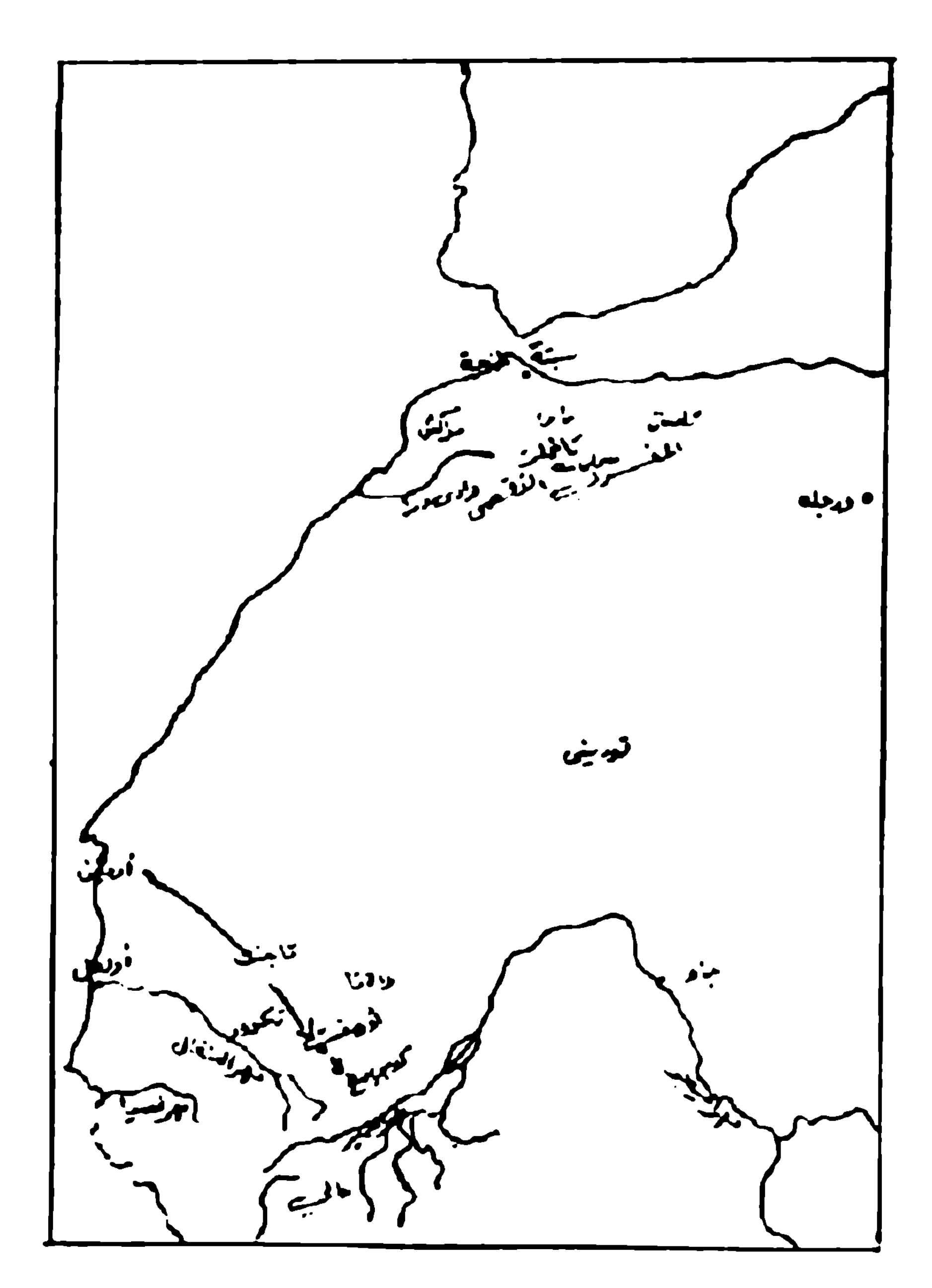
عن إبراهيم طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص 166.



ملحق رقم (7)

التجارة البرية بين شمال وجنوب الصحراء في القرن الثالث الهجري

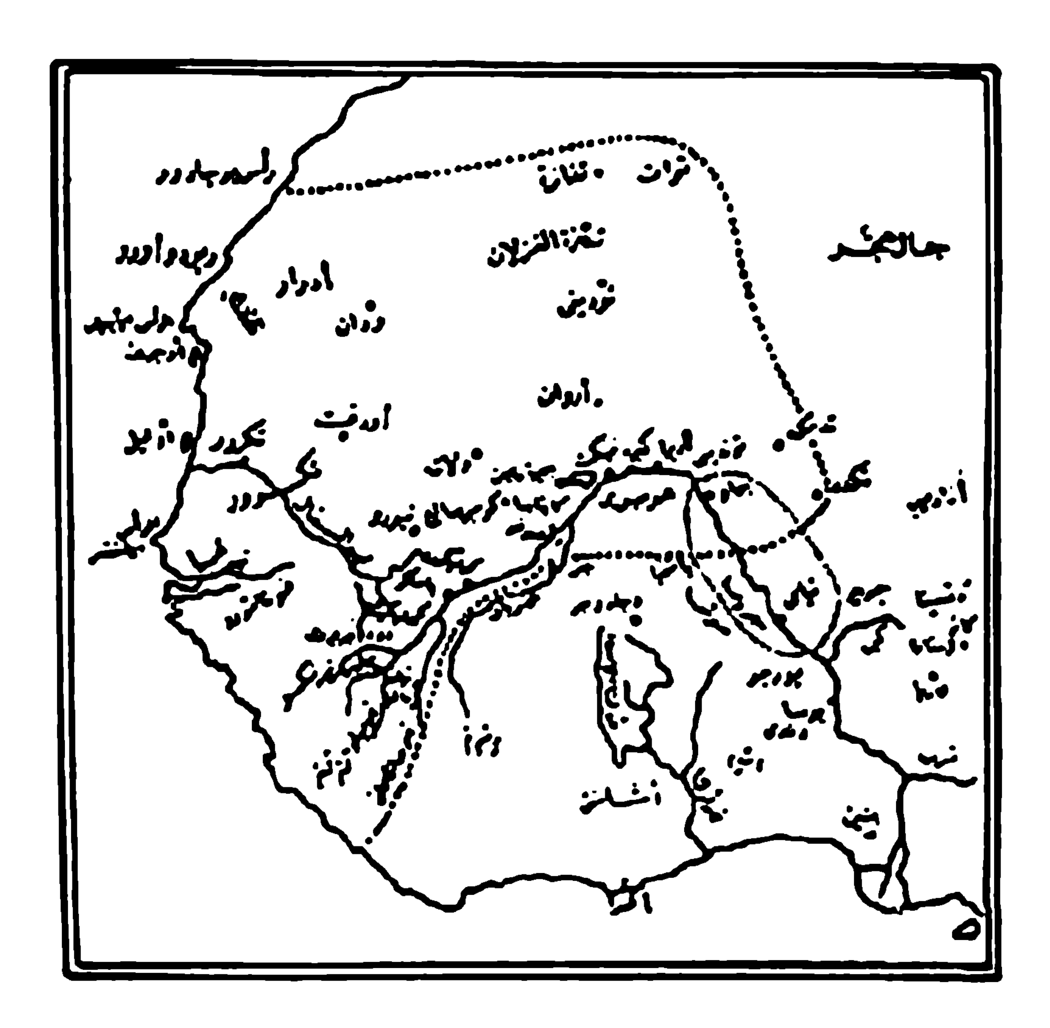
عن لمياء شرف الدين: بعض ملامح أزمة أفريقية الاقتصادية في القرن الخامس للإسلام، ص 350.



ملحق رقم (8)

تقدم المرابطون في إمبراطورية غانا

عن عطية الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص 163.



ملحق رقم (9)

دولة مالي في أقصى اتساعها زمن منسا موسى في القرن الرابع عشر الميلادي

عن الهادي الدالي مملكة مالي الإسلامية، ص 196.



ملحق رقم (10)

الإسلام في الحبشة في القرن الرابع العشر الميلادي

عن عطية الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص 77.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني.
- الأحاديث القدسية، مكتبة دار التراث (القاهرة، بدون تاريخ).
- ابن أبي دينار، محمد بن القاسم الرعيني القيرواني (م:سنة 095هـ/ 1683).
  - المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، مؤسسة سعيدان (تونس، 1993م).
- ابن أبي زرع، علي بن محمد الفاسي:(م: سنة 727هـ/ 1326م).
  - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تورنبرج (أبسال، 1843م).
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (م:سنة 630هـ/ 1232م).
  - أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار المعرفة(بيروت، 1997م).
  - الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي (بيروت، 1980م).
- ابن أنس، مالك بن أنس الأصبحي (م: سنة 179هـ/ 795م).
  - الموطأ، تحقيق:محمد بن الجميل، مكتبة الصفاء(القاهرة، 2001م).
- ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد الطنجي(م:سنة 77هـ/ 1390م).
  - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق:كرم البستاني، دار صادر (بيروت، 1960م).

- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (م: سنة 874هـ/ 1469م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1929م).
- ابن جبير، محمد بن أحمد (م:سنة 614هـ/ 1216م).
- رحلة بن جبير، دار التراث (بيروت، 1968م).
- ابن الجوزي، شمس الدين عبدالرحمن بن علي (م:سنة 597هـ/ 1200م).
- تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، دار أم درمان الإسلامية (الخرطوم، 1993م).
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (م:سنة 852هـ/ 1448م)
- الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية (بيروت، 1995م).
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبدالعزيز بن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي، دار مصر (القاهرة، 2001م).
- ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل محمد بن عبدالله النصيبي(م:سنة367هـ/ 977م).
- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة (بيروت، 1979م)
- ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد (م: سنة 241هـ/ 855م).
- المسند، شرح: أحمد محمد شاك، دار الحديث (القاهرة، 1995م).
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبدالله (م:سنة 300هـ/ 912م).
- المسالك والممالك (ليدن، 1976م).
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (م:سنة 808هـ/ 1406م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر (بيروت، 1979م).
- المقدمة، مؤسسة دار الشعب(القاهرة، بدون تاريخ).

- ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1976م).
- ابن دقماق، محمد بن أيدمر العلائي(م:سنة 809هـ/ 1406م).
- الانتصار بواسطة عقد الأمصار، مطبعة بولاق(القاهرة، 1909م).
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (م:سنة 230هـ/ 845م).
- الطبقات الكبرىٰ، دار الكتب العلمية (بيروت، 1997م).
- ابن سعيد، علي بن موسىٰ بن سعيد (م:سنة 685هـ/ 1286م).
- كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر (بيروت، 1970م).
- ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن عبدالله اليعمري (م: سنة 734هـ/ 1333م).
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة (بيروت، 1982م).
- ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله (م: سنة 257هـ/ 871م).
- فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبدالمنعم عامر، مطبعة بولاق (القاهرة، 1961م).
- ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي(م:سنة 713هـ/ 1313م).
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب (بيروت، 1983م).
- ابن العربي، علي حرازم بن برادة المغربي الفاسي (م:حوالي سنة 1220هـ/ 1805م).
- جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، تحقيق:

عبداللطيف عبدالرحمن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية (بيروت، 1997م).

- ابن العماد، شهاب الدين عبدالحي بن أحمد(م:سنة 1089هـ/ 1678م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير(دمشق، 1989م).
- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (م:سنة 732هـ/ 1331م).
- البداية والنهاية، تحقيق: أحمد بن شعبان بن أحمد، محمد بن عيادي بن عبدالحليم، مكتبة الصفا(القاهرة، 2003م).
- ابن منظور، جمال الدين محمد (م: سنة 768هـ/ 1311م).
- لسان العرب، دار صادر (بيروت، 1956م).
- ابن هشام، أبو محمدعبدالملك بن هشام المعافري (م:سنة 213هـ/ 828م).
- السيرة النبوية، تحقيق: جمال ثابت ومحمد محمود، وسيد إبراهيم، دار الحديث (القاهرة، 1998م).
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي الأيوبي (م:سنة732هـ/ 1331م).
- تقويم البلدان، منشورات مكتبة المثنيا(بغداد، 1950م).
- لإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله (م:سنة 614هـ/ 1217م).
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، بدون تاريخ).
- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (م: النصف الأول من القرن الرابع الهجري / النصف الأول من القرن العاشر الميلادي).
- المسالك والممالك، مكتبة الحسيني (القاهرة، 1961م)
- الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن صفي الدين أبي الفرج(م:سنة597هـ/ 1200م).

- الأغاني، مؤسسة عزالدين(بيروت، بدون تاريخ).

- البخاري، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل(م:سنة 256هـ/ 889م).

- صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي (بيروت، بدون تاريخ).

- البكري، أبو عبيدالله بن عبدالعزيز (م:سنة 487هـ/ 1492م).

- المسالك والممالك، تحقيق:أدريان فان ليوفن، وأندرئ فيرئ، الدار العربية للكتاب (تونس، 1992م).

- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيىٰ بن جابر (م:سنة 279هـ/ 892م)

- فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة العربية(بيروت، 1957م).

- البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسن (م: سنة 384هـ/ 1994م).

- دلائل النبوة، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية (بيروت، 1985م).

- التجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد(م:سنة 710هـ/ 1310م).

- رحلة التجاني، تحقيق: حسن حسني عبدالوهاب، المطبعة الرسمية (تونس، 1988م).

- التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد القيرواني(م:سنة 33هـ/ 944م)

- طبقات علماء أفريقية وتونس تحقيق: علي الشابي، الدار التونسية (تونس، 1968م).

- التونسي، محمد بن عمر

- تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق: خليل عساكر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر (القاهرة، 1965م).

- الجبرتي، عبدالرحمن

- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل (بيروت، بدون تاريخ).

- الجيلاني، عبدالقادر بن أبي صالح(م:سنة561هـ/ 1165م).

- الفتح الرباني والفيض الرحماني، المكتبة العصرية (بيروت، 2004م).

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (م:سنة 1067هـ/ 1657م).

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة وكالة المعارف (إسطنبول، 1941م).

- الحاكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله.

- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، 1990م).

- الدمشقي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن طالب الأنصاري (م: سنة 727هـ/ 1326م).

- نخبة الدهر في عجائب والبر والبحر، دار إحياء التراث (بيروت، 1988م).

- الزركشي، محمد بن عبدالله (م: سنة 794هـ/ 1391م).

- إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفاء مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة، 1963م).

- السبتي، القاسم بن يوسف التجيبي (م:سنة 730هـ/ 1329م).

- مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب (بيروت، بدون تاريخ).

- السجستاني، الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث (275هـ/ 888م)

- سنن أبي داود، تحقيق :صدقي محمد جميل، دار الفكر (بيروت، 2003م).

- السعدي، عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران (م:سنة 1066هـ/ 1655م).
- تاريخ السودان، تحقيق: هوداس، مطبعة بروين (انجي، 1898م).
- السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري(م:سنة 1315هـ/ 1897م).
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب (الدار البيضاء، 1954م).
- السمعاني، عبدالكريم بن محمد (م: سنة 562هـ/ 1166م).
- الأنساب، طبعة دار الجنان (بيروت، 1988م).
- السيوطي، جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر(م: سنة 911هـ/ 1505م).
- رفع شأن الحبشان، تحقيق: محمد عبدالوهاب فضل، مطبعة كويك حمادة (القاهرة، 1991م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد م سنة 310هـ/ 923م).
- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة عز الدين للنشر (بيروت، 1985م).
- العمري، شهاب الدين محمد بن يحيى بن فضل الله(م:سنة 749هـ/ 1348م).
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أحمد عباس، منشورات المجمع الثقافي (أبو ظبي، 2002م)
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري.
- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، (بيروت، بدون تاريخ).
- القلقشندي، أبو العباس علي بن أحمد (م: سنة 821هـ/ 1418م)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية (بيروت، 1987م).
- مجهول، (عاش أواخر القرن السادس الهجري/ أواخر الثاني عشر الميلادي).

- الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبدالحميد، طبعة آفاق جمعية عربية (بغداد، بدون تاريخ).

- المسعودي، أبوالحسن علي بن الحسين(م:سنة346هـ/ 957م).

- التنبيه والإشراف، مكتبة خياط بيروت، 1965م).

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية (بيروت، 1988م).

- المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر(م: سنة 380هـ/ 990م).

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن، 1959م).

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (م: سنة 845هـ/ 1442م).

- السلوك لمعرفة دول الملوك، لجنة إحياء التراث الإسلامي (القاهرة، 1967م).

- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق(القاهرة، 1950م).

- النووي، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف (م: سنة 676هـ/ 1277م).

- صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: محمد بن عبادي بن عبدالحليم، مكتبة الصفا (القاهرة، 2003م).

- النويري، أحمد بن عبدالوهاب (م:سنة 732هـ/ 1331م).

- نهاية الأرب في فنون الأدب، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة، 1933م).

- الوزان، الحسن بن محمد الزياتي (م:سنة 947هـ/ 1540م).

- وصف أفريقيا، ترجمة:عبدالرحمن حميدة، علي عبدالواحد، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود (الرياض، 1979م).

- اليافعي، عفيف الدين عبدالله بن أسعد (م:سنة 768هـ/ 1366م).

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: عبدالله الجبوري، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1984م).
- ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (م: سنة 626هـ/ 1228م).
- معجم البلدان، دار صادر (بيروت، بدون تاريخ).
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (م:سنة 292هـ/ 904م).
- تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف (بغداد، 1939م).

ثانيا: المراجع

1- المراجع العربية:

- أبادي، محمد حميد الله الحيدر:
- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، بدون تاريخ)
- إبراهيم، محمد عبدالفتاح:
- أفريقية.. الأرض والناس، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1964م).
- أبوبكر، محمد عثمان:
- المثلث العفري في القرن الأفريقي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة، 1996م).
- أبو العلاء، محمود طه:
- المسلمون في أفريقية المدارية، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1999م).
- أبو عيانة، فتحي:
- جغرافية أفريقية، دار النهضة العربية (بيروت، 1982م).

- أحمد، محمد عبدالعال:
- منسي مُوسىٰ ورحلة حجّه الشهيرة (القاهرة، 1987م)
- أحمد، محمد عبدالقادر:
- المسلمون في غينيا (القاهرة، 1986م).
- الأحمر، امحمد مصباح:
- أفريقيا والعرب، شعبة التثقيف والإعلام والتعبئة (طرابلس، 1428م).
- إسحاق، محمد بن محمد:
- تاريخ الإسلام والمسيحية في دارفور، دار العلوم العربية للطباعة والنشر (بيروت، 2001م).
- إسماعيل، أحمد علي:
- محاضرات في جغرافية أفريقيا، معهد الدراسات الإسلامية(القاهرة، 1970م).
- باري، عثمان برايما:
- جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي، دار الأمين للطباعة (القاهرة، 2001م).
- بافقيه، محمد عبدالقادر:
- تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، 1985م).
- بباوىٰ، نبيل لوقا:
- انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والإفتراء، دار الباوىٰ للنشر (القاهرة، 2002م).
- الجبير، أحمد:
- العلاقات العربية الأفريقية، الجامعة المفتوحة (بنغازي، بدون تاريخ).

- الجمل، شوقي:
- تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، الإنجلو المصرية (القاهرة، 1971م).
- الجمل، شوقي وعبدالله عبد الرازق:
- تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة، 1998م).
- جودة، جودة حسنين:
- جغرافية أفريقيا الإقليمية، دار النهضة العربية (بيروت، 1981م).
- الجوهري، يسري:
- الإنسان وسلالاته، دار المعارف (الإسكندرية، 1987م).
- الحريري، محمد مرسي:
- جغرافية القارة الأفريقية، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1990م).
- حسن، حسن إبراهيم:
- انتشار الإسلام في أفريقيا، مكتبة الإنجلو المصرية (القاهرة، 1963م).
- انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، معهد الدراسات العربية (القاهرة، 1957م).
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل (بيروت، 1996م).
- حسن، علي إبراهيم:
- التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، بدون تاريخ).
- حسن، يوسف فضل:
- دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب، دار جامعة الخرطوم للنشر (الخرطوم، 1989م).

- حسين، أحمد الياس:
- سلع التجارة الصحراوية، مركز الدراسات التاريخية(طرابلس، 1979م).
- حمدان، جمال:
- أفريقيا الجديدة، دراسة في الجغرافيا السياسية، دار النهضة المصرية (القاهرة، 1965م).
- الحويري، محمود محمد:
- ساحل شرق أفريقيا، من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، دار المعارف (القاهرة، 1986م).
- خشيم، علي فهمي:
- أحمد زروق والزروقية، دار مكتبة الفكر(طرابلس، 1975م).
- الدالي، الهادي المبروك:
- تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، 1991م).
- التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، 1999م).
- مملكة مالي الإسلامية، دار الملتقى للطباعة والنشر (بيروت، 1996م).
- التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، الشركة العامة للورق والطباعة (الزاوية، 2000م).
- دندش، عصمت:
- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا (1103-1121م)، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1988م).
- رضا، محمد:
- محمد (صلى الله عليه وسلم)، المكتبة العصرية (بيروت، 2005م).

- رياض، زاهر:
  - الإسلام في إثيوبيا، دار المعرفة (القاهرة، 1964م).
  - مظاهر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة، جامعة القاهرة (القاهرة، 1955م).
- رياض، محمد وكوثر عبدالرسول:
  - أفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية(بيروت، 1973م).
- الزاوي، أحمد الطاهر:
  - مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، مطابع ماتيوكرومو (أسبانيا، 1981م).
- زبادية، عبدالقادر:
  - الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر، 1989م).
- زكي، عبدالرحمن:
  - الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، مطبعة يوسف(القاهرة، 1965م).
  - الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، مطبعة يوسف(القاهرة، 1965م).
  - المسلمون في العالم اليوم، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1958م).
- زناتي، محمود سلام:
  - الإسلام والتقاليد القبلية في أفريقيا (القاهرة، 1992م).
- الزوكة، محمد خميس:
  - جغرافية شرق أفريقيا، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، بدون تاريخ).
- زيدان، جرجي:
  - العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة (بيروت، بدون تاريخ).

- سالم، السيد عبدالعزيز:
- تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 2003م).
- تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، بدون تاريخ).
- المغرب الكبير، (العصر الإسلامي)، دار النهضة العربية (بيروت، 1981م).
- سعودي، محمد عبدالغني:
- أفريقية، في شخصية القارة – شخصية الأقاليم، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، بدون تاريخ).
- قضايا أفريقية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت، 1980م).
- سعيد، إبراهيم أحمد:
- أفريقيا جنوب الصحراء، دراسة في الجغرافيا الإقليمية، جامعة السابع من أبريل (الزواية، 1993م).
- شاور، آمال إسماعيل:
- الجيومورفولوجيا والمناخ، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1979م).
- شاور، آمال وأحمد علي إسماعيل
- أفريقيا المعاصرة – البيئة والإنسان والتحدّي، دار الثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة، 1998م).
- الشطشاط، علي حسين:
- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار قباء للطباعة (القاهرة، 2001م).
- شقير، نعوم:
- تاريخ السودان القديم والحديث(القاهرة، 1903م).

- شلبي، أحمد:
- موسوعة التاريخ الإسلامي - الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 2000م).
- طبارة، عفيف عبدالفتاح:
- روح القرآن - تفسير جزء عم، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، بدون تاريخ).
- طرخان، إبراهيم علي:
- إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، 1975م).
- إمبراطورية مالي الإسلامية، الهيئة المصرية للتأليف والنشر(القاهرة، 1973م).
- الطناشي، خديجة:
- العلاقات السياسية بين القوى الإسلامية والمسيحية في الحبشة، منشورات مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 1996م).
- عابدين، عبدالمجيد:
- تاريخ الثقافة العربية في السودان (القاهرة، 1953م).
- العبادي، أحمد مختار:
- في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة (بيروت، 1972م).
- عبدالحليم، رجب محمد:
- العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية، منذ ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية (القاهرة، 1999م).
- المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (القاهرة، بدون تاريخ).

- عبدالرسول، كوثر:
- دراسات في الهجرة الحديثة إلى أفريقيا – العرب في شرق أفريقيا، كلية الآداب (عين شمس، 1973م).
- عبدالظاهر، حسن عيسى:
- الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني، الزهراء للإعلام العربي (القاهرة، 1991م).
- عبدالقادر، محمود:
- الفلسفة الصوفية في الإسلام، مصادرها ونظرياتها ومكانها في الدين والحياة، دار الفكر العربي (القاهرة، 1966م).
- عبداللطيف، علي محمد:
- أفريقيا العربية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (طرابلس، 1986م).
- عثمان، شوقي عبدالقوي:
- التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر المماليك، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، 2000م).
- علي، سعيد إسماعيل:
- معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر (القاهرة، 1986م).
- علي، فاي منصور:
- أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغهاي الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 1997م)
- الغنيمي، عبدالفتاح مقلد:
- الإسلام وحضارته في وسط أفريقيا، سلطنة البولالا، مكتبة مدبولي (القاهرة، 1996م).

- الإسلام والعروبة في السودان، العربي للنشر والتوزيع (القاهرة، 1986م).
- حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة، بدون تاريخ).
- غيث، فتحي:
- الإسلام والحبشة عبر التاريخ، النهضة المصرية (القاهرة، بدون تاريخ).
- غيث، مطير سعد:
- الثقافة الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المنار الإسلامي (بنغازي، 2005م).
- فرج، محمد فرج:
- إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، المؤسسة الوطنية للكتاب(الجزائر، 1977م)
- فليجة، أحمد نجم الدين:
- أفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مركز إسكندرية للكتاب (الإسكندرية، 2002م).
- الفيتوري، أحمد سعيد:
- ليبيا وتجارة القوافل، الإدارة العامة للآثار(طرابلس، 1972م).
- الفيتوري، عطية مخزوم:
- دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1998م).
- قاسم، جمال زكريا:
- الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية(القاهرة، 1975م).

- قداح، نعيم:
- أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، الشركة الوطنية للنشر (الجزائر، 1975م).
- الكحلوت، عبدالعزيز:
- التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2001م).
- الكعاك، عثمان:
- مراكز الثقافة في المغرب، معهد الدراسات العربية (القاهرة، بدون تاريخ).
- الطيف، علي حامد خليفة:
- المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2003م).
- مجاهد، حورية توفيق:
- الإسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 2002م).
- محمد، ظاهر جاسم:
- أفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال، دراسة تاريخية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة، 2003م).
- محمد، محمد عوض:
- الشعوب والسلالات الأفريقية، الدار المصرية للتأليف والنشر (القاهرة، 1981م).
- محمود، حسن:
- الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي (القاهرة، 1986م).

- مسعد، مصطفى:
  - الإسلام والنوبة في العصور الوسطى (القاهرة، 1960م).
- المشري، محمد:
  - بلاد القرن الأفريقي، شعبة التثقيف والإعلام والتعبئة (طرابلس، 1428م).
- مصطفى، كمال:
  - دراسات في تاريخ ليبيا القديم، كلية الآداب (طرابلس، 1966م).
- معروف، ناجي:
  - أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة (بيروت، 1975م).
- ملحس، ثريا عبدالفتاح:
  - المرابطون اللمتونيون، الشركة العامة للكتاب (بيروت، 1988م).
- مناع، محمد عبدالرزاق:
  - إفريقش فاتح القارة الأفريقية، دار مكتبة الفكر (طرابلس، 1973م).
- منيسي، سامية عبدالعزيز:
  - إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة، دار الفكر العربي (القاهرة، 2001م).
- ميغا، حمزة مصطفى:
  - الشيخ أحمد ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2005م)
- النجار، عبدالرحمن:
  - الإسلام في الصومال، الاتحاد الإشتراكي العربي (القاهرة، 1973م).

- النقيرة، محمد عبدالله:

- انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ للنشر (الرياض، 1982م).

- اليحكي، فريد:

- أفريقيا فيما قبل التاريخ (طرابلس، 1980م).

- يونس، محمد المبروك:

- تاريخ التطور السياسي للعلاقات الليبية الأفريقية 1952-1977م، الشركة العامة للورق والطباعة (الزاوية، 1991م).

- دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الأفريقية 1969-1977م، الشركة العامة للورق والطباعة (الزاوية، 1994م).

2- المراجع المعربة:

- أرنولد، توماس:

- الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية(القاهرة، 1970م).

- بوركهات، جون لويس:

- رحلات بوركهات في بلاد النوبة والسودان(القاهرة، 1959م).

- بوفيل،

- تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، جامعة قاريونس(بنغازي، 1988م).

- بولر، دنيز:

- الحضارة الأفريقية، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات(بيروت، 1988م).

- ترمنجهام، سنبسر:
- الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة: محمد عاطف النووي، مكتبة الإنجلو المصرية (القاهرة، 1973م)
- جوزيف، جوان:
- الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي (القاهرة، 1984م).
- جوليان، شارل أندري:
- تاريخ أفريقيا، ترجمة: طلعت عوض أباضة، دار الكتب المصرية (القاهرة، بدون تاريخ).
- دافدسن، بازال:
- أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة: جمال أحمد، دار الثقافة (بيروت، 1963م).
- ديشان، هوبير:
- الديانات في أفريقيا السوداء، ترجمة: أحمد صادق حمدي، دار الكتاب العربي (القاهرة، 1956م).
- ديورانت، ول:
- قصة الحضارة (قيصر والمسيح) الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، 2001م).
- روسّي، إيتوري:
- ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب (بيروت، 1991م).
- زيربو، جوزيف كي:
- تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة: يوسف شلب الشام، منشورات وزار الثقافة (دمشق، 1994م).

- سليجمان، س. ج:

- السلالات البشرية في أفريقيا، ترجمة: يوسف خليل، مكتبة العالم العربي (القاهرة، 1959م).

- غوتية، ا، ف:

- ماضي شمال أفريقيا، ترجمة: هاشم الحسيني، دار الفرجاني (طرابلس، 1970م).

- كرنجال، مارمول:

- أفريقيا، ترجمة: محمد حجّي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، دار نشر المعرفة (الرباط، 1989م).

- مادهوك، بانيكار:

- الوثنية والإسلام، ترجمة: أحمد فؤاد بليع، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، 1998م).

- المسيو، جيان:

- وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية، ترجمة: يوسف كمال (القاهرة، 1927م).

- وير، س، جديون:

- تاريخ جنوب أفريقيا، ترجمة: عبدالرحمن عبدالله الشيخ، دار المريخ للنشر (الرياض، 1986م).

- ويللارد، جيمس:

- الصحراء الكبرى، مكتبة الفرجاني (طرابلس، 1967م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية

1- Anderson, J.A: Islamic Law in Africa (London, 1964).

2- Ankle, A.J: A history of the Sudan (London, 1962).

3- Buckle. C: Land forms In Africa, Longman (London, 1978).

4- Church, R.H: West Africa (London, 1979).

5- Mark, L: The Arab world and somal (London, 1978).

6- Smitg, E: The History of somal (London, 1966).

7- Yusuf fadi Hasan.L. The Arabs and the Sudan (Edinburgh, 1976).

رابعاً: المجلات والندوات والمؤتمرات العلمية

- أبو سعد، عبدالسلام:
- أهم العوامل التي ساعدت في انتشار الإسلام في أفريقيا، مجلة كلية التربية، العدد 16، لسنة 1982م، جامعة الفاتح (طرابلس، 1982م).
- أضبيعة، أحمد محمد:
- الرعاية الاجتماعية في الشرائع الإلهية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 20، لسنة 2003م، كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2003م).
- بطران، عزيز:
- الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، لسنة 1981م، مركز جهاد الليبيين والدراسات التاريخية (طرابلس، 1981م).
- الجابري، صلاح:
- الرؤية الصوفية وتطور الوعي في إطار العلم الحديث، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 20، لسنة 2003م، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2003م).

- الحرير، عبد المولى:
- الإسلام وأثره على التطوّرات السياسية والفكرية في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، لسنة 1989م، مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 1989م).
- حسن، يوسف فضل:
- الإسلام والعروبة في السودان، محاضرات الموسم الثقافي الأول (1979-1980م)، إعداد: محمد عبدالسلام الجفائري، مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 1989م).
- زكي، عبدالرحمن:
- الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، العدد 21 لسنة 1974م (القاهرة، 1974م).
- الشطشاط، علي حسين:
- الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا ودورها في نشر الإسلام والعروبة، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد الأول لسنة 2003م، دار المدار الإسلامي (زليتن، 2003م).
- وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا، مجلة الجامعة الأسمرية، السنة الثانية، العدد الثالث لسنة 2004م، الجامعة الأسمرية(زليتن، 2004م).
- الطيبي، أمين توفيق:
- كانم – برنو بالسودان الأوسط، صلات تاريخية وتجارية عريقة بالشمال الافريقي، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2 لسنة 1987م، مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 1987م).
- عبدة، أحمد عبدة:
- التسامح في الإسلام، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 17 لسنة 2000م، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2000م).

- عريبي، علي الطاهر:
- مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الثاني، يوليو 1989م، مركز البحوث (سبها، 1989م).
- الفيتوري، أحمد:
- الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2 يوليو 1981م، مركز دراسات وجهاد الليبيين (طرابلس، 1981م).
- محمد، ظاهر جاسم:
- التواصل العربي الأفريقي عبر التاريخ ودور ليبيا في إدامته، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 18 لسنة 2001م، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2001م).
- العلاقات الليبية الأفريقية 1969-2000م، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 20 لسنة 2003م، جمعية الدعوة الإسلامية(طرابلس، 2003م).
- الوازني، مسعود عبد الله:
- إفريقية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 19 لسنة 2002م، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2002م).

خامساً: الرسائل الجامعية:

- إسماعيل، محمد علي:
- دُور العلم في المشرق الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بجامعة قاريونس (بنغازي، 2005م).
- جوب، إبراهيم موسى:
- الفولانيون ودورهم في نشر الإسلام بغرب أفريقيا «فوتاسنقومايو» رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بجامعة الفاتح (طرابلس، 1993م).

- الخويلدي، محمد علي عمر:
- التأثير الحضاري العربي الإسلامي في شرق أفريقيا، (424-626هـ/ 1124-1258م)رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت في معهد التاريخ العربي (بغداد، 2003م).
- كيتا، سليمان الأمين:
- الإسلام والمسلمون في غامبيا من 1000-1926م، رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بجامعة الفاتح (طرابلس، 1996م).